
هربرت جورج ويلز
الزيارة المدهشة
رواية
فريق
متميزون
E-BOOK
ترجمة: إيناس التركي
آفاق


فريق
متميزون
E-BOOK

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

الزيارة المدهشة
رواية مترجمة..

هربرت چورچ ويلز
ترجمة: إيناس التركي

ليلة الطائر الغريب

في ليلة الطائر الغريب، رأى الكثيرُ من الناس في سيدرتون

(وفي بعض المناطق القريبة منها) وَهَجًا على مستنقع سيدرفورد. لكن لم يره أحدٌ من أهل سيدرفورد، حيث كان معظمُهم على فراشهم.

هبَّتْ الريح طوال اليوم، وأخذت القُبَّر عند المستنقع تزقزق على نحوٍ متقطِّع بالقرب من سطح الأرض، أو كانت ترتفع وتندفع فحسب كأوراقِ الشجر أمام الريحِ. غابت الشمسُ وسط فوضى من الغيوم الدامية، واختفى القمرُ. يقولون إنَّ الوَهجَ كان ذهبيًا مثل شعاعٍ يلتمع من السماءِ، ليس كلهبٍ موحَّدٍ، بل تكسَّرت أنحاؤه بوَمْضاتٍ منحنية تشبه السيوفَ الملوَّحة. لم يستمر سوى للحظة، خلَّف الليلَ بعدها مُظلِمًا وغامضًا. كانت هناك رسائلُ حول ذلك الوهج في مجلة «نيتشر»، ورسمٌ تقريبيٌّ له لم يظن أحدٌ أنَّه يشبهه إلى حدٍّ كبيرٍ. (يمكنكَ رؤيته بنفسِكَ -ذلك الرسم الذي لا يشبه الوَهج- في الصفحة 42 من العدد 260 من تلك المطبوعة).

لم يرَ أحدٌ في سيدرفورد الوَهج، لكنَّ آني، زوجة هوكر دورجان، كانت مستلقية وهي مستيقظة، ورأت انعكاسَه، رأت لسانًا مرتجفًا من الذهب، يتراقص على الحائط.

كانت هي أيضًا واحدة من أولئك الذين سمِعوا الصوتَ. الآخرون الذين سمِعوا الصوتَ هم لامبي دورجان الأبله، ووالدة آموري. قالوا إنَّه صوتٌ يماثل غناء الأطفال، واهتزاز أوتار القيثارة، آتيًا في نغماتٍ مندفعة مثل تلك التي تصدر أحيانًا من الأُرْغُن. بدأ الصوتُ واختفى مثل فتح وإغلاق الباب، ولم يسمعوا شيئًا قبله أو بعده سوى ريح الليلِ وهي تعوي فوق المستنقع، وضجيج الكهوف أسفل جُرْف سيدرفورد. قالت والدة آموري إنَّها أرادتْ البكاءَ عندما سمِعته، لكنَّ لامبي شعر بالأسى لأنَّه لم يتمكَّن من سماع المزيد.

هذا هو كلُّ ما يمكن أن يخبركَ به أحدٌ بخصوص الوَهج على مستنقع سيدرفورد، والموسيقى المزعومة المصاحبة له. ولا أعرف إن كان لهما علاقةٌ بالفعل بالطائر الغريب الآتية حكايته، لكنَّني ذكرتُهما هنا لأسبابٍ سوف تتضح مع تتابُع أحداث الحكاية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



وصول الطائر الغريب

كان ساندي برايت قادمًا في الطريق من سبينرز، حاملًا قطعةً من لحم الخنزير المقدَّد التي قايضها بساعة حائطٍ. لم يرَ شيئًا من الضوء، لكنَّه سمِع وشاهد الطائرَ الغريبَ. فجأة سمِع رفرفة، وصوتًا مثل عويلِ امرأة، وحيث إنَّه كان رجلًا سريعَ التوتُّر ووحيدًا تمامًا، فقد أصابه الارتياعُ. استدار (وجسدُه بأكملِه يرتجف) ورأى شيئًا كبيرًا أسودَ اللون وسط الظلام المعتم بين أشجار الأرز أعلى التلِّ. بدا كأنَّه يهبط تجاهه مباشرة، فأسقط لحمَ الخنزير على الفور، وشرع يركض، إلَّا أنَّه سقط منكفئًا على وجهه.

حاول عبثًا -حيث كان بالِغَ التوتُّر- أن يتذكَّر بداية صلاة الرَّبيّة. رفرف الطائرُ الغريبُ فوقه. كان يفوقه ضخامة، ولجناحيه امتدادٌ كبيرٌ، ولونُه أسود، أو هكذا ظنَّه. أطلق ساندي صرخةً وظنَّ أنَّه هالكٌ لا محالة. ثم تجاوزه الطائر، طائرًا باتجاه أسفل التلِّ، وحلَّق فوق بيت كاهن الكنيسة، مختفيًا وسط ضباب الوادي باتجاه سيدرفورد.

استلقى ساندي على بطنِه هناك لفترة طويلة، محملِقًا إلى الظلام في أثر الطائر الغريب. أخيرًا، جثا على ركبتيه وشرع يشكر الربَّ على رحمتِه لإنقاذِه، بينما عيناه موجَّهتان أسفلَ التلِّ. نزل إلى القرية، متحدِّثًا بصوتٍ مرتفعٍ، معترفًا بخطاياه وهو يمضي في طريقِه، خوفًا من عودة الطائر الغريب. ظنَّ كلُّ مَن سمِعه أنَّه ثملٌ، لكنَّه صار رجلًا جديدًا منذ تلك الليلة؛ وأقلع عن السُّكر وعن التهرُّب من الضرائب من خلال بيع الحُلي الفضية من دون ترخيصٍ. وظلَّت قطعة لحم الخنزير المقدَّد مُلقاة على جانب التلِّ، حتى عثر عليها أحدُ الباعة من بورتبوردوك في الصباح.

كان الشخصُ التالي الذي رأى الطائرَ الغريب هو كاتب محامٍ في إيبينج هانجر، حيث كان يصعد التلَّ قبل الإفطار ليشاهد شروقَ الشمس. لم يتبقَّ سوى بعض نُتَف السحب التي أخذت تتلاشى، بعد أن هبَّت الريحُ في الليلة الماضية وباتت السماء صافية. ظنَّ في البداية أنَّه رأى نسرًا. كان قريبًا من ذروة السماء، وبعيدًا بشكلٍ لا يُصدَّق، مجرد بقعةٍ ساطعة فوق السحب الوردية الرقيقة، وبدا كما لو أنَّه يرفرف ويرتطم بالسماء، كما يرتطم طائرُ السنونو الحبيس بزجاج النافذة. ثم هبط نحو ظلِّ الأرض، مندفعًا في منحنى عظيمٍ نحو بورتبوردوك، ودار فوق الغابة، وبذلك اختفى خلف أشجار حديقة سيدرمورتون. بدا أكبرَ حجمًا من رجلٍ، وقبل اختفائه مباشرة، ضرب نور الشمس الساطعة حافة الزغب ولامس جناحيه، فومضا ببريقٍ كاللهب، بلوْنِ الأحجار الكريمة، وهكذا اختفى وخلَّف الشاهِد فاغرًا فاه.

كان أحدُ المزارعين في طريقِه إلى عملِه، مارًّا بجوار السور الحجري لحديقة سيدرمورتون، وشاهد الطائرَ الغريبَ يلتمع فوقه للحظة، ثم يختفي وسط الفجوات الضبابية بين أشجار الزان، لكنَّه لم يرَ سوى القليلِ من لوْن الجناحيْن، ولم يلحظ سوى أنَّ ساقيه، اللتين كانتا طويلتين، بدتا ورديتين كاللحم العاري، وجسده مرقط باللون الأبيض، شقَّ السماءَ كالسهم، ثم اختفى.

كان هؤلاء هم أوَّل ثلاثة شهودِ عيانٍ على الطائر الغريب.

لم يكن المرءُ في تلك الأيام ليجثم مرتعدًا من الشيطان ومن خطاياه، أو يرى جناحيْن غريبيْن تتغيَّر ألوانُهما في ضوء الفجر، من دون أن يتحدَّث عمَّا شاهده فيما بعد. حكى كاتب المحامي الشاب لوالدتِه وشقيقاتِه عند الإفطار، وبعد ذلك بينما هو في طريقِه إلى

المكتب في بورتبوردوك، أخبرِ الحدَّادَ في هامربوند عن الأمر، وأمضى الصباحَ مع زملائِه من الكَتَبَة وهم يتعجَّبون بدلًا من نَسْخِ الوثائق القانونية. وذهب ساندي برايت لمناقشة الأمر مع السيِّد جيكل، كاهن الكنيسة الميثودية البدائية، كما قصَّ المزارعُ الأمرَ على العجوز هيو، وبعد ذلك على كاهن كنيسة سيدرمورتون.

قال كاهنُ كنيسة سيدرمورتون:

- لا يتمتَّع الناسُ بخيالٍ واسعٍ هنا. أتساءل إلى أي مدى كان ذلك الحديثُ صحيحًا. لولا أنَّه يظنُّ أنَّ الجناحيْنِ لهما لونٌ بنيٌّ، لبَدَا إلى حدٍّ كبيرٍ أنَّ ما رآه هو طائرُ فلامينجو.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



اصطياد الطائر الغريب

كان كاهن سيدرمورتون (التي تقع في قلب البلاد على مبعدة تسعة أميالٍ من سيدرماوث، إذا سلك المرءُ أقصرَ الطرق) عالِم طيورٍ. بدا الاهتمامُ بأمرٍ ما مثل عِلم النبات أو الآثار أو الفولكلور شيئًا يكاد يكون حتميًّا بالنسبة لرجلٍ أعزبَ في مثل منصبِه. كما كان مهتمًّا بالهندسة أيضًا؛ فكان يطرح أحيانًا بعضَ المسائل العصيَّة على الحلِّ في مجلة «إديوكيشونال تايمز». إلَّا أنَّ ما كان يجيده حقًّا هو عِلم الطيور؛ كان قد أضاف نوعيْن من الطيور بالفعل إلى قائمة الطيور التي تزور بريطانيا على نحوٍ غيرِ منتظمٍ. كان اسمُه معروفًا بين أسماء كُتَّاب الأعمدة في مجلة «زوولوجيست» (أخشى أنَّه ربَّما صار في طي النسيان الآن، حيث يتقدَّم العالَم سريعًا). وفي اليوم التالي لظهور الطائر الغريب، أتى الناسُ الواحد تِلْوَ الآخر ليؤكِّدوا حكاية المزارِع، وليقصُّوا عليه أمرَ الوهج الذي ظهر فوق مستنقع سيدرفورد، وإن لم يربطوا بين الاثنيْن.

كان لدى كاهن سيدرمورتون منافسان في مساعيه العِلْميَّة: جالي، وهو من سكان سيدرتون، الذي شاهد الوَهَج بالفعل، وكان هو من أرسل الرسمَ إلى مجلة «نيتشر»، والآخر هو بورلاند، الذي يعمل في تجارة عيِّنات التاريخ الطبيعي، وكان لديه مختبرٌ للأحياء البحرية في بورتبوردوك. كان الكاهن يعتقد أنَّه يجب على بورلاند الاكتفاء بالاهتمام بالكائنات البحرية مجدافية الأرجل، لكنَّه بدلًا من ذلك، كان لديه من يعمل في تحنيط الحيوانات، واستغلَّ موقعَه بالقرب من الساحل في جمع الطيور البحرية النادرة. بدا من الواضح لأي شخصٍ من المهتَّمين بجمْعِ الطيور أنَّ كلا الرجلين سيجوبان البلاد بحثًا عن الزائرِ الغريبِ قبل انقضاء أربع وعشرين ساعة.

استقرَّت عينا الكاهن على ظهر موسوعة «سوندرز للطيور البريطانية»، حيث كان في غرفة مكتبِه حينها. كان هناك موضعان بالفعل دُوِّن فيهما: «العيِّنة البريطانية الوحيدة المعروفة عَثَرَ عليها الموقَّر ك. هيليار، كاهن سيدرمورتون». ماذا لو ذُكِر اسمُه هكذا لمرة ثالثة؟ لم يحظَ أيُّ جامع طيورٍ آخر بذلك، على حدِّ علْمِه.

ألقى نظرةً على ساعتِه، التي كانت تشير إلى الثانية. كان قد تناول الغداء للتوِّ، وعادة ما كان يخلُد إلى الراحة في فترة ما بعد الظهيرة. كان يعلم أنَّه سوف يشعر بالضيق الشديد إذا خرج وتعرَّض لأشعة الشمس الحارقة، سواء على رأسِه مباشرة أو بصفة عامة، لكن مع ذلك، ربَّما كان جالي بالخارج يتجوَّل باحثًا، ماذا لو كان هناك شيءٌ فريدٌ، وعثر عليه جالي؟

كانت بندقيتُه تقف في زاوية المكتب. (كان لذلك الشيء جناحان تتبدَّل ألوانُهما حسب الضوء، وساقان ورديتان! قطعًا كان التباين اللوْني مثيرًا للغاية). تناول بندقيته.

كان سيخرج من البابِ الزجاجي عبر الشرفة، ويهبط إلى الحديقة حتى الطريق المؤدي إلى التلِّ، كي يبتعد عن أنظار مدبِّرة منزلِه؛ كان يعلم أنَّ خروجَه بالبندقية لا يحوز رضاها. لكنَّه رأى زوجة مساعد الكاهن مع ابنتيْها، وهنَّ يتقدَّمن نحوه في الحديقة ويحمِلن مضاربَ التنس. كانت زوجة مساعِد الكاهن شابة قوية الإرادة، اعتادتْ لعبَ التنس في حديقتِه وقطع أزهارِه، والاختلاف معه في بعض المسائل العقائدية، وانتقاد سلوكِه الشخصي في جميع أرجاء الأبرشية؛ بات يخشاها على نحوٍ بائسٍ، ودومًا ما كان يحاول استرضاءها، لكنَّه ظلَّ متشبثًا بولعِه بالطيور.

ومع ذلك، خرج الكاهن من الباب الأمامي.

لولا هُواة جمْع الطيور والنباتات، لأضحت إنجلترا -إن جاز التعبير- زاخرة بالطيور النادرة والفراشات الرائعة والزهور الغريبة، وآلاف الأشياء المثيرة للاهتمام. لكن لحُسن الحظِّ فإنَّ جامعي الطيور والنباتات يمنعون كلَّ ذلك، إمَّا بممارسة القتل بأيديهم، أو من خلال الشراء ببذخٍ، أو بتكليف أشخاصٍ من الطبقات الاجتماعية الدنيا بقتل هذه الكائنات الغريبة حال ظهورِها. ساعد ذلك على خلْق فرص عملٍ للناس، على الرغم من أنَّ القوانين البرلمانية كانت تمنع الأمر. بهذه الطريقة، على سبيل المثال، أسهموا في انقراض الغراب الأعصم في كورنوال، وفراشات باث البيضاء، وفراشات ملكة إسبانيا، وكانوا يتباهون بالتسبُّب في انقراض طائر الأوك العظيم، والمئات من الطيور والنباتات والحشرات الأخرى النادرة. كلُّ هذا من عمل جامعي الطيور والحيوانات، وهم وحدهم من يعود لهم الفضل، وكلُّ هذا باسم العلم؛ وهذا هو ما يصحُّ، وما يجب أن تكون عليه الأمور. فالانحراف عمَّا هو مألوفٌ، في الواقع، ما هو إلَّا سلوكٌ غير أخلاقي -فكِّر في الأمر مرة ثانية إذا كنت لا تعتقد ذلك الآن- تمامًا كما يُعدُّ انحراف المرء في طريقة تفكيره جنونًا. (أتحدَّاكَ أن تجد تعريفًا آخر ملائمًا لجميع حالات كلا نوعي الانحراف). وإذا كان نوع الحيوان أو النبات نادرًا، يترتَّب على ذلك بالتالي أنَّه غير مُهيَّأ للبقاء. جامعو الحيوانات والنباتات في النهاية ما هم إلَّا مثل جنود المشاة في عصر الدروع الثقيلة: فهم يتركون المقاتلين وشأنهم، ويقطعون أعناق من سقطوا من العدو، لذا يمكن للمرء أن يجوب إنجلترا من أقصاها إلى أقصاها في فصل الصيف، ولا يرى سوى ثمانية أو عشرة أنواعٍ من الزهور البرية الشائعة، وأنواع الفراشات الأكثر شيوعًا، وقرابة اثني عشر نوعًا من الطيور الشائعة، من دون أن يزعجه أبدًا أي خروج عن الرتابة المعتادة، أو أي بقع ألوان لزهورٍ غريبة، أو رفرفة لجناحٍ غير معروف، حيث إنَّ كلَّ شيءٍ آخر قد «جُمِع» منذ سنواتٍ طويلة. لهذا يجب أن نحبَّ كلَّ جامعي الطيور والنباتات، وأن نضع في الاعتبار أنَّنا مدينون لهم عندما يعرضون مجموعاتِهم الصغيرة. أدراجهم الصغيرة هذه التي تعبق برائحة الكافور، وعلبهم الزجاجية، وكتبهم المصنوعة من ورق النشَّاف، هي قبور كلِّ نادرٍ وجميلٍ، ورمزٌ لانتصار الفراغ (الذي يمضيه المرء على نحوٍ أخلاقي) على مباهج الحياة. (وكلُّ هذا، كما لاحظت بشكلٍ صحيحٍ، لا صلة له على الإطلاق بالطائر الغريب).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



هناك مكانٌ على المستنقع تلتمع فيه المياه السوداء وسط الطحالب النضرة، وتمدُّ النباتات الزغبية آكلة الحشرات الهائمة أيديها الجائعة الملطَّخة بالأحمر إلى الربِّ الذي يرسل مخلوقاتِه ليطعم أحدُها الآخر. وهكذا ارتفعت على سلسلة من التلال أشجارُ البتولا بِلِحائها الفضي، وامتزج اللون الأخضر الفاتح لأشجار اللاريكس مع الخضرة الداكنة لأشجار التنوب. مرَّ الكاهن من هناك في حرارة النهار، من بين نباتات الخلنج التي ارتفع وسطها طنينُ نحلِ العسل، حاملًا أسفل ذراعه بندقيته المحشوة بالطلقات لاصطياد الطائر الغريب، وفي يدِه الحرَّة، كان يحمل منديلَ جيبٍ، ظلَّ يمسح به وجهَه مِرارًا وتكرارًا من العرق الذي يقطر منه.

مرَّ وواصل الطريق عابرًا بجوار المستنقع الكبير، والبركة المليئة بأوراق الشجر البنيَّة حيث يرتفع جرف سيدر، وعَبَرَ الطريق (الذي كان رمليًا في أولِه، ثم جيريًا)، إلى البوابة الصغيرة المؤدية إلى الحديقة. هناك سبعُ درجاتٍ تصعد إلى البوابة، وعلى الجهة المقابلة ستُّ درجاتٍ تهبِط إلى الأسفل مرَّة أخرى -بُنيت على هذا النحو لمنع هروب الغزلان- بحيث إنَّ رأس الكاهن عندما وقف في البوابة كانت مرتفعة عن الأرض قرابة عشرة أقدامٍ أو أكثر. نَظَر إلى أفرع نباتات السرخس المتزاحمة التي تملأ الفراغ بين مجموعتين من أشجار الزان، فلَفَتَ نظره شيءٌ متعدِّد الألوان اهتزَّ لوهلة ثم اختفى. فجأة، أشرقت ملامحُ وجهِه، وتوتَّرت عضلاتُه. خفض رأسَه، وقبض على بندقيتِه بكلتا يديه، ووقف ساكنًا. بعدها، نزل الدَّرَج إلى الحديقة وهو يراقب بنظرة ثاقبة. وبينما لا يزال يمسك بندقيتَه بكلتا يديه، تسلَّل بدلًا من السير نحو غابة السرخس.

لم يتحرَّك شيءٌ، وكاد يشك أنَّ عينيه خدعتاه، حتى وصل إلى نباتات السرخس وخاض بينها إلى أن بلغ ارتفاعُها صدرَه، ثم ارتفع أمام وجهه فجأة على مبعدة عشرين ياردة أو أقل شيءٌ له ألوانٌ متغيِّرة، وشرع يضرب الهواء بجناحيه، وبعد لحظة أخرى، رفرف فوق السرخس وفَرَدَ جناحيه على اتساعِهما. رآه الكاهن فاضطرب، وأطلق النار تحت تأثير المفاجأة، وبحكم العادة.

ندَّت صرخة ألمٍ رهيبٍ، وضرب الجناحان الهواءَ مرتين، ثم مالتْ الضحية سريعًا للأسفل، وارتطمتْ بالأرض، وتكوَّم الجسدُ على الأرض، وظلَّ يصارع ويتلوَّى على المنحدر المكسو بالعشبِ خلفه، وجناحُه مكسورٌ وريشُه المتطاير ملطَّخٌ بالدماء.

وقف الكاهن مذعورًا، وبندقيته في يده يتصاعد منها الدخان. لم يكن طائرًا على الإطلاق، بل شابًا ذا وجهٍ فائق الجمال، يرتدي ثوبًا بلون الزعفران، وله جناحان تتغيَّر ألوانُهما تبعًا لزاوية النظر، وعلى ريشه تعاقبت موجاتٌ قوية من الألوان: فيضٌ من الأرجواني والقرمزي والأخضر الذهبي والأزرق الداكن، بينما هو يتلوَّى من الألم. لم يسبق للكاهن وأن رأى من قبل مثل هذا الفيض الرائع من الألوان، لا على النوافذ الزجاجية الملونة، ولا على أجنحة الفراشات، ولا حتى في جمال الألوان التي يمكن رؤيتُها في المنشور البلَّوري. لم تكن هناك أيُّ ألوانٍ على ظهر الأرض تضاهيها. رفع الملاك نفسَه مرتين، لكنَّه سقط على جانبِه مرَّة أخرى، ثم ضعفتْ ضرباتُ جناحيه، وصار الوجه المرعوب شاحبًا، وانحسر فيضُ الألوان، واستلقى منبطحًا على الأرض فجأة وهو يشهق، وتلاشتْ درجات الألوان المتغيِّرة للجناحين المكسورين بسرعة، لتتحوَّل إلى لونٍ رماديٍّ باهتٍ مُوحدٍ.

صاح الملاك (حيث كان ملاكًا بالفعل)، وهو يرتجف بعنفٍ، ويداه ممدودتان وتتشبَّثان بالأرض:

- أوه! ما الذي حدث لي؟

ثم رقد بلا حراكٍ.

قال الكاهن:

- يا إلهي! لم تكن لديَّ أدنى فكرة.

ثم تقدَّم بحذرٍ، وقال:

- أرجو المعذرة. أخشى أنَّني أطلقتُ عليكَ النارَ.

كان ما أعلنه واضحًا تمامًا.

بدا الملاك كأنَّه انتبه لوجودِه لأوَّل مرَّة. رفع نفسَه بيدٍ واحدة، وحدَّقت عيناه البنيَّتان إلى عيني الكاهن. بعد ذلك، شهق وعضَّ شفته السفلى، وكافح وهو يعتدل في وضع الجلوس، وتفحَّص الكاهن من رأسِه حتى أخمص قدميه.

أمسك الملاك جبهتَه، وقال:

- رجلٌ! رجلٌ بملابس سوداء عجيبة، ولا تكسوه ريشة واحدة! لم أُخدع إذَنْ. أنا في أرض الأحلام بالفعل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الكاهن والملاك

هناك بعضُ الأشياء المستحيلة فحسب، وسوف يعترف أصحابُ أقل العقول نباهة بأنَّ هذا الموقف مستحيلٌ. وعلى الأرجح فإنَّ المؤسسات العلمية ستذكر الشيء ذاتَه في حال ما إذا راجعت هذا الأمر. يمكن أن يتقبَّل العقلُ السراخسَ المرقشة بضوء الشمس، وأشجار الزان المنتشرة، والكاهن والبندقية، لكنَّ هذا الملاك أمرٌ مختلفٌ. من النادر أن يُقدِم الأشخاص الطبيعيون من العقلاء على مواصلة قراءة مثل هذا الكتاب العجيب. وكان الكاهن مدركًا تمامًا لاستحالة هذا الأمر، لكنَّه كان يفتقر لسرعة اتخاذ القرار، إلَّا أنَّه ما لبث أن حزم أمرَه، كما ستعلم في الحال. كان يعاني من حرارة الجو، وقد فات موعدُ العشاء، ولم يكن في حالة مزاجية تسمح بالتفكير الذهني العميق. زاد الملاكُ الأمرَ عليه صعوبة، وشتَّت انتباهَه عن القضية الرئيسة من خلال تغيُّر ألوان جناحيه التي لم تكن ذات أهمية في ذلك السياق، ورفرفته العنيفة. للحظة، لم يطرأ على بال الكاهن أن يتساءل ما إذا كان الملاك ضربًا من ضروب المستحيل أم لا. تقبَّله كواقعٍ في غمرة ارتباك اللحظة، وانقضى الأمر. فلتضعي نفسكِ مكانه، أيتها المؤسسات العلمية العزيزة؛ تخرج للرماية، فتصيب شيئًا (هذا وحده كفيلٌ بإشعاركِ بالارتباك) ثم تجد أنَّك أطلقت النارَ على ملاكٍ، يتلوَّى من الألم لدقيقة تقريبًا، قبل أن يعتدل جالسًا ويوجِّه لك الحديث، من دون أن يندَّ عنه أيُّ شيءٍ ينمُّ عن كون وجودِه من ضروب المستحيل، بل إنَّه في الواقع يبادرك أنتَ بالهجومِ مباشرة، ويشير نحوكَ، قائلًا:

- رجلٌ! رجلٌ بملابس سوداء عجيبة، ولا تكسوه ريشةٌ واحدةٌ! لم أُخدع إذَنْ. أنا في أرض الأحلام بالفعل!

وعليكَ أن تجيبه، ما لم تلذ بالفرار، أو تحسم الجدل بتفجير دماغه بطلقة ثانية من بندقيتك.

أجاب الكاهن:

- أرض الأحلام! فلتعذرني إذا أخبرتُك أنَّك خرجتَ منها للتوِّ.

قال الملاك:

- كيف ذلك؟

قال الكاهن:

- جناحُكَ ينزف. قبل أن نتحدَّث، هلَّا منحتني الشرف -الشرف المشوب بالحزن- لتضميدِه؟ أنا حقًّا آسفٌ للغاية.

وضع الملاكُ يدَه وراء ظهرِه وجفل.

ساعد الكاهن ضحيتَه على الوقوف. استدار الملاك بجدية، وتفحَّص الكاهن الجناحين المصابين بعناية، مع كمٍّ لا يُحصى من اللهاث المتقطِّع الخافت. (لاحظ بنوعٍ من الاهتمام أنَّهما متصلان بمفصلٍ بتجويفٍ ثانٍ من نوعٍ ما، على الطرف الخارجي العلويِ للوح الكتف. لم يُصَب الجناح الأيسر بالكاد، باستثناء فقدان بعض ريش الطيران، وإصابة أو نحو ذلك من أثر الطلقة في عظام الجناح، لكن بدا من الواضح أنَّ عظام العضد الأيمن قد تهشَّمت). أوقف الكاهن النزيف قدر استطاعتِه، وضمد العظام بمنديل جيبِه، ووشاح العنق الذي كانت

مدبِّرة منزله تجبره على حملِه في جميع أنواع الطقس.

قال الكاهن وهو يتحسَّس العظام:

- أخشى أنَّك لن تكونَ قادرًا على الطيران لبعضِ الوقت.

قال الملاك:

- لا يعجبني هذا الإحساسُ الجديدُ.

- الألم عندما أتحسَّس عظامَكَ؟

قال الملاك:

- الـ... ماذا؟

- الألم.

- أهذا هو الاسم الذي تطلقه عليه؟ لا، بالتأكيد لا يعجبني الألم، هل لديكم الكثيرُ من هذا الألم في أرض الأحلام؟

قال الكاهن:

- لدينا منه ما فيه الكفاية. هل هو أمرٌ جديدٌ بالنسبة لكَ؟

قال الملاك:

- جديدٌ تمامًا. ولا يعجبني ذلك.

قال الكاهن وهو يعضُّ طرفَ شريطٍ من الكتان كي يربطَ عقدةً:

- يا لَلغرابة! أعتقدُ أنَّه يجب على هذه الضمادة أن تفي بالغرض في الوقت الحاضر. سبق وأن درستُ عمل الإسعافات من قبل، لكنَّني لم أدرس أبدًا كيفية تضميد جروح الأجنحة. هل شرع ألمُك يخفُّ؟

قال الملاك:

- إنَّه حارقٌ الآن، بدلًا من كونِه يخفق كالنبض.

قال الكاهن وهو لا يزال يولِّي الجرحَ اهتمامَه:

- أخشى أنَّك ستشعر بهذا الإحساس الحارق لبعض الوقت.

هزَّ الملاكُ جناحَه، والتفت ليتأمَّل الكاهن مرَّة أخرى. كان قد حاول إبقاءَ عينه على الكاهن وراء كتفه طوال حديثهما. تأمَّله بحاجبيْن مرفوعيْن من قمة رأسِه حتى أخمص قدميه، وارتسمتْ ابتسامةٌ على وجهِه الجميل ذي الملامح الهادئة.

قال بضحكة صغيرة عذبة:

- كم يبدو غريبًا، أن أتبادل الحديثَ مع إنسانٍ!

قال الكاهن:

- أتدري، عندما أفكر في الأمر، فإنَّ حديثي مع ملاكٍ يبدو على ذات القدر من الغرابة. أنا

شخصٌ واقعيٌّ إلى حدٍّ ما. يجب على الكاهن أن يكون كذلك، ولطالما اعتبرتُ الملائكةَ مجردَ مفهومٍ فنيٍّ.

- هذه بالضبط هي فكرتُنا عن البشر.

- لكن من المؤكَّد أنَّك شاهدتَ الكثيرَ جدًّا من البشر.

- لم يسبق لي ذلك قطُّ قبل اليوم. رأيتهم كثيرًا بالطبع في الصور والكتب. لكنَّني شاهدتُ العديدَ منهم منذ شروق الشمس، رجالًا حقيقيين من لحمٍ ودمٍ، إلى جانب حصانٍ واحدٍ على الأقل -تلك الكائنات الشبيهة بأحادي القرن كما تعرف، لكنَّها بلا قرونٍ- وعددًا كبيرًا من تلك الأشياء القبيحة ذات البروزات الكثيرة التي تُسمَّى أبقارًا. شعرتُ بالخوف بعضَ الشيء بطبيعة الحال لرؤية هذا العدد الكبير من الوحوش الأسطورية، وأتيتُ هنا للاختباء حتى يحلَّ الظلام. أعتقد أنَّ الظلام سوف يحلُّ بعد قليلٍ، مثلما كان الحال في البداية. يا إلهي! هذا الشيء الذي تُطلِقون عليه اسمَ الألمِ مزعجٌ للغاية. أتمنَّى أن أستيقظ قريبًا.

قال الكاهن وهو يعقد حاجبيه ويضرب جبينه براحة يدِه:

- لا أفهمك بوضوحٍ. وحشٌ أسطوريٌّ!

كان أسوأ لقبٍ أُطلِق عليه في السابق منذ سنواتٍ هو «رجلٌ من العصور الوسطى» (من جانب أحد دعاة سحب اعتراف الدولة بالكنيسة).

- هل أفهم من ذلك أنَّك تعتبرني مثل... مثل شيءٍ تراه في حُلمٍ؟

قال الملاك بابتسامة:

- بالطبع.

وهذا العالم المحيط بي، بأشجارِه الضخمة وأفرعِها المنتشرة؟ -

قال الملاك:

- كلُّ هذا يبدو كالحُلم إلى حدٍّ بعيدٍ. تمامًا مثل الأحلام التي يراها المرء، أو ما يتخيَّله الفنَّانون.

- لديكم فنَّانون إذَنْ، بين الملائكة؟

- جميع أنواع الفنانين. ملائكة لهم خيالٌ رائعُ، يخترعون البشرَ والأبقارَ والنسورَ، وآلاف المخلوقات المستحيلة.

- قال الكاهن:

- مخلوقات مستحيلة!

أجاب الملاك:

- مخلوقات مستحيلة. أساطير.

قال الكاهن:

- لكنَّني حقيقيٌّ! أؤكد لكَ أنني حقيقيٌّ!

هزَّ الملاك جناحيه وجفل، ثم ابتسم، وقال:

- دومًا ما أستطيع تمييز أحلامي من الواقع.

قال الكاهن:

- أنتَ... تحلم!

ثم تلفَّت حوله.

كرَّر قائلًا بينما عقله يعمل بشدة:

- أنتَ تحلم!

مدَّ يدَه وهو يحرك كلَّ أصابعه، وقال:

- وجدتُها! بدأتُ أفهم.

شرعت فكرة رائعة حقًّا تتشكَّل في عقلِه؛ في النهاية، لم تذهب دراستُه للرياضيات في كامبريدج هباءً.

- أخبرني من فضلِكَ، عن بعض الحيوانات من عالمِكَ. عن العالم الحقيقي، والحيوانات الحقيقية التي تعرفها.

أجاب الملاك مبتسمًا:

- حيوانــات حقيقيــة؟ هناك حيوانــات الجريفين، والتنانين، والجابــروك، والشيروبيم، وأبو الهــول، والهيبوجريف، وحــوريات البحر، والساتير، و...

قال الكاهن، وقد بدا أنَّ الملاك شرع يتحمَّس للحديث:

- أشكرك. شكرًا، هذا يكفي تمامًا. بدأتُ أفهم.

توقَّف للحظة، وقطَّب ملامحه.

- أجل، بدأتُ أفهم.

سأله الملاك:

- تفهم ماذا؟

- الجريفين والساتير وما إلى ذلك. الأمر واضحٌ وضوح...

قال الملاك:

- لا أفهم.

- لا، بيت القصيد هو أنَّه لا يمكن رؤيتهم في هذا العالم. لكنَّ ذوي الخيال من بني جنسنا أخبرونا كلَّ شيءٍ عنهم، كما تعلم. وحتى أنا في بعض الأحيان... هناك أماكن في هذه القرية حيث يتوجَّب عليك أن تتقبَّل ببساطة ما يُطرح أمامك، كي لا تثير حفيظة أحد. أمَّا أنا، فأقول إنَّني رأيتُ في أحلامي الجابروك، ووحوش البوجل، ونباتات الماندريك. تُعد هذه الأشياء من وجهة نظرنا، كما تعلم، كائناتٍ من عالم الأحلام.

قال الملاك:

- كائنات من عالم الأحلام! يا لَلغرابة! هذا حُلمٌ عجيبٌ للغاية. إنَّه مقلوبٌ رأسًا على عقب! أنتَ تعتبر البشرَ حقيقيين، والملائكة خرافة. يكاد هذا الأمرُ يجعلني أعتقد أنَّه -بطريقة غريبة- لا بُدَّ أن يكون هناك عالمان بطبيعة الحال.

قال الكاهن:

- عالمان على الأقل.

- متواجدان بالقرب من بعضهما، ومع ذلك لا يكادان يشتبهان في الأمر.

- متقاربان مثل صفحتين في كتابٍ.

- عالمان يخترق كلٌّ منهما الآخر، بينما يحيا كلٌّ منهما حياتَه الخاصَّة. هذا حُلمٌ عجيبٌ حقًّا!

- ولا يحلم أحدٌ في أي عالمٍ منهما بوجود الآخر أبدًا.

- إلَّا عندما يخلد الناس إلى النَّوم ويحلمون!

تفكَّر الملاك، وتابع قائلًا:

- أجل. لا بُدَّ من أنَّ الأمرَ شيءٌ من هذا القبيل. وهذا يذكرني. أحيانًا عندما كنتُ أغفو، أو حينما كان يغلبني النُّعاسُ تحت شمس الظهيرة، كنتُ أرى وجوهًا محززة غريبة مثل وجهِك تمامًا تمرُّ بجانبي، وأشجارًا تكسوها الأوراق الخضراء، وأرضًا غريبة غير مستوية مثل هذه الأرض. لا بُدَّ من أنَّ هذا هو الأمر. لا بُدَّ من أنَّني سقطتُ في عالمٍ آخر.

شرع الكاهن في الحديث قائلًا:

- أحيانًا في وقت النَّوم، وأنا على مشارف الحافة بين الوعي والسبات، كنت أرى وجوهًا في مثل جمال وجهِكَ، وصورًا غريبة مبهرة لمشهدٍ رائعٍ يجري أمامي، تحلِّق فوقه أشكالٌ مجنَّحة، وكائناتٌ رائعة -وأحيانًا مريعة- تتحرَّك جيئةً وذهابًا. كما سمعتُ موسيقى عذبة أيضًا تتردَّد في أذني. ربما كان الأمرُ أنَّنا كلَّما صرفنا انتباهنا عن عالم الحواس المحيط بنا، وعبرنا إلى هدوء لحظات الاسترخاء، ظهرتْ عوالمُ أخرى، تمامًا مثلما نرى النجوم، تلك العوالم الأخرى في الفضاء، عندما ينحسر وَهَج النهار. والحالمون أصحابُ الحسِّ الفني هم من يرون هذه الأشياء بوضوحٍ أكثر.

نظر بعضُهما إلى بعضٍ.

قال الملاك:

- وبطريقة ما غير مفهومة، سقطتُ أنا من عالمي لأصير في عالمِكَ هذا! في عالم أحلامي، وقد صار حقيقيًّا.

تلفَّت حوله وكرَّر قوله:

- في عالم أحلامي، وقد صار حقيقيًّا.

قال الكاهن:

- الأمرُ مثيرٌ للحيرة. يكاد هذا يجعل المرء يظنُّ أنَّه قد تكون هناك (إحم) أربعة أبعادٍ في نهاية المطاف. في هذه الحالة بالطبع...

واصل الحديثَ بسرعة -فقد كان مغرمًا بالنظريات الهندسية، ويفتخر بدرايتِه بها- وقال:

- قد يكون هناك عددٌ غيرُ معلومٍ من الأكوان ثلاثية الأبعاد المتراصَّة جنبًا إلى جنب، يحلم سكان كلٍّ منها على نحوٍ غامضٍ بالآخر. قد يكون هناك عالمٌ فوق عالمٍ، وكونٌ فوق كونٍ. هذا ممكنٌ تمامًا، فالأشياء التي من الممكن جدًّا حدوثها هي أقصى درجات اللا معقول. لكنَّني أتساءل عن كيفية خروجِك من عالمِكَ لتسقط هنا في عالمي؟

قال الملاك:

- يا إلهي! هناك غزالٌ وأيل! تمامًا مثل تلك التي يرسمونها على شعارات النبالة. كم يبدو كلُّ هذا عجيبًا! هل يمكن حقًّا أن أكون مستيقظًا؟

فرك عينيه بأصابعه.

مرَّت ستة غزلان مرقطة وهي تسير في صفٍّ واحدٍ مائلٍ بين الأشجار، وتوقَّفتْ وهي تراقبه.

قال الملاك:

- هذا ليس حُلمًا. أنا بالفعل ملاكٌ حقيقيٌّ تمامًا، في أرض الأحلام.

ثم ضحك.

وقف الكاهن الموقَّر يتفحَّصه، وقد عوج فمَه كما كانت عادته، وأخذ يداعب ذقنَه ببطءٍ. كان يسأل نفسَه ما إذا كان هو الآخر في أرض الأحلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



عرف الكاهن من خلال محادثاتٍ عديدة أنَّ أرضَ الملائكة لا وجودَ فيها للألمِ والمتاعب والموت، ولا وجود للزواج أو التزويج، ولا ولادة ولا نسيان. في بعض الأحيان فقط، تنشأ أشياءٌ جديدة. إنَّها أرضٌ بلا تلالٍ أو وديان، مستوية على نحوٍ رائعٍ، تتلألأ بمبانٍ غريبة، ولا ينقطع عنها ضوءُ الشمسِ، والبدرُ المكتمل، ويهبُّ بها النسيمُ باستمرارٍ مُصدرًا موسيقى عذبة عند مرورِه بين أفرع الأشجار المتشعبة. إنَّها أرض العجائب، بها بحارٌ متلألئة معلَّقة في السماء، تبحر عبرها أساطيلُ غريبةٌ، لا يعرف أحدٌ وجهتَها. تتوهَّج الأزهار هناك في السماء، وتلتمع النجوم حول أقدام المرء، ويحلو طعمُ الحياة. تمتدُّ الأرضُ إلى ما لا نهاية - فلا يوجد نظامٌ شمسيٌّ، ولا فضاءٌ خالٍ بين النجوم كما هو الحال في عالمنا- ويرتفع الهواء للأعلى متجاوزًا الشمس إلى أبعد أبعاد سمائهم. ولا وجود لشيء هناك سوى الجمال، حيث إنَّ كلَّ الجمال الموجود في فنِّنا ما هو إلا عرضٌ ضعيفٌ للمحاتٍ خافتة من ذلك العالم الرائع. وأنَّ ملحنينا ومؤلفينا الموسيقيين المبدعين هم أولئك الذين يسمعون، حتى ولو على نحوٍ خافتٍ، غبارَ الألحان التي تذروها ريحُهم. وكانت هناك ملائكةٌ ووحوشٌ عجيبة من البرونز والرخام والنار الحيَّة تجوب المكان جيئة وذهابًا.

إنَّها أرضٌ يسودها القانون -فكلُّ شيء يخضع للقانون- لكنَّ جميع قوانين هذا العالم تختلف عن قوانيننا بطريقة غريبة. هندستهم مختلفة، لأنَّ الفضاءَ لديهم به منحنى، بحيث تصير كلُّ الأسطح لديهم أسطوانية الشكل. ولا يتوافق قانونِ الجاذبية لديهم مع قانون التربيع العكسي. كما أنَّ هناك أربعة وعشرين لونًا أساسيًا بدلًا من ثلاثة فحسب. معظم الأشياء المبهرة في علومِنا هي أشياءٌ عادية هناك، وكلُّ علومِنا الدنيوية ستبدو لهم وكأنَّها أحلامٌ جنونية. وعلى سبيل المثال، لا توجد أزهارٌ على نباتاتهم، بل نفثاتٌ من اللهب الملون. وسوف يبدو هذا محض هُراء فحسب بالنسبة لكَ، لأنَّك لا تفهم معظم ما قاله الملاك للكاهن. وفي الواقع فلم يستطع الكاهن نفسُه استيعابه، لأنَّ تجاربه الشخصية المنتمية لهذا العالم المادي فقط حالت دون فهمه. كان الأمر أغرب من الخيال.

لم يتمكَّن الملاك ولا الكاهن من معرفة ما أدَّى لاصطدام هذيْن العالميْن التوأم ببعضهما، مما جعل الملاك يسقط فجأة في سيدرفورد. ولم يعرف حتى كاتب هذه القصة السبب، حيث إنَّه معنيٌّ بوقائع القضية، وليست لديه الرغبة ولا الثقة الكافية لتفسيرِها. التفسيرات ما هي إلَّا مغالطة من مغالطات العصر العلمي. والحقيقة الأساسية في هذه القضية هي ما يلي: أنَّه في حديقة سيدرمورتون، في الرابع من أغسطس، عام 1895، وقف ملاكٌ مشرقٌ وجميلٌ، ما زال يعلق به بعضُ بهاء عالمٍ رائعٍ لا يوجد به حزنٌ ولا تنهُّداتٌ، وهو يتبادل الحديثَ مع كاهن سيدرمورتون حول تعددية العوالِم. والمؤلِّف على استعدادٍ لأن يقسم بظهور الملاك، لو اضطرَّ لذلك، لكنَّه غيرُ مستعدٍّ لِمَا هو أكثر من ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



قال الملاك:

- لديَّ شعورٌ غريبٌ للغاية.. هنا. لقد أحسستُ به منذ شروق الشمس. لا أذكر أنَّني أحسستُ بأي شعورٍ.. هنا، من قبل.

قال الكاهن:

- أتمنَّى ألَّا يكون شعورًا بالألم.

- أوه، لا! إنَّه مختلفٌ عن ذلك إلى حدٍّ بعيدٍ؛ نوعٌ من الشعور بالفراغ.

شرع الكاهن في الحديث وهو يتحسَّس ذقنَه:

- ربَّما يكون الضغط الجوي مختلفًا بعض الشيء.

- وهل تدري، لديَّ أيضًا شعورٌ بالغُ الغرابة في فمي، تقريبًا كما لو -الأمر سخيفٌ لأبعد حدٍّ!- كما لو كنت أرغب في إدخال الأشياء به.

قال الكاهن:

- يا إلهي! بالطبع! أنتَ جائعٌ!

قال الملاك:

- جائعٌ؟ ما الذي يعنيه ذلك؟

- ألا تأكل؟

- آكل! الكلمة جديدة تمامًا بالنسبة لي.

- أي تضع الطعامَ في فمِكَ. كما تعلم، يجب على المرء أن يفعل ذلك هنا. سرعان ما سوف تتعلَّم. إذا لم تفعل، ستصير ناحلًا وبائسًا، وسوف تعاني من قدرٍ كبيرٍ من... الألم، كما تعرف، وستموت في النهاية.

قال الملاك:

- أموت! هذه كلمةٌ غريبةٌ أخرى!

قال الكاهن:

- إنَّها ليست غريبةً هنا. إنَّها تعني الرحيلَ، كما تعلم.

أجاب الملاك:

- نحن لا نرحل أبدًا.

قال الكاهن متفكِّرًا:

- أنتَ لا تعرف ما قد يحدث لكَ في هذا العالم. إذا كنتَ تحسُّ بالجوع، وتشعر بالألم، وقد انكسر جناحُكَ، فقد تموت حتى قبل أن تخرج منه مرة ثانية. على أي حالٍ، من الأفضل أن تجرِّب تناول الطعام. أما عن نفسي -إحم!- فهناك الكثير من الأشياء الأخرى المزعجة.

قال الملاك:

- أعتقد أنَّه من الأفضل أن آكل، إذا لم يكن الأمرُ بالغَ الصعوبة. لا يعجبني هذا الذي تسمِّيه «ألمًا»، ولا يعجبُني هذا «الجوع». إذا كان ما تسمِّيه «موتًا» يشبهه بأي شكلٍ من الأشكال، فإنَّني أفضِّل تناول الطعام. يا لَغرابة هذا العالم!

قال الكاهن:

- بصفة عامة، فإنَّ الموتَ يُعتبر أسوأ من الألم أو الجوع... تبعًا للظروف.

قال الملاك:

- يجب أن تشرح لي كلَّ هذا لاحقًا، إلَّا في حال ما إذا استيقظت. أمَّا الآن، أرني من فضلكَ كيف أتناول الطعام، لو تكرَّمتَ. أشعر بنوعٍ من الرغبة المُلِحَّة.

قدَّم الكاهن ساعدَه للملاك، وقال:

- أستميحك عذرًا. هلَّا منحتني شرف استضافتِكَ؟ منزلي يقع هناك، على مبعدة أقل من ميلَيْن من هنا.

قال الملاك متحيِّرًا بعض الشيء:

- منزلك؟

لكنَّه تأبَّط ذراع الكاهن بودٍّ، وتبادل الاثنان الحديثَ في طريقهما، وهما يخوضان ببطءٍ خلال نباتات السرخس الكثيفة المرقَّطة بالشمس أسفل الأشجار، وعبرا سُلَّم بوابة سور الحديقة، وهكذا مرَّا من خلال نباتات الخلنج التي احتشد بها النحل، لمسافة ميلٍ أو أكثر وهما يهبطان التلَّ في الطريق إلى المنزل.

كنتَ ستشعر بالافتتان بهذين الاثنين إذا رأيتهما. كان الملاك ضئيلَ القامة، لا يتجاوز طولُه خمسة أقدامٍ، وله وجهٌ جميلٌ يكاد يكون أنثويًّا، مثلما يمكن أن يرسمه أحدُ كِبار الفنانين الإيطاليين (وفي الواقع فهناك لوحة في المعرض الوطني بعنوان «توبياس والملاك»، رسمها فنانٌ غيرُ معروفٍ، لا تختلف عنه كثيرًا فيما يتعلَّق بملامح الوجه وبالروح). كان يرتدي ببساطة ثوبًا بلون الزعفران مشغولًا باللون الأرجواني، يكشف عن ركبتيه، وكان حافي القدمين، وجناحاه (اللذان صارا مكسورين الآن، ولونهما رماديٌّ مثل الرصاص) مطويان خلفه. كان الكاهن قصيرًا ممتلئ القوام إلى حدٍّ ما، ووجهُه ضاربٌ إلى الحمرة، وله شعرٌ أحمر، حليق الذقن، وبعينين بنيَّتين مشرقتين. كان يعتمر قبعة من القشِّ متعددة الألوان لها شريطٌ أسود، ويرتدي رابطة عنق بيضاء فائقة الأناقة، وسلسلة جميلة من الذهب يتدلَّى منها ساعة. بلغت به شدَّة الاهتمام برفيقِه درجة أنَّه لم يتذكَّر إلَّا عندما صار على مشارف منزله، أنَّه ترك بندقيته ملقاة حيث سقطت منه وسط نباتات السرخس.

ابتهج عندما عرف أنَّ حدَّة الألم قد خفَّت سريعًا في الجناح الذي ضمده.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



فريق
متميزون
E-BOOK

هامش عن الملائكة

دعونا نوضِّح أنَّ الملاك في هذه الحكاية هو ذلك الملاك الذي يتمُّ تصويره في الفن، وليس الملاك الذي يُوصم المرء بالازدراء إذا لمسه، كما أنَّه ليس الملاك الشائع في المعتقدات الدينية، ولا الملاك بالمفهوم التقليدي المعروف. جميعنا نعرف هذا المفهوم الأخير، فهذه الصورة التقليدية هي الوحيدة من بين حشد الملائكة السماوي التي لها هيئة أنثوية مميزة، تلبس رداءً نقيًّا طاهرًا أبيض اللون له أكمامٌ، وهي جميلة بشعرٍ ذهبيٍّ طويل الخصلات، ولها عينان في مثل زرقة السماء. إنَّها امرأة نقيَّة فحسب، عذراء طاهرة، أو أمٌّ نقية، بردائها الواسع، ولها جناحان متصلان بكتفيها. تتعلَّق مهامها بالمنزل والعاطفة، فهي ترعى المهد، أو تعاون روحًا شقيقة في طريقها إلى السماء. غالبًا ما تحمل واحدة من سعف النخيل، لكن لن يُفاجأ المرء إذا التقاها وهي تحمل مِدفأة فِراش إلى أحد الخُطاة المساكين الذي يعاني من البرد. هي التي نزلت مع جوقة على مارجريت في سجنِها، في المشهد الأخير المعدَّل من فاوست في المسرح. كما أنَّ الأطفال الصغار الذين يثيرون الاهتمام ويقدِّمون للمرء الدروس الأخلاقية، والذين قُدِّر لهم الموت قبل الأوان، تظهر لهم رؤى بمثل هذه الملائكة في روايات السيدة هنري وود. هذه الأنثى النقية، بسحر قداستها التي بعطر الخزامي الذي لا يُوصف، وعبق الحياة النظيفة المنظمة، تبدو في النهاية مجرد اختراعٍ جرمانيٍ بحتٍ. فالفكر اللاتيني لا يعرفها، ولا توجد في أعمال كِبار الفنانين القدماء. إنَّها تشبه تمامًا أعمال تلك المدرسة الفنية الرقيقة البريئة الأنيقة، حيث يكون أعظم نصرٍ يحققه العمل الفني هو خلق غُصَّة في حلْق من يشاهده، وحيث لا يوجد مكانٌ للدهاء والشهوة والسخرية والبذخ. خُلقت صورة الملاك الأبيض هذه في ألمانيا، في أرض النساء الشقراوات، ومشاعر الارتباط بالحياة المنزلية. تأتي إلينا هادئة وورعة، ونقية ووادعة، تبعث في النفس السكونَ والهدوءَ، مثل ذلك الذي يبعثه اتساع وهدوء السماء المرصَّعة بالنجوم، والتي هي أيضًا عزيزة للغاية على الروح الجرمانية. نبجِّلها كما نبجِّل ملائكة العبرانيين، تلك الأرواح القوية الغامضة، وكما نبجِّل رافائيل وسداكيال وميكائيل، الذين لم يقبض على طيفهم سوى واتس في لوحاتِه، ولم يرَ عظمتهم سوى بليك.

لكنَّ الملاك الذي أطلق عليه الكاهنُ النارَ، كما قلنا، ليس ملاكًا من هذا النوع على الإطلاق. بل هو ملاكٌ من الفنِّ الإيطالي، مبهجٌ ومتعدد الألوان. لقد أتى من أرض الأحلام الجميلة، وليس من أي مكانٍ آخر أكثر قداسة. إنَّه في أحسن الأحوال، كائنٌ ينتمي إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكيَّة. فلتصبر إذَنْ، على ريشِه المتناثر، ولا تتسرَّع بتوجيه الاتهام بعدم الاحترام، قبل قراءة القصة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



في منزل الكاهن

كانت زوجة مساعد الكاهن وابنتاها والسيدة جيهورام ما زلن يلعبن التنس بحماسٍ في الحديقة خلف غرفة مكتب الكاهن، ويتبادلن الحديث لاهثاتٍ عن النماذج الورقية لحياكة القمصان، لكن الكاهن نسي، وعبر من ذلك الطريق.

شاهدن قبعة الكاهن وهي تعلو فوق أشجار الورد، وبجواره رأسٌ مكشوفٌ بشعرٍ مجعَّدٍ.

قالت زوجة مساعد الكاهن:

- يجب أن أسأله عن سوزان ويجين.

وقفت ممسكة بالمضرب في يدٍ، وبكرة بين أصابع اليد الأخرى، وهي على وشك القيام بضربة الإرسال.

- كان يجب عليه حقًّا الذهاب لزيارتِها، حيث إنَّه هو الكاهن، وليس جورج. أنا... آه!

مرَّ الشخصان فجأة حول المنعطف، وصارا في مرمى البصر. كان الكاهن يتأبَّط ذراع...

فكما ترى، فوجئت زوجة مساعد الكاهن بالأمر. حيث إنَّ وجه الملاك كان مواجهًا لها، فلم ترَ شيئًا من جناحيه. ما رأته فحسب هو وجهٌ له جمالٌ لا مثيل له على الأرض، محاطٌ بهالة من الشعر الكستنائي، وجسدٌ رشيقٌ يكسوه ثوبٌ بلون الزعفران، يصل بالكاد إلى الركبتين. تذكر الكاهن هاتين الركبتين على الفور، فأصابه الفزع هو الآخر، كما فزعت الفتاتان والسيدة جيهورام، فزِع الجميع، وحدَّق الملاك بدهشة في هذه المجموعة المرتاعة، حيث لم يسبق له وأن شاهد أحدًا مفزوعًا من قبل.

قالت زوجة مساعد الكاهن:

- سيِّد هيليار! هذا يفوق قدرة المرء على الاحتمال!

وقفت عاجزة عن الحديث للحظة، ثم قالت «أوه!»، وبعدها استدارت مسرعة نحو الفتاتين اللتين تجمَّدتا في وضعهما، وقالت لهما: «هيَّا!». فتح الكاهن فمَه ثم أغلقه من دون النطق بكلمة. دار العالَم من حوله. ارتفع حفيف التنانير القطنية الخفيفة، بينما هرعت أربعة وجوه متقدة نحو الباب المفتوح للممرِّ الذي يمتدُّ بطول منزل الكاهن. أحسَّ بهيبته تغادره معهم.

قال الكاهن وهو يتقدَّم للأمام:

- سيِّدة ميندام! سيِّدة ميندام، أنتِ لا تفهمين الأمر!

قلن جميعًا مرَّة أخرى:

- أوه!

واحدة، اثنتان، ثلاث، أربع تنانير اختفت عبر المدخل. ترنَّح الكاهن حتى منتصف الطريق عبر الحديقة، ثم توقَّف مصابًا بالصدمة. أتاه صوت زوجة مساعد الكاهن من عمق الممرِّ وهي تقول:

- هذا هو ما يحدث عندما يكون الكاهن غير متزوج!

اهتزَّ حامل المظلات، وصُفق الباب الأمامي لمنزل الكاهن مصدرًا صوتًا كالبندقية. ساد الصمتُ لبعض الوقت.

قال الكاهن:

- كان عليَّ أن أتوقَّع ذلك. فهي دومًا متسرِّعة للغاية.

وضع يدَه على ذقنِه، كما هي عادته، ثم استدار نحو رفيقِه. بدا من الواضح أنَّ الملاكَ كان مهذبًا. كان يحمل مظلة السيِّدة جيهورام، التي تركتها على أحد المقاعد المصنوعة من الخيزران، ويتفحَّصها باهتمامٍ بالغٍ، ثم فتحها وقال:

- يا لها من آلة صغيرة غريبة! تُرى فيمَ تُستخدم؟

لم يرد الكاهن. كان زي الملاك بالتأكيد... أدرك الكاهن أنَّ العبارة الملائمة لوصفِه هي عبارة فرنسية، لكنه لم يستطع أن يتذكرها، فنادرًا ما كان يستخدم اللغة الفرنسية. كان يعلم أنَّها ليست «de trop»، التي تعني «زائدًا عن الحدِّ». أي عبارة أخرى، عدا «de trop». كان الملاك نفسه «de trop»، لكن بالقطع لم يكن زيه كذلك. آه! إنها عبارة «sans culotte»، أي بلا سروالٍ داخلي!

تفحَّص الكاهن زائره للمرة الأولى بعينٍ ناقدة، وحدَّث نفسَه قائلًا بصوتٍ خافتٍ:

- سيكون من الصعب تفسير مظهرِه.

غرس الملاك المظلَّة وسط الحشائش، وذهب ليستنشق عبير الورد الياقوتي. سقطت أشعة الشمس على شعره البني، فمنحته مظهرًا يكاد يشبه الهالة. وخز إصبعه، وقال:

- هذا غريبٌ! ألمٌ مرَّة أخرى.

قال الكاهن وهو يفكر بصوتٍ مرتفعٍ:

- أجل، إنَّه فائق الجمال والغرابة، كما هو الآن. من المفترض أن يعجبني أكثر هكذا، لكنني أخشى أنَّه من الواجب عليَّ التدخُّل.

اقترب من الملاك وهو يسعل بتوتُّرٍ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



قال الكاهن:

- هؤلاء كنَّ سيدات.

قال الملاك مبتسمًا وهو يتشمَّم الورد الياقوتي:

- يا لَلغرابة! أشكالهنَّ عجيبة!

أجاب الكاهن:

- ربما. هل... إحم... لاحظت كيف تصرَّفن؟

- لقد رحلن. بل في الواقع، بدا أنَّهنَّ هربن. هل كُنَّ خائفاتٍ؟ لقد أحسستُ أنا بالطبع بالخوف من الأشياء التي ليس لها أجنحة. آمل... هل شعرن بالخوف من جناحاي؟

قال الكاهن وهو يرمق القدمين الورديتين بنظرة لا إرادية:

- من مظهرِك بصفة عامة.

- يا إلهي! لم يخطر ذلك على بالي إطلاقًا. أعتقد أنَّ مظهري بدا غريبًا بالنسبة لهنَّ، كما بدا مظهرُكَ أنتَ بالنسبة لي.

ثم وجَّه نظرته للأسفل، وقال:

- وقدماي... لديكَ أنت حوافر مثل الهيبوجريف.

صحَّحه الكاهن قائلًا:

- بل حذاء.

- هل تُطلِق عليها مسمَّى حذاء إذَنْ؟ على أي حالٍ، أعتذر أنَّني أزعجت...

قال الكاهن وهو يداعب ذقنه:

- لدى نسائنا... إحم... آراءٌ غريبة -غير فنية نوعًا ما- فيما يتعلَّق بـ... إحم... الملابس. أخشى حقًّا أنَّ ارتداءك مثل هذه الملابس، رغم جمال زيك بكلِّ تأكيدٍ، سيجعلك تجد نفسَكَ... إحم... منعزلًا إلى حدٍّ ما عن المجتمع. لدينا مثلٌ بسيطٌ يقول: عندما تكون في روما... إحم... عليك أن تفعل كما يفعل الرومان. أؤكد لكَ أنَّه في حال ما إذا رغبت أن... إحم... تختلط بنا خلال زيارتِكَ غير المقصودة هذه...

تراجع الملاك إلى الوراء خطوة أو نحو ذلك، بينما اقترب الكاهن أكثر وأكثر في محاولته لأن يكون دبلوماسيًّا ويحافظ على سريَّة الحديث.

ظهرت الحيرة على وجه الملاك الجميل، وقال:

- لا أفهمك تمامًا. لِمَ تستمر في إصدار تلك الأصوات من حلقك؟ هل هو الموت أو الجوع أو أي من تلك...

قاطعه الكاهن قائلًا:

- بوصفي مضيفك...

ثم توقَّف عن الحديث.

قال الملاك:

- بوصفِكَ مضيفي...

- هل لديكَ مانعٌ، ريثما يتم تدبير أمر ترتيبات دائمة، من ارتداء... إحم... بدلة جديدة تمامًا، مثل هذه التي ألبسها أنا؟

قال الملاك:

- أوه!

تراجع للوراء ليتأمَّل الكاهنَ من قمة رأسِه حتى أخمص قدميه. قال:

- أرتدي ملابس كملابسِكَ؟

شعر بالحيرة، لكنَّه كان مستمتعًا في الوقت نفسِه. اتَّسعت عيناه والتمعتا، وتغضَّنت زاويتا شفتيه. قال وهو يصفق بكفَّيه معًا:

- رائع! يا له من حُلمٍ جنوني غريب! أين الملابس؟

وأمسك بفتحة عنق ثوبِه الذي بلون الزعفران.

قال الكاهن:

- في الداخل! من هنا. سوف تبدِّل ملابسك بالداخل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ارتدى الملاك زوجًا من ملابس الكاهن على النصف السفلي من جسده، وقميصًا مشقوقًا من الظهر (ليلائم الجناحين)، وجوربًا، وحذاء الكاهن الخاص بالمناسبات الرسمية، وياقة ورباط عنقٍ، ومعطفًا خفيفًا. لكنَّ ارتداء ذلك الأخير كان مؤلمًا، وتذكَّر الكاهن أنَّ الضمادات على جناحي الملاك مؤقتة.

قال الكاهن:

- سوف أطلب الشاي على الفور، ثم أرسل جراميت ليأتي بكرامب. وسنتناول العشاء قبل موعدِه.

بينما كان الكاهن يصيح مناديًا بأوامرِه من أعلى الدرابزين على بسطة السُّلَّم، تأمَّل الملاك نفسَه في المرآة الطويلة بسرورٍ بالغ. إذا كان الألمُ غريبًا بالنسبة له، فقد بدا من الواضح أنَّه -ربما بفضل الأحلام- لا يستغرب المتعة الناتجة عن التناقض العجيب.

تناولا الشاي في غرفة الاستقبال. جلس الملاك على مقعدٍ بلا ظهرٍ خاص بعزف الموسيقى (وذلك بسبب جناحيه)، وكان يرغب في البداية أن يستلقي على السجادة أمام المِدفأة. بدا وهو يرتدي ملابس الكاهن أقل إشراقًا إلى حدٍّ كبيرٍ مما كان عليه في المستنقع وهو يرتدي ملابس بلون الزعفران، لكنَّ وجهَه كان ما زال متألقًا، ولون شعره ووجنتيه زاهٍ بدرجة غريبة، كما التمعت عيناه بإشراقة غير عادية. لكنَّ جناحيه أسفل المعطف منحاه مظهرًا بدا معه كأنَّه أحدبُ الظهر. في الواقع، فقد جعلته الملابس يبدو كأنَّه من أهل الأرض إلى حدٍّ بعيدٍ، على الرغم من أنَّ البنطال كان به تجاعيدُ عرضية، والحذاء أكبر من مقاسِه بدرجة أو نحو ذلك.

كان لطيفًا على نحوٍ ساحرٍ، وجاهلًا تمامًا بأبسط أساسيات الحضارة. تعلَّم كيف يتناول الطعام دون صعوباتٍ تُذكَر، وقضى الكاهن وقتًا ممتعًا وهو يعلِّمه كيف يتناول الشاي.

قال الملاك:

- يا لها من فوضى! يا له من عالمٍ محبَّبٍ وغريبٍ وقبيحٍ، هذا الذي تعيش فيه! كم هو غريبٌ، أنَّكم تحشون فمكم بالأشياء! نحن نستخدم أفواهَنا للحديث والغناء فحسب. كما تعلم، فإنَّ عالمنا يتصف بجمالٍ لا يُفنى، ولا نشاهد من القُبح إلَّا أقل القليل، لدرجة أنَّني أجدُ كلَّ هذا... ممتعًا.

نظرتْ السيدة هينيجر -مدبرة منزل الكاهن- إلى الملاك بريبة عندما أحضرت الشاي؛ ظنَّته شخصًا غريب الأطوار. ولا يدري أحدٌ ما الذي كانت ستظنُّه، لو رأته بملابسه التي بلون الزعفران.

تجوَّل الملاك في الغرفة حاملًا فنجان الشاي في إحدى يديه، والخبز والزبد في اليد الأخرى، وتفحَّص أثاث الكاهن. بالخارج أمام النوافذ الفرنسية الطراز، توهَّجت الحديقة بأزهارِها من الداليا ودوار الشمس، تحت ضوء الشمس الدافئ، وبقيت مظلَّة السيدة جيهورام واقفة هناك كمثلثٍ من اللهب. بدا وجود صورة الكاهن فوق رفِّ المِدفأة أمرًا فائق الغرابة حقًّا بالنسبة للملاك، ولم يفهم سببَ وجودِها هناك.

علَّق على الصورة قائلًا:

- لِمَ تريد نفسك مسطَّحًا، في حين أنَّ لديك بالفعل جسدَكَ المستدير؟

كما أنَّه وجد حاجز المِدفأة الزجاجي بالغ الطرافة، ووجد الكراسي المصنوعة من خشب البلوط غريبة. عندما شرح له الكاهن فائدتها، قال:

- أجسادُكم ليست مربعة الشكل، أليس كذلك؟ نحن لا نثني أجسادَنا على هذا النحو أبدًا، بل نستلقي على زهور البرواق عندما نرغب في الراحة.

قال الكاهن:

- أصدقك القول، لطالما أصابتني الكراسي بالحيرة أنا الآخر. أظنُّ أنَّها تعود إلى عصورٍ كانت الأرضيات فيها باردة ومتسخة للغاية. وأعتقد أنَّنا أبقينا هذه العادة. صار الجلوس على الكراسي أمرًا مترسِّخًا لدينا. على أي حال، إذا ذهبت لزيارة إحدى بنات الأبرشية، واستلقيتَ على الأرض فجأة -بطريقة طبيعية- فلا أدري ما الذي سوف تفعله. سينتشر الخبرُ في جميع أنحاء الأبرشية على الفور. ومع ذلك، فيبدو أنَّ الاستلقاء هو الطريقة الطبيعية لنيل الراحة. الإغريق والرومان...

قال الملاك فجأة:

- ما هذا؟

- هذا طائرٌ محنَّطٌ من فصيلة طيور الرفراف. لقد قتلتُه.

- قتلتَه!

قال الكاهن:

- أطلقتُ عليه الرصاص، بالبندقية.

- أطلقتَ عليه الرصاص! كما فعلتَ بي؟

- أنا لم أقتلكَ، كما ترى، لحسن الحظ.

- هل هذا ما يحدث إذا تعرضتُ للقتل؟

- نوعًا ما.

- يا إلهي! وأنت أردتَ أن تفعل هذا بي. أردتَ أن تركِّب لي عينين زجاجيتين، وتربطني داخل صندوقٍ زجاجيٍّ مليءٍ بأشياءٍ خضراء وبنيَّة قبيحة هكذا؟

شرع الكاهن في الحديث قائلًا:

- كما ترى، لم أكن أفهم تمامًا...

سأل الملاك فجأة:

- هل هذا هو الموت؟

- هذا ميت. لقد مات.

- يا لَلصغير المسكين. يجب عليَّ تناول الكثير من الطعام. لكنَّك تقول أنَّك قتلته. لماذا؟

قال الكاهن:

- كما ترى، فأنا مهتمٌّ بالطيور، وأنا... إحم... أقوم بجمعِها. أردتُ هذه العينة...

حدَّق فيه الملاك للحظة بعينين حائرتين. ثم قال وهو يرتعد:

- طائر جميل مثل هذا! لمجرد أنَّك شعرتَ برغبة في ذلك! أردتَ الحصولَ على العيِّنة!

تفكَّر لدقيقة، ثم سأل الكاهن:

- هل تمارس القتل كثيرًا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



رجل العلم

بعد ذلك، وصل الدكتور كرامب، بعد أن التقاه جراميت على بُعد مئة ياردة من بوابة منزل الكاهن. كان رجلًا ضخمًا، بدينًا إلى حدٍّ ما، حليق الوجه وله لُغدٌ. كان يرتدي معطفًا صباحيًّا رماديّ اللون (حيث كان يميل دومًا إلى اللون الرمادي)، وربطة عنقٍ منقوشة بمربعاتٍ باللونين الأبيض والأسود. دخل وحدّق في وجه الملاك المشرق من دون أن يظهر عليه أيٌّ أثرٍ للمفاجأة، وقال:

- ما المشكلة؟

قال الكاهن:

- هذا... إحم... السيد... أو، آه... الملاك...

انحنى الملاك على سبيل التحية، وواصل الكاهن الحديثَ:

- يعاني من طلْقٍ ناري.

قال الدكتور كرامب:

- جُرِح بسبب طلقٍ ناري! في يوليو؟ هل تسمح لي بأن أفحصه، يا سيد... أعتقد أنَّك قلت ملاك؟

قال الكاهن:

- سوف يكون قادرًا على تسكين ألمِكَ في الغالب. هلَّا تركتني أساعدك في خلع معطفِكَ؟

استدار الملاك طائعًا.

تمتم الدكتور كرامب بصوتٍ مسموعٍ وهو يسير ليواجه ظهر الملاك:

- انحناءٌ بالعمود الفقري؟ لا، بل ورمٌ. يا للعجب! هذا أمرٌ غريبٌ!

أمسك بالجناح الأيسر، وقال:

- ازدواج في الأطراف العلوية. ناتئ غرابي مشقوق. هذا ممكنٌ بالطبع، لكنَّني لم أره من قبل.

جفل الملاك تحت يديه.

- العضد، والكعبرة، والزند، كلها موجودة. الأمر وراثيٌّ، بالطبع. العضد مكسور. تبدو البشرة كأنَّها مكسوَّة بالريش. يا إلهي، كأنَّه طائرٌ! على الأرجح سيثير اهتمام علماء التشريح المقارن إلى حدٍّ كبيرٍ. لم أرَ مثيلًا له! كيف حدثت هذه الإصابة بالطلق الناري، يا سيد ملاك؟

أحسَّ الكاهن بالدهشة من أسلوب الطبيب العملي.

قال الملاك، وهو يحرك رأسَه مشيرًا تجاه الكاهن:

- صديقنا...

قال الكاهن موضحًا، وهو يتقدَّم للأمام:

- أنا السبب، لسوء الحظ. لقد ظننتُ أنَّ السيد... إحم... الملاك... طائرٌ ضخمٌ.

قال الدكتور كرامب:

- ظننته طائرًا ضخمًا؟ وماذا بعد؟ عيناك بحاجة للفحص، لقد أخبرتُكَ بذلك من قبل.

واصل الطبيب التربيت بيدِه، وتحسَّس موضع إصابة الملاك، وتواكبت مع حركته سلسلة من الهمهمات والغمغمات غير الواضحة. قال:

- لكن هذا التضميد جيدٌ جدًّا بالفعل، رغم أنَّه من عمل شخصٍ غير متخصص. أعتقد أنَّني سأبقي عليه. يا له من تشوُّهٍ غريبٍ! ألا يسبِّب لكَ المتاعب، يا سيد ملاك؟

دار الطبيب فجأة، كي يتمكَّن من النظر في وجه الملاك.

ظنَّ الملاكُ أنَّه يشير إلى الجرح. قال:

- أجل، نوعًا ما.

- لولا العظام، لقلت إنَّ عليك دهانه باليود ليلًا ونهارًا. لا شيء يضاهي اليود. يمكنُكَ حتى أن تدهن به وجهَك، حتى يصير مستويًا. لكن هذا النتوء عظمي، والعظام، كما تعلم، تعقِّد الأمور. يمكنني بترهما بالطبع، لكن ذلك ليس شيئًا يقوم به المرء على عجلٍ.

قال الملاك بذعرٍ:

- هل تقصد جناحاي؟

قال الطبيب:

- جناحان! هاه؟ أنت تُطلِق عليهما جناحين، إذَنْ! أجل، ماذا عساي أقصد سواهما؟

قال الملاك:

- تبترهما!

- ألا تعتقد ذلك؟ هذا شأنُكَ بالطبع، وأنا أقدِّم النصيحة فحسب.

شرع الملاك في الضحك، وقال:

- تبترهما! يا لكَ من كائنٍ مضحكٍ!

قال الطبيب:

- كما تشاء.

كان يكره الأشخاصَ الذين يميلون إلى الضحك.

استدار إلى الكاهن، وقال:

- هذه الزوائد غريبة.

ثم عاد ليحادث الملاك، قائلًا:

- إن لم تكن مزعجة أيضًا. لم أسمع عن مثل هذا الازدواج الكامل من قبل قطّ، على الأقل بين الحيوانات، لكنَّه شائعٌ بما يكفي في النباتات. هل كنتَ الوحيدَ في أسرتِكَ بمثل هذه الحالة؟

لم ينتظر حتى يحصل على جوابٍ. واصل قائلًا:

- الحالات الجزئية لانشطار الأطراف ليست نادرةً على الإطلاق بالطبع، يا نيافة الكاهن. فهناك أطفالٌ لهم ست أصابع، وعجولٌ لها ستة قوائم، وقططٌ لها أصابع مزدوجة، كما تعلم.

استدار الطبيبُ نحو الملاك، الذي كان يكافح كي يتمكَّن من ارتداء المعطف، وقال:

- هل يمكنني مساعدتك؟ لكن ازدواج كامل على هذا النحو؟ ويشبه الطيور إلى حدٍّ كبيرٍ أيضًا! كان الأمر سيصبح أقلَّ إثارة للعجب لو اقتصر على مجرد ذراعين إضافيين فحسب.

اكتسى الملاك بالمعطف، وحدَّق كلٌّ من الطبيب والملاك بعضهما إلى بعض.

قال الطبيب:

- يمكن للمرء حقًّا أن يفهم كيف نشأت أسطورة الملائكة الجميلة تلك. تبدو عصبيًّا بعض الشيء يا سيد ملاك... محمومًا. إن الاحتقان المفرط كعرضٍ من الأعراض يكاد يكون أسوأ من الشحوب الزائد. يا لها من صدفة غريبة أن يكون اسمك ملاكًا. يجب أن أرسل لكَ دواءً لخفض الحرارة، وإذا أحسستَ بالعطش خلال الليل...

كتب مذكرة على سوار كمِّه، وراقبه الملاك متفكرًا، وأشرقت في عينيه ابتسامة.

قال الكاهن وهو يأخذ ذراع الطبيب ويقوده نحو الباب:

- دقيقة واحدة، يا كرامب.

ازدادت ابتسامة الملاك إشراقًا. وجَّه نظرَه للأسفل، نحو ساقيه المكسوتين بالسواد، وقال:

- إنَّه مقتنعٌ تمامًا أنَّني بشريٌّ! لا أفهم على الإطلاق ما يظنُّه بشأن الجناحين. يا له من مخلوقٍ عجيبٍ! ويا له من حُلمٍ فائق الغرابة حقًّا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



همس الكاهن:

- هذا ملاكٌ بالفعل. أنتَ لا تفهم.

رفع الطبيب حاجبيه مبتسمًا، وأسرع مجيبًا بنبرة حادَّة:

- ماذا؟

- لكن ماذا عن الجناحين؟

- إنَّهما طبيعيان تمامًا، وإن كانا غريبين بعض الشيء.

- هل أنتَ متأكدٌ أنَّهما طبيعيان؟

- يا صديقي العزيز، كلُّ ما في الوجود طبيعيٌّ. لا يوجد أيُّ شيءٍ غير طبيعي في العالم. لو كنت أعتقد أنَّ هناك وجودًا لذلك، لتركتُ عملي وانضممتُ إلى الدير الكرتوزي الكبير. هناك ظواهر غير عادية بالطبع، و...

قال الكاهن:

- لكن الطريقة التي عثرتُ عليه بها...

قال الطبيب وهو يجلس على طاولة في الردهة:

- أجل، فلتخبرني أين عثرتَ عليه.

بدأ الكاهن الحديث بتردُّدٍ (فلم يكن يجيد قصَّ الحكايات) عن الشائعات المتعلِّقة بطائرٍ غريبٍ ضخمٍ. روى الحكاية بجملٍ مُبعثَرة (حيث كان يعرف الأسقف معرفة وثيقة، وفي وجود هذا المثال الفظيع دومًا نصب عينيه، كان يخشى أن يتداخل أسلوبُه في الوعظ على المنبر مع أسلوب حديثِه اليومي)، وبعد كل جملة ثالثة أو نحو ذلك، كان الطبيب يحرك رأسَه للأسفل، وزاويتا فمه مشدودتان إن جاز التعبير، كما لو أنَّه تفحَّص كلَّ مرحلة من مراحل الحكاية، ووجدها مطابقة لِمَا يجب أن تكون عليه حتى الآن. غمغم مرَّة قائلًا:

- التنويم المغناطيسي الذاتي.

قال الكاهن:

- أستميحك عذرًا؟

أجاب الطبيب:

- لا شيء. لا شيء، أؤكِّد لك. فلتكمل حديثَكَ. هذا مثيرٌ للاهتمام للغاية.

أخبره الكاهن أنَّه خرج حاملًا بندقيته.

قاطعه الطبيب قائلًا:

- أعتقد أنَّك قلتَ بعد الغداء؟

قال الكاهن:

- بعده مباشرة.

- يجب عليك الامتناع عن إتيان مثل تلك الأفعال، كما تعلم. لكن فلتكمل الحديث، من فضلِكَ.

وصل الكاهن إلى اللحظة التي لمح فيها الملاك من البوابة.

قاطعه الطبيب قائلًا:

- تحت وهج الشمس المباشر. كانت درجة الحرارة تسعة وسبعين في الظلِّ.

عندما انتهى الكاهن من الحديث، زمَّ الطبيبُ شفتيه بقوة أكثر من قبل، وابتسم ابتسامة خافتة، ونظر في عيني الكاهن نظرة ذات مغزى.

شرع الكاهن يقول متردِّدًا:

- أنتَ لا...

هزَّ الطبيبُ رأسَه، ووضع يدَه على ذراع الكاهن، وهو يقول:

- سامحني. لقد خرجتَ عقب تناول غداءٍ ساخنٍ، بعد ظهيرة يومٍ حارٍّ، تجاوزت درجة الحرارة فيه الثمانين في الغالب. وكان عقلُكَ، أو بالأحرى الجزء الذي كان حاضرًا منه، يضجُّ بأفكارٍ متعلِّقة بالطيور. أقول: «الجزء الذي كان حاضرًا منه»، لأنَّ معظم طاقتك العصبية كانت مركَّزة هناك بالأسفل، لهضم غدائك. ثم وقف أمامك رجلٌ كان مستلقيًا وسط نباتات السرخس، فأطلقتَ النار؛ فسقط هو بعدها، وتشاء الصدفة أن يكون لديه ازدواجٌ في الأطراف العلوية، يشبه زوجٌ منهما الأجنحة، إنَّها مصادفة بكلِّ تأكيدٍ. أمَّا بالنسبة لألوانِه المتغيرة وما إلى ذلك، ألم ترَ قَطّ بقعًا ملوَّنة تطفو أمام عينيك في يومٍ مشمسٍ ساطعٍ؟ هل أنتَ على ثقة من أنَّها كانت تنحصر في الجناحين فحسب؟ فكِّر في الأمر.

قال الكاهن وهو يحدِّق إليه بعينيه الصغيرتين المستديرتين، ويداه الممتلئتان في جيبيه:

- لكنَّه يقول إنَّه ملاكٌ بالفعل!

قال الطبيب، وعينه على الكاهن:

- آه! لقد توقَّعتُ ذلك.

ثم توقَّف عن الحديث.

استأنف الكاهن حديثه قائلًا:

- لكن ألا تعتقد...

قال الطبيب بصوتٍ خفيضٍ وبنبرة جدية:

- هذا الرجل يعاني من الذُّهان.

قال الكاهن:

- ماذا؟

- الذُّهان. إنَّه رجلٌ مضطربٌ عقليًا. هل لاحظتَ الرقة الأنثوية البادية على وجهه؟ وميله

إلى الضحك الذي بلا معنى؟ وشعره المهمل؟ ثم ضع في اعتبارك ملابسه الغريبة.

رفع الكاهن يده إلى ذقنه.

واصل الطبيب قائلًا:

- كلُّها علاماتٌ تدل على الاختلال العقلي، يُظهِر العديدُ من المرضى من أمثالِه نفسَ النزعة لإضفاء الألقابِ الكبيرة الغريبة على أنفسِهم. قد يُطلِق أحدُهم على نفسِه لقبَ أمير ويلز، ويدَّعي آخر أنَّه جبريل رئيس الملائكة، وقد يظنُّ ثالثٌ نفسَه إلهًا حتى. يظنُّ إبسن أنَّه معلمٌ عظيمٌ، ويعتقد ماترلنك أنَّه خليفة شكسبير. كنتُ أقرأ عن ذلك الموضوع للتوِّ، في أعمال نورداو. لا شكَّ في أنَّ ذلك التشوُّه العجيب أوحى له بفكرة…

شرع الكاهن يقول:

- لكن في الواقع…

- لا شكَّ أنَّه هرب من مصحَّة.

- لستُ مقتنعًا تمامًا.

- سوف تقتنع. وإن لم تقتنع، فهناك الشرطة، وإن لم يفلح الأمر، يمكننا الإعلان عن وجودِه. لكن بالطبع، قد يرغب أهلُه في التكتُّم على الموضوع. وقوع مثل هذا الأمر محزنٌ للعائلة.

- لكنَّه يبدو بصفة عامة…

قال الطبيب وهو يتحسَّس ساعتَه:

- سوف يتواصل معك أصدقاؤه على الأرجح خلال يومٍ أو ما إلى ذلك. لا يمكن أن يكون محلُّ سكنِه بعيدًا عن هنا، على ما أعتقد. يبدو أنَّه لا يشكِّل أيَّ خطورة. يجب عليَّ أن آتي لفحص هذا الجناح مرَّة أخرى في الغد.

انزلق من على طاولة الردهة، ونهض واقفًا.

قال وهو يربت على كتف الكاهن:

- لا زلت متأثِّرًا بحكايات العجائز تلك. لكنَّ ملاكًا، كما تعلم… ها ها!

قال الكاهن متشكِّكًا:

- لقد ظننت بالتأكيد…

قال الطبيب، وهو ما زال يعبث بساعتِه:

- عليكَ أن تزِن الأدلَّة. فلتزن الأدلَّة بما نمتلكه من تفكيرٍ دقيقٍ. ما الذي تستخلصه من ذلك؟ لطخاتٍ من الألوان، وبقعًا خيالية… مجرد عوائم العين فحسب.

قال الكاهن:

- ومع ذلك، أكاد أستطيع القسم بروعة جناحيه.

قال الطبيب:

- فكِّر في الأمر، واحترس. عصر يوم قائظ، وأشعة شمس متوهجة تسقط على رأسك. لكن

عليَّ الانصراف حقًّا، فالساعة الخامسة إلا الربع. سوف أحضر لزيارة ملاكك (ها ها!) مرَّة أخرى غدًا، إن لم يحضر أحدٌ لاصطحابه حتى ذلك الحين. تضميدك للجرح جيِّدٌ حقًّا، وأنا مسرورٌ من جهدي في هذا الخصوص، فكما ترى، كانت دروسُنا في الإسعافات الأولية ناجحة. طاب مساؤك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



مساعد الكاهن

فتح الكاهن البابَ بصورة تكاد تكون آلية، كي يخرج كرامب، فشاهد مساعده، ميندام، آتيًا عبر الطريق بجوار سياج نباتات البيقية الأرجوانية، وإكليلية المروج. عند ذلك، ارتفعت يده إلى ذقنِه، وبدت الحيرة في عينيه. ماذا لو كان قد تعرَّض للخداع بالفعل؟ مرَّ الطبيب بمساعد الكاهن، فلمس حافة قبعته على سبيل التحية. كان الكاهن يعتقد أنَّ كرامب رجلٌ حادُّ الذكاء على نحوٍ غيرِ عاديٍّ، ويفهم الكثيرَ عن الكيفية التي يعمل بها عقلُ أي شخصٍ، أكثر حتى مما يعرف الشخصُ نفسُه عن عقلِه. كانت تلك القناعة مترسِّخة لدى الكاهن إلى أبعد حدٍّ، مما جعل تفسير الأمر صعبًا. ماذا لو أنَّه عاد إلى غرفة الاستقبال، ولم يجد سوى متشردٍ مستلقٍ على السجادة أمام المِدفأة؟

كان ميندام رجلًا نحيلًا، ذا لحية كثَّة. في الواقع، فقد بدا كما لو أنَّه وجَّه جُلَّ طاقته نحو لحيته كي تنمو، كما يفعل نبات خردل يوجه طاقته كي تنمو البذور. لكن عندما يشرع في الحديث، يكتشف المرء أنَّ لديه صوتًا أيضًا، على خلاف النبات.

صاح ميندام، وهو ما زال على مبعدة كبيرة:

- عادت زوجتي إلى المنزل في حالة يُرثى لها.

قال الكاهن:

ادخل ، ادخل. حدث شيءٌ بالِغ الغرابة. أرجو أن تتفضَّل بالدخول. تعالَ إلى غرفة المكتب. أنا حقًّا آسفٌ جدًّا. لكن عندما أوضح لك...

صاح مساعد الكاهن قائلًا:

- وتقدِّم لي الاعتذارَ، على ما أرجو.

- وأقدِّم لك الاعتذارَ. لا ليس من هذا الاتجاه، غرفة المكتب من ذلك الاتجاه.

قال مساعد الكاهن وهو يستدير نحوه، بينما ذلك الأخير يُغلِق باب غرفة المكتب:

- الآن، فلتخبرني من كانت تلك المرأة؟

- أي امرأة؟

- لا داعي للمراوغة!

- لكنَّني حقًّا لا أراوغكَ!

- تلك المخلوقة المطلية بالأصباغ، ذات الملابس الخفيفة -الخفيفة لدرجة مثيرة للاشمئزاز، إذا أردتَ الصراحة- التي كنتَ تتجوَّل معها في الحديقة.

- يا عزيزي ميندام، لقد كان ذلك ملاكًا!

- ملاكًا بارعَ الحُسن؟

قال الكاهن:

- لقد صار العالم واقعيًا بدرجة زائدة عن الحدِّ.

صرخ مساعد الكاهن قائلًا:

- العالم يزداد سوادًا كلَّ يومٍ! لكن أن يُقدِم رجلٌ في مثل منصبِكَ بلا خجلٍ، وعلانية...

قال الكاهن بصوتٍ خفيضٍ:

- تبًّا!

على الرغم من أنَّه نادرًا ما كان يطلق السباب.

واصل قائلًا:

- انظر يا ميندام، لقد أسأتَ فهم الأمر. يمكنني أن أؤكد لكَ...

قال مساعد الكاهن:

- حسنًا، إذَنْ. فلتفسِّر لي الأمرَ.

وقف مباعدًا بين ساقيه النحيلتين، وعاقدًا ذراعيه، وعابسًا في وجه الكاهن من فوق لحيتِه الكثَّة.

(أكرِّر القول، إنَّني لطالما عددت التفسيرات هي المغالطات المميزة لعصر العلم هذا).

نظر الكاهن حوله في يأسٍ. لقد أصبح العالم بأكملِه بليدًا، فاقدًا للروح. أتراه كان يحلم طوال فترة ما بعد الظهيرة؟ هل كان هناك ملاكٌ حقًّا في غرفة الاستقبال؟ أم أنَّه كان ضحية لهلاوس معقدة؟

قال ميندام بعد انقضاء دقيقة من الوقت:

- حسنًا؟

عبث الكاهن بذقنِه، وقال:

- إنَّها حكاية معقَّدة للغاية.

قال ميندام بعنفٍ:

- لا شكَّ في ذلك.

منع الكاهن نفسَه من القيام بحركة تنمُّ عن نفاد صبرِه.

- لقد خرجتُ بعد ظهر اليوم بحثًا عن طائرٍ غريبٍ. هل تؤمن بالملائكة، يا ميندام؟ الملائكة الحقيقيين؟

- أنا لستُ هنا لمناقشة أمور اللاهوت. بل أنا زوج امرأة تعرَّضت للإهانة.

- لكنَّني أقول لك إنَّ هذا ليس مجازًا، بل هو ملاكٌ. إنَّه ملاكٌ حقيقيٌّ، له جناحان. إنَّه في الغرفة المجاورة الآن. لقد أسأتَ فهمي، لذا...

- حقًّا يا هيليار...

- أقول لك إنَّ هذه هي الحقيقة، يا ميندام. أقسم إنَّ هذا صحيحٌ.

اتَّقد صوتُ الكاهن بالحماس، وواصل قائلًا:

- لا أدري أيَّ ذنبٍ اقترفته، حتى يُكتَب عليَّ استضافة وكساء ملاكٍ زائرٍ. كلُّ ما أعرفه هو - على الرغم من أنَّ هذا سوف يكون مصدرَ إزعاجٍ بلا شكٍّ- أنَّ لديَّ ملاكًا الآن في غرفة المكتب، يرتدي بدلتي الجديدة، وعلى وشك الانتهاء من احتساء الشاي. وسوف يقيم معي إلى أجلٍ غير مسمَّى، بناءً على دعوتي. لا شكَّ أنَّ ذلك كان تسرُّعًا من جانبي، لكن كما تعلم، لا يمكنني طرده لأنَّ السيدة ميندام... قد أكون ضعيفًا، لكنَّني ما زلتُ رجلًا نبيلًا.

- حقًّا، يا هيليار!

- بوسعي أن أؤكِّد لكَ أنَّ هذا صحيحٌ.

كانت هناك نبرةٌ من اليأس الهستيري في صوت الكاهن. واصل قائلًا:

- لقد أطلقتُ عليه النارَ بعد أن ظننته طائرَ فلامينجو، وأصبتُ جناحه.

- ظننتُ أنَّ هذه القضية تخصُّ الأسقف، لكن ها أنا أجدها قضية تخصُّ المسؤولين عن المصحَّات العقلية!

- فلتأتِ كي تراه بنفسكَ، يا ميندام!

- لكن لا وجودَ للملائكة في الواقع.

قال الكاهن:

- ليس هذا ما نعلِّمه للناس.

أجاب مساعد الكاهن:

- لا وجود لهم كأجسادٍ مادية.

- فلتأتِ لتراه، على أي حالٍ.

شرع مساعد الكاهن في الحديث قائلًا:

- لا أريد رؤية هلاوسك...

أجاب الكاهن:

- لن أتمكَّن من تفسير أيِّ شيءٍ، ما لم تأتِ وتراه. إنَّه رجلٌ أقرب للملائكة من أي شيء آخر في السماء أو على الأرض. ببساطة يجب أن تراه، إذا كنتَ ترغب في الفَهْمِ.

قال مساعد الكاهن:

- لا أريد أن أفهم. لا أرغب في تضييع وقتي مع أيِّ محتالٍ. بالتأكيد يا هيليار، بوسعِك إخباري بنفسِك، إن لم يكن ذلك يشكِّل عبئًا ثقيلًا بالنسبة لك... طائر فلامينجو، حقًّا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

كان الملاك قد انتهى من احتساء الشاي، ووقف ينظر من النافذة متأمِّلًا. رأى الكنيسة القديمة الواقعة أسفل الوادي، التي أنارها ضوءُ الشمس الغاربة، آية في الجمال، إلَّا أنَّه لم يفهم ماهية الصفوف المكتظة من شواهد القبور الواقعة على جانب التلِّ خلفها. استدار بينما وَلَجَ ميندام والكاهن الغرفة.

كان ميندام على استعدادٍ تامٍّ لأن يحادث الكاهن بغلظة بكلِّ بساطة، تمامًا مثلما كان يحادث الرعية بغلظة. لكنَّه لم يكن من ذلك النوع من الناس الذي يسيء التعامُل مع غريب. طالع الملاكَ، وتهاوت على الفور فرضية «المرأة الغريبة» تلك. بدا من الواضح جدًّا أنَّ جمال الملاك ما هو إلا جمال الشباب.

بدأ ميندام الحديث بنبرة تشارف حدَّ الاعتذار، وقال:

- أخبرني السيِّد هيليار أنَّك... آه... هذا أمرٌ بالغ الغرابة... تدَّعي أنَّك ملاكٌ.

قال الكاهن:

- بل قلتُ إنَّه ملاكٌ بالفعل.

انحنى الملاك على سبيل التحية.

قال ميندام:

- الأمرُ غريبٌ، بطبيعة الحال.

قال الملاك:

- جدًّا! اللون الأسود، والشكل العام.

قال ميندام:

- أستميحك عذرًا؟

كرَّر الملاك قولَه:

- اللون الأسود، وشكل الملابس، ولا توجد لديكم أجنحةٌ.

قال ميندام، الذي كان في حيرة من أمرِه:

- بالضبط. نحن نشعر بالفضول، بالطبع، ونريد معرفة كيف أتيتَ إلى القرية بمثل هذا الزي الغريب.

نظر الملاكُ إلى الكاهن، الذي أخذ يعبث بذقنِه.

بدأ الكاهن يقول:

- كما ترى...

لكنَّ ميندام قاطعه قائلًا:

- دعه هو يوضِّح الأمر، أرجوك.

شرع الكاهن يقول مرَّة أخرى:

- أردتُ أن أقترح...

- ولا أريدك أن تقترح!

قال الكاهن:

- تبًّا!

نقل الملاك نظرَه بينهما، وقال:

- يا لها من تقطيبة تلك التي ترتسم على وجهيكما!

قال ميندام، وقد تناقص اللُّطف في نبرتِه:

- كما ترى يا سيِّد... سيِّد.... أنا لا أعرف اسمَك. الوضع كالتالي: كانت زوجتي -أو بالأحرى كانت هناك أربع سيدات- يلعبن التنس في الحديقة، عندما اندفعتَ أنت نحوهنَّ فجأة يا سيدي، من بين أشجار الورد، مرتديًا ملابس فاضحة، أنت والسيِّد هيليار.

قال الكاهن:

- ولكنَّني...

قال ميندام، وقد أخذ صوتُه يزداد ارتفاعًا:

- أدري، لقد كان هذا السيِّد هو من يرتدي زيًّا فاضحًا. وبطبيعة الحال -إنَّ ذلك حقِّي في الواقع- فأنا أطالب بتفسيرٍ. بل من الواجب عليَّ المطالبة بتوضيح الأمر.

ابتسم الملاك بهدوءٍ عندما لاحظ نبرة الغضب في صوتِه، وحزمه المفاجئ، وقد عقد ذراعيه بقوة.

شرع الملاك في الحديث قائلًا:

- أنا جديدٌ إلى حدٍّ ما في هذا العالم.

قال ميندام:

- أنتَ في التاسعة عشرة من العمر على الأقل. أي أنَّك كبيرٌ بما يكفي لأن تدرك ما الذي تفعله. إنَّه عذرٌ واهٍ.

قال الملاك:

- هل يمكنني أن أطرحَ سؤالًا واحدًا أولًا؟

- حسنًا؟

- هل تظنُّ أنَّني بشريٌّ... مثلك؟ كما فعل الرجل ذو الملابس المنقوشة بالمربعات؟

- إذا لم تكن بشريًّا...

- سؤالًا واحدًا آخر. ألم تسمع عن الملائكة من قبل؟

قال ميندام، وقد عاد لطبقة صوته المرتفعة المعتادة:

- أحذِّركَ من محاولة إلقاء تلك الحكاية على مسامعي.

قاطعه الكاهن قائلًا:

- لكن يا ميندام... لديه جناحان!

قال ميندام:

- أرجوكَ، دعني أتحدَّث إليه.

قال الملاك:

- أنتَ غريبٌ للغاية، وتقاطعني كلَّما أردتُ قولَ شيءٍ.

قال ميندام:

- لكن ما الذي لديك لتقوله؟

- إنَّني ملاكٌ بالفعل.

- هُراء!

- ها أنتَ ذا تفعلها مرة أخرى!

- لكن خبِّرني بصراحة، كيف آل بك الأمر لتصير وسط شجيرات منزل كاهن سيدرمورتون، في تلك الحالة التي كنتَ عليها، وبصحبة الكاهن نفسِه؟ ألا يمكنك التخلي عن قصتِكَ السخيفة هذه؟

هزَّ الملاك جناحيه، وقال للكاهن:

- ما خطب هذا الرجل؟

قال الكاهن:

- يا عزيزي ميندام، فلتسمح لي بكلمة سريعة...

- سؤالي واضحٌ بما فيه الكفاية، بكلِّ تأكيدٍ!

- لكنَّك لن تخبرني ما هو الجواب الذي تريده، وأي جواب آخر أمنحك إياه لن يفيد.

كرَّر مساعد الكاهن قوله:

-هُراء!

ثم هاجم الكاهن بالحديث فجأة قائلًا:

- من أين أتى؟

كان الكاهن حينها قد صار في حالة يُرثى لها من الشكِّ. قال:

- يقول إنَّه ملاكٌ! لِمَ لا تستمع إليه؟

- لن يقدِم أيُّ ملاكٍ على إزعاج أربع سيدات.

قال الملاك:

- هل هذا هو كلُّ ما في الأمر؟

قال مساعد الكاهن:

- هذا سببٌ كافٍ، على ما أعتقد!

قال الملاك:

- لكنَّني حقًّا لم أكن أعرف.

- لقد فاق الأمرُ كلَّ حدٍّ!

- أنا حقًّا آسفٌ لأنَّني تسبَّبتُ في إزعاج هؤلاء السيدات.

- حري بك أن تشعر بالأسف! لكنَّني أرى أنَّني لن أحصل منكما على ما يفيد.

توجَّه ميندام ناحية الباب، وواصل الحديث قائلًا:

- أنا مقتنعٌ تمامًا أنَّ هناك ما يشين وراء هذا الأمر، وإلَّا فلِمَ لا تروي حكايةً بسيطةً ومباشرة؟ أعترفُ أنَّك أصبتني بالحيرة. لا أفهم لماذا، في عصرِنا المستنير هذا، تروي مثل هذه الحكاية الخرافية التي يصعب تصديقُها بشأن ملاك؟ ما جدوى ذلك؟

قال الكاهن:

- لكن توقَّف، وانظر إلى جناحيه! أؤكد لكَ أنَّ لديه جناحين!

قال ميندام، وأصابعه على مقبض الباب:

- لقد رأيتُ ما فيه الكفاية! قد تكون هذه مجرد محاولة حمقاء للخداع، يا هيليار.

قال الكاهن:

- لكن يا ميندام!

توقَّف مساعد الكاهن عند مدخل الباب، والتفتَ برأسِه للكاهن، وقد وجد غيظه المتراكم طوال أشهر متنفسًا. قال:

- لا أستطيع أن أفهم يا هيليار، لِمَ تنتمي إلى الكنيسة. لا يمكنني ذلك، مهما حاولت الفهم. وسط تزايد الحركات الاجتماعية، والتغيُّرات الاقتصادية، والحركات النسائية، وتعالي الدعوات المنادية بارتداء الملابس العملية، وتوحيد المذاهب، والاشتراكية، والفردانية، وكل قضايا الساعة المهمة! بالتأكيد، نحن الذين نتبع المصلح الأعظم... وها أنت ذا تقوم بتحنيط الطيور، وتزعج السيدات باستخفافِكَ الأرعن!

شرع الكاهن يقول:

- لكن يا ميندام...

رفض مساعد الكاهن الاستماع إليه. قال وقد اكتسب صوته الجهوري نبرة تهديدٍ:

- أنتَ تجلب العارَ على تلاميذ المسيح بطيشِكَ هذا... لكن هذا مجرد تحقيقٍ أولي.

وبهذا غادر الغرفة مسرِعًا، وصفق الباب بعنفٍ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



قال الملاك:

- هل كلُّ البشر بهذه الغرابة؟

قال الكاهن:

- أنا في موقفٍ بالغ الصعوبة، كما ترى...

ثم توقَّف، وأخذ يعبث بذقنِه وهو يفكر.

قال الملاك:

- بدأتُ أفهم ذلك.

- لن يصدِّقوا الأمر.

- أرى هذا.

- سوف يعتقدون أنَّني أكذب.

- وماذا بعد؟

- سيكون ذلك مؤلمًا للغاية بالنسبة لي.

قال الملاك:

- مؤلمًا! أتمنَّى ألَّا يصيبك ألمٌ.

هزَّ الكاهن رأسَه. كانت سمعتُه الطيبة في القرية هي دافعه للحياة حتى ذلك الحين. قال:

- كما ترى، سيبدو الأمر قابلًا للتصديق بدرجة أكبر كثيرًا، إذا قلتَ إنَّك بشريٌّ فحسب.

أجاب الملاك قائلًا:

- لكنَّني لستُ كذلك.

قال الكاهن:

- لا، أنتَ لستَ كذلك. لذا، لن يجدي ذلك نفعًا. كما تعلم، لم يسبق لأحدٍ هنا أن رأى أو سمع عن ملاكٍ من قبل، إلَّا في الكنيسة. لو كنتَ ظهرت لأوَّل مرة على مذبح الكنيسة في يوم الأحد، لربما اختلف الأمر حينها؛ لكن أوان ذلك فات الآن (تبًّا!). لن يصدقك أحدٌ، لا أحد على الإطلاق.

- أرجو ألَّا أكون قد تسبَّبتُ لكَ في الإزعاج؟

قال الكاهن:

- لا، إطلاقًا، لا يوجد إزعاجٌ على الإطلاق. فقط... بطبيعة الحال، قد يكون من غير الملائم أن تروي حكاية يصعب تصديقُها. إذا سمحت لي أن أقترح... إحم...

- حسنًا؟

- كما ترى، فإنَّ معظمَ الناس في هذا العالم سوف يعتبرونك بشريًا بكلِّ تأكيدٍ، حيث إنَّهم هم أنفسهم بشرٌ. وإذا قلتَ إنَّك لستَ كذلك، سيكذِّبونكَ بكلِّ بساطة. وحدهم الاستثنائيون من البشر هم من يقدِّرون كلَّ ما هو استثنائي. عندما يكون المرء في روما... حسنًا، عليه احترام عادات الرومان بعض الشيء، مثل التحدُّث باللاتينية. ستجد أنَّ هذا أفضل.

- هل ما تقترحه هو التظاهُر بأنَّني بشريٌّ؟

- لقد فهمتَ ما أقصده بسرعة.

حدَّق الملاك إلى أزهار الخطمية بحديقة الكاهن مفكِّرًا.

قال ببطءٍ:

- ربَّما أتحوَّل إلى إنسانٍ بالفعل في نهاية المطاف. ربما أكون قد تسرَّعتُ في قولي إنَّني لستُ كذلك. أنت تقول إنَّه لا وجود للملائكة في هذا العالم. فمن أكون أنا كي أضع نفسي في موقف المعارض ضد خبرتِكَ الشخصية؟ مجرد كائنٍ لا يتعدَّى عمره اليومَ الواحد، تبعًا لمقاييس هذا العالم. إذا كنت تقول بأنَّه لا وجود للملائكة، فمن الواضح إذَنْ أنَّني لا بُدَّ وأن أكون شيئًا آخر. فأنا أتناول الطعام، بينما الملائكة لا تأكل. ربما أكون قد صرتُ بشريًا بالفعل.

قال الكاهن:

- إنَّها وجهة نظرٍ ملائمة على أي حالٍ.

- إذا كانت ملائمة بالنسبة لكَ...

- إنَّها كذلك بالفعل. بعد ذلك، علينا أن نفسِّر وجودك هنا. إذا...

تردَّد الكاهن مفكِّرًا للحظة، ثم واصل الحديثَ قائلًا:

- على سبيل المثال، إذا كنت رجلًا طبيعيًّا يهوى الخوضَ في المياه، وذهبتَ للخوض في المستنقع، وسُرِقت ملابسُكَ مثلًا، وصادفتُكَ أنا في ذلك الموقف المزعج، حينها سيكون التفسير الذي سأضطرُّ لتقديمه للسيِّدة ميندام خاليًا على الأقل من أي عنصرٍ خارق للطبيعة. فهناك شعورٌ سائدٌ في هذه الأيام ضد كل ما هو خارقٌ للطبيعة، حتى لو كان على المنبر في الكنيسة. لن تصدِّق...

قال الملاك:

- من المؤسف أنَّ ذلك لم يكن هو ما حدث بالفعل.

قال الكاهن:

- بالطبع. من المؤسف حقًّا أنَّ هذا لم يكن ما حدث. لكن على أي حالٍ، سوف أكون ممتنًّا لكَ إذا لم تُظهِر طبيعتَكَ الملائكية. بل سيكون الجميع ممتنين لكَ، في الواقع. هناك رأيٌ راسخٌ بأنَّ الملائكة لا يقدِمون على فعل أشياءٍ من هذا القبيل. وليس هناك ما هو أكثر إيلامًا -كما يمكنني أن أشهد شخصيًا- من رأيٍ مترسخٍ يواجه ما ينخر فيه... الآراء الراسخة تبدو مثل أسنانٍ تنمو للعقل، بينهما أكثر من وجه من أوجه الشبه. أما من جانبي أنا...

مرَّر الكاهن يده فوق عينيه للحظة، قبل أن يواصل قائلًا:

- لا يسعني إلَّا أن أصدِّق أنَّكَ ملاكٌ... بكلِّ تأكيدٍ يمكنني أن أصدِّق ما تراه عيني.

قال الملاك:

- نحن دومًا ما نصدِّق أعيننا.

- ونحن أيضًا كذلك، لكن بحدودٍ.

ثم دقَّت الساعة الكائنة فوق رفِّ المِدفأة معلنة السابعة، وفي الوقت ذاته تقريبًا أعلنت السيِّدة هينيجر أنَّ العشاءَ جاهزٌ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



بعد العشاء

جلس الكاهن والملاك لتناول العشاء. ثبَّت الكاهن منديلَه حول عنقِه، وراقب معاناة الملاك بينما هو يحاول تناول حسائه. قال الكاهن:

- سرعان ما ستتمكَّن من إتقان الأمر.

تعامل الملاك مع الشوكة والسكين على نحوٍ أخرق، لكنَّه نجح في استخدامِهما. اختلس الملاكُ النظرَ إلى ديليا، الخادمة الصغيرة. عندما جلسا بعد ذلك وهما يكسران الجوز -وقد وجد الملاك ذلك يسيرًا بدرجة كافية- وانصرفت الفتاة، قال الملاك:

- هل كانت تلك أيضًا سيِّدة؟

قال الكاهن، وهو يكسر الجوز:

- لا، إنَّها ليست سيِّدة. بل هي خادمة.

قال الملاك:

- أجل، كان شكلُها أجملَ نوعًا ما.

قال الكاهن، وقد شعر بالرضى في قرارة نفسه:

- يجب ألَّا تقول ذلك للسيِّدة ميندام.

- لم يكن صدرُها وأردافُها بارزين بنفس القدر، وكان جسدُها أكثر امتلاءً فيما بينهما. ولم يكن لون ثوبِها متباينًا، بل محايدًا فحسب. ووجهها...

شعر الكاهن أنَّه لا يجب عليه الاستماع لذلك الانتقاص، حتى لو كان انتقاصًا من عدوتِه اللدود، فقال:

- كانت السيِّدة ميندام وبناتها يلعبن التنس. هل تعجبك هذه الأشياء... هذا الجوز؟

قال الملاك وهو يكسره:

- نعم، إلى حدٍّ كبيرٍ.

قال الكاهن، بينما يلتهم الجوز:

- كما ترى، من جانبي، فأنا أؤمن تمامًا أنَّك ملاكٌ.

أجاب الملاك قائلًا:

- أجل!

- لقد أطلقتُ عليك النارَ... رأيتُكَ ترفرف. لا جدال في ذلك. في ذهني، أعترف أنَّ الأمرَ غريبٌ، ويتعارض مع تصوراتي المسبقة. لكن من الناحية العملية، أنا متأكدٌ، بل واثقٌ تمام الثقة، أنني حقًّا شاهدتُ ما شاهدته. لكن بعد سلوك هؤلاء الأشخاص (واصل كسر الجوز)، لا أرى حقًّا كيف سنتمكَّن من إقناع الناس؛ فالناس في العصر الحاضر يتَّسمُون بالإصرار

الشديد حيال البراهين. لذلك أعتقد أنَّ السلوك الذي سوف تنتحيه بالغ الأهمية. ولهذا أظن أنَّه سيكون من الأفضل -ولو مؤقتًا- أن تفعل ما أقترحه عليكَ، وأن تتصرَّف كبشري إلى أقصى درجة ممكنة. بالطبع ليست هناك طريقة لمعرفة متى أو كيف يمكنك العودة. بعد ما حدث (أعاد الكاهن ملء كأسِه)... بعد ما حدث لن أندهش لو رأيت جانب الغرفة ينهار، وقد ظهر ملائكة السماء كي يستعيدوك مرَّة أخرى... أو ربما يأخذاننا معًا. لقد ساعدت على توسيع مخيلتي لأقصى الحد. كنتُ قد نسيتُ أرض العجائب طوال هذه السنوات. لكن مع ذلك، بالتأكيد سيكون من الأكثر حكمة إطلاعهم على الحقيقة تدريجيًا.

قال الملاك:

- ما زلت أجهل طبيعة حياتِكم هذه. كيف تبدأ حياتُكم؟

قال الكاهن:

- يا إلهي! لم أتخيَّل أنَّني سوف أضطرُّ لشرح ذلك! يبدأ وجودُنا هنا، كما تعلم، كأطفالٍ رُضَّع، كائناتٌ وردية ساذجة بلا حولٍ ولا قوة، ملفوفة بأغطية بيضاء، لها أعين محملقة، تصرخ على نحوٍ بائسٍ عند جُرن المعمودية. ثم يكبر هؤلاء الرضع ويصيرون أكثر جمالًا، عند غسلِ وجوههم، ويستمرون في النمو حتى يصلوا إلى حجمٍ محدَّدٍ. حينها يصبحون أطفالًا، صبيانًا وبناتًا، شبابًا وعذراوات (واصل الكاهن تكسير الجوز)، ثم رجالًا وسيدات في مقتبل العمر. تلك هي أفضل مرحلة من مراحل الحياة تبعًا للكثيرين، وبالقطع أجملها؛ مليئة بالآمال والأحلام العظيمة، والمشاعر الغامضة، والمخاطر غير المتوقعة.

قال الملاك وهو يشير إلى الباب الذي خرجت منه ديليا:

- هل كانت تلك عذراءً؟

أجاب الكاهن قائلًا:

- نعم، كانت تلك عذراءً.

ثم صمت متفكرًا.

- وما الذي يحدث بعد ذلك؟

قال الكاهن:

- بعد ذلك يتلاشى السحرُ تدريجيًا، ويشتدُّ معترك الحياة. ثم يرتبط الشباب والشابَّات، أو معظمهم على أي حالٍ. يأتون إليَّ شاعرين بالحياء والخجل، مرتدين ملابس رسمية قبيحة، فأزوِّجهم. ثم يُرزقون بأطفالٍ رُضَّع ورديي اللون، ويتحوَّل بعضُ أولئك الذين كانوا شبابًا وعذراوات، ليصبحوا بدناء وسوقيين، بينما يصير البعضُ الآخر نحفاءَ ذوي طباعٍ سيئة، وتختفي نضارة بشرتهم، ويتملَّكهم وهمٌ عجيبٌ بأنَّهم يتفوَّقون على أولئك ممن يصغرونهم من الشباب، ويختفي كلُّ أثرٍ للبهجة والبهاء من حياتِهم. لذا يطلقون على البهجة والبهاء في حياة من يصغرونهم سنًّا مجرد وهمٍ. وبعد ذلك، يأخذون في التداعي، جزءًا تِلْوَ الآخر.

قال الملاك:

- يتداعون جزءًا تِلْوَ الآخر! يا للبشاعة!

قال الكاهن:

- يتساقط الشعر، أو يبهت لونُه، أو يصير شاحبًا كالرماد، مثلي أنا على سبيل المثال.

حتى الكاهن رأسَه إلى الأمام ليُظهِر بقعة دائرية لامعة بحجم عملة معدنية.

- وبعد ذلك تسقط أسنانُهم، وتتهدَّل وجوهُهم وتصير مجعَّدة وجافة كتفاحة ذابلة. «محززة»، كما أطلقتَ أنتَ على وجهي. يتزايد اهتمامُهم أكثر وأكثر بما يتناولونه من طعامٍ وشرابٍ، ويقلُّ أكثر وأكثر بباقي مباهج الحياة الأخرى. تضعف مفاصل أطرافِهم، وتتباطأ قلوبُهم، أو يسعلون نتفًا صغيرة من رئتِهم، ويُصابون بالألم.

قال الملاك:

- آه!

- يحلُّ الألمُ على حياتِهم أكثر وأكثر، وبعد ذلك يرحلون. لا يحبُّون الرحيلَ، لكن يتعيَّن عليهم ذلك، فيخرجون من هذا العالم على مضضٍ، متشبِّثين بكلِّ آلامِه حتى النهاية، لحرصهم على إيقاف...

- إلى أين يذهبون؟

- كنتُ أظنُّ يومًا ما أنَّني أعرف الجواب. لكن الآن وقد تقدَّم بي العمرُ، صرتُ على دراية بأنَّني لا أعرف. لدينا أسطورةٌ.. أو ربما لا تكون أسطورة. قد يكون المرءُ من رجال الكنيسة، ومع ذلك لا يؤمن. يقول ستوكس إنَّ لا شيء في ذلك.

هزَّ الكاهنُ رأسَه تجاه الموز.

قال الملاك:

- وماذا عنكَ أنتَ؟ هل كنتَ رضيعًا صغيرًا وردي اللون؟

- كنتُ رضيعًا ورديًّا صغيرًا، منذ زمنٍ ليس ببعيدٍ.

- وهل كنتَ ترتدي ملابس مثل هذه التي ترتديها الآن؟

- أوه، لا! يا إلهي! يا لها من فكرة غريبة! كانت لديَّ ملابس طويلة بيضاء على ما أعتقد، مثل بقية الرُّضَّع.

- ثم صرتَ صبيًّا صغيرًا بعد ذلك؟

- أجل، صبيًّا صغيرًا.

- ثم بلغت فتوة الشباب؟

- لم أتمتَّع بفتوة الشباب، على ما أخشى. كنتُ معتلَّ الصحة، وفقيرًا بدرجة لا تسمح لي بالشعور بالبهجة، وإلى جانب ذلك كان قلبي وجلًا. درستُ بجدٍّ، وانكببتُ على استذكار الأفكار الفانية لرجالٍ ماتوا منذ زمنٍ بعيدٍ. لذا فقدتُ كلَّ بهاء الشباب، ولم تقترب مني أيُّ عذراءٍ، وحلَّت كآبة الحياة قبل أوانِها.

- وهل لديكَ رُضَّع صغار ذوو لونٍ وردي؟

قال الكاهن بعد وهلة قصيرة من الصمت تكاد تكون غير ملحوظة:

- ليس لديَّ أيُّ أطفالٍ على الإطلاق. لكن مع ذلك، كما ترى، فقد بدأتُ أتداعى جزءًا تِلْوَ الآخر. لن يلبث ظهري أن ينحني مثل ساق زهرة ذابلة، وفي غضون بضعة آلاف من الأيام سوف ينتهي أمري، وسأرحل عن عالمي هذا... ولا أدري أين سأذهب.

- وهل يجب عليكَ تناول الطعام على هذا النحو كُّل يومٍ؟

- عليَّ تناول الطعام، وشراء الملابس، والحفاظ على هذا السقف فوق رأسي. هناك شيئان كريهان للغاية في هذا العالم، اسمُهما البرد والمطر. أمَّا باقي الناس هنا -لأسبابٍ يطولُ شرحُها ولا يتسع المجالُ لسردِها- فقد جعلوني ألعب دورًا مهمًّا في حياتِهم. فإنَّهم يجلبون إليَّ أطفالَهم الرُّضَّع الصغار ذوي اللون الوردي، وعليَّ أن أتلو اسمًا وبعضَ الأشياء الأخرى على كلِّ رضيعٍ ورديٍّ جديدٍ منهم. وعندما يكبر هؤلاء الأطفال ليصيروا شبابًا وعذراوات، يأتون إليَّ مرة ثانية لتأكيد تعميدِهم. سوف تفهم ذلك بشكلٍ أفضل لاحقًا. بعد ذلك، قبل أن يرتبطوا ويصيروا أزواجًا، وينجبوا رضعًا ورديين صغارًا، يجب عليهم الحضور مرَّة أخرى للاستماع إليَّ وأنا أتلو عليهم من كتابٍ، حيث إنَّهم سيكونون منبوذين، ولن تتبادل أيُّ عذراءِ الحديثَ مع العذراء التي أنجبت رضيعًا ورديًّا صغيرًا من دون أن أتلو عليها من كتابي لمدة عشرين دقيقة. هذا الأمرُ ضروريٌّ، كما سترى، على الرغم من أنَّه قد يبدو غريبًا بالنسبة لكَ. وبعد ذلك، عندما تأخذ أجسادُهم في التداعي، أحاول إقناعَهم بعالمٍ غريبٍ، لا أكاد أنا شخصيًّا أؤمن به، حيث تختلف الحياة تمامًا عن تلك التي عاشوها أو التي يرغبون فيها. وفي النهاية، أدفنهم، وأتلو من كتابي على أولئك الذين لن يلبثوا أن يلحقوا بهم في الأرض المجهولة. أكون بجانبِهم في بداية حياتِهم، وفي أوجِها، وفي غروب أيامِهم. وكل سبعة أيام، أحدثهم -وما أنا إلَّا بشرٌ مثلهم، لا أرى أبعد مما يرونه- عن الحياة القادمة، التي لا نعلم عنها شيئًا، إن كان هناك وجودٌ لمثل هذه الحياة، بينما أتداعى ببطءٍ وأنا أتلو عليهم نبوءاتي تلك.

قال الملاك:

- يا لها من حياة غريبة!

أجاب الكاهن:

- نعم، يا لها من حياة غريبة! لكن ما يجعلها غريبة بالنسبة لي هو أمرٌ جديدٌ. كنت أعدها أمرًا مسلَّمًا به، حتى دخلتَ أنتَ حياتي.

واصل الكاهن الحديث قائلًا:

- حياتُنا هذه ملحَّة للغاية، فهي تقيِّد أرواحَنا باحتياجاتِها التافهة (واصل تكسير الجوز) ومتعها المؤقتة. بينما أنا أعظ هؤلاء الناس من رعيَّتي بشأن حياة أخرى، أجد البعضَ منشغلًا بشهيته ويتناول الحلوى، والبعضَ الآخر من كبار السن يغطُّون في النوم، والشباب يختلسون النظر إلى العذارى، في حين يتباهى الرجال البالغون بصدريات بيضاء وسلاسل ذهبية، ببذخٍ وغرورٍ قائمين على أساسٍ من الممتلكات المادية. وتتباهى زوجاتُهم بعضهن أمام بعضٍ بقبعاتهن المبهرجة. وأواصل أنا الحديث برتابة عن أشياءٍ لا يمكن رؤيتُها أو إدراكُها، وأتلو عليهم: «ما لم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على بالِ إنسانٍ»، ثم أرفع بصري لأرى رجلًا بالغًا فانيًا يتأمَّل بإعجابٍ كم يلائمه قياس زوج من القفازات ثمنه ثلاثة شلنات وستة بنسات. الأمر خانقٌ، عامًا بعد عامٍ. عندما كنتُ أعاني من اعتلال الصحة إبَّان شبابي، كنتُ أشعر بالثقة، كما أثق ببصري تقريبًا، أنَّ وراء هذا العالم الوهمي المؤقت، ثمَّة عالمٌ حقيقيٌّ... العالم الباقي للحياة الأبدية. أمَّا الآن...

تأمَّل يدَه البيضاء الممتلئة، وهو يعبث بساق كأسِه، قال:

- لقد ازداد وزني عمَّا كان عليه في تلك الأيام.

صمت هُنيْهة، ثم واصل قائلًا:

- لقد تغيَّرتُ وتطورتُ كثيرًا. لم يعُد يشغلني صراعُ الروحِ والجسدِ كما كان من قبل. وكلَّ يومٍ تقلُّ درجة ثقتي بمعتقداتي، وتزداد ثقتي في الربِّ. على ما أخشى، فأنا أحيا حياة خاملة، أؤدي واجباتي على نحوٍ مقبولٍ، أهتمُّ بعض الشيء بدراسة الطيور وبالشطرنج، والقليل من التسلية بالرياضيات. عمري بيدِه.

تنهَّد الكاهن واستغرق في التفكير. راقبه الملاك، وامتلأت عيناه بالحيرة أمام اللغز الذي يمثِّله الكاهن بالنسبة له، في حين أصدرت الزجاجة صوتًا بينما الكاهن يعيد ملء كأسِه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



تناول الملاك العشاءَ، وتبادل الحديث مع الكاهن حتى حلَّ الليل، فشرع يتثاءب.

قال الملاك فجأة:

- ياه... أوه! يا إلهي! يبدو أنَّ قوة عليا فتحث فمي فجأة، واندفع عبر حلقي نفسًا كبيرًا من الهواء.

قال الكاهن:

- لقد تثاءبت. ألا تتثاءبون أبدًا في بلاد الملائكة؟

قال الملاك:

- لا، أبدًا.

- ومع ذلك، فأنتَ مخلَّدٌ! أعتقد أنَّك تريد الذهابَ إلى الفِراش.

قال الملاك:

- الفِراش! أين يقع ذلك؟

لذا شرح له الكاهن أمرَ الظلام، وكيفية الخلود إلى النوم. (على ما يبدو، فإنَّ الملائكة لا ينامون إلَّا كي يستغرقوا في الحلم، وجباهُهم على ركبِهم مثل الإنسان البدائي. وكانوا ينامون وسط مروج زهور الخشخاش البيضاء، في حرارة النهار). بدت ترتيبات غرفة النوم غريبة بالنسبة للملاك.

قال الملاك:

- لماذا كلُّ شيءٍ مرفوع على قوائم خشبية ضخمة؟ لديكم أرضية، وبعد ذلك ترفعون كلَّ شيء على أربع قوائم خشبية؟ لِمَ تفعلون ذلك؟

شرح الكاهن الأمر بغموضٍ فلسفيٍّ. حرق الملاك إصبعه بلهب الشمعة، وأظهر جهلًا تامًّا بالمبادئ الأساسية لعملية الاحتراق. أظهر افتتانَه بالأمر فحسب عندما احترقت الستائر، واضطرَّ الكاهنُ لإلقاء محاضرة عن النار ما أن تمَّ الانتهاء من إخماد اللهب. كانت لديه الكثيرُ من الأمور التي اضطرَّ لشرحِها، وحتى الصابون كان بحاجة للتفسير. مرَّت ساعة أو أكثر، قبل أن يخلد الملاك إلى النوم.

قال الكاهن وهو يهبط درجات السُّلَّم، في غاية الإنهاك:

- إنَّه جميلٌ جدًّا، وهو ملاكٌ حقيقيٌّ، بلا شكٍّ. لكنَّني أخشى على الرغم من ذلك أنَّه سوف يمثِّل مصدرَ قلقٍ رهيبٍ، حتى يعتاد طريقة حياتنا هنا على الأرض.

بدا عليه القلقُ الشديد. تناول كأسًا إضافية من الشيري، قبل أن يعيد النبيذ إلى القبو.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

وقف مساعد الكاهن أمام المرآة، وخلع ياقتَه برصانة.

قالت السيِّدة ميندام التي كانت تجلس على كرسيٍّ مصنوعٍ من الخيزران:

- لم يسبق وأن سمعتُ قصَّة أكثر غرابة من هذه. لا بُدَّ أنَّ الرجل أصيبَ بالجنون. هل أنتَ متأكِّدٌ...

- تمامًا، يا عزيزتي. لقد أخبرتكِ بكلِّ كلمة، وكلَّ ما حدث.

قالت السيِّدة ميندام، وهي تبسط كفَّيها:

- حسنًا! هذا شيءٌ لا يُعقَل.

- بالضبط يا عزيزتي.

قالت السيِّدة ميندام:

- لا بُدَّ أنَّ الكاهنَ فَقَدَ عقلَه.

- هذا الأحدب هو بالتأكيد واحدٌ من أعجب المخلوقات التي رأيتُها منذ زمنٍ طويلٍ. يبدو غريبًا، بوجهٍ كبيرٍ متورِّدٍ مشرقٍ، وشعرٍ بنيٍّ طويلٍ. لا بُدَّ من أنَّه لم يُقص منذ أشهر!

وضع مساعد الكاهن أزراره بعناية على رفِّ منضدة الزينة، وواصل قائلًا:

- وبعينيه نظرةٌ محدِّقة، وله ابتسامة متكلِّفة. يبدو شخصًا سخيفًا للغاية. هيئته كالمخنثين.

سألت السيدة ميندام:

- لكن مَن يكون؟

- لا يمكنني تصوُّر ذلك يا عزيزتي، ولا من أين أتى. ربما يكون مُنشِدًا في جوقة، أي شيء ما من هذا القبيل.

- لكن ما سبب وجودِه عند الشجيرات... بذلك الزي الفظيع؟

- لا أعرف، لم يعطني الكاهن أيَّ تفسيرٍ. فقط قال ببساطة: «ميندام، هذا ملاكٌ».

قالت السيدة ميندام متفكِّرة:

- أتساءل عمَّا إذا كان يفرط في تناول الشراب، ربما كانا يستحمَّان عند النبع، بالطبع. لكنَّني لم ألحظه يحمل أيَّ ملابس أخرى على ذراعِه.

جلس مساعد الكاهن على فِراشه، وحلَّ رباطَ حذائِه.

- الأمر غامضٌ تمامًا بالنسبة لي، يا عزيزتي. (علا صوت الرباط وهو يفكه) الهلوسة هي التفسير المترفق الوحيد.

- هل أنتَ متأكدٌ يا جورج أنَّها لم تكن امرأة؟

قال مساعد الكاهن:

- متأكدٌ تمامًا.

- يمكنني تمييز الرجال، بالطبع.

قال مساعد الكاهن:

- كان هذا شابًّا في التاسعة عشرة، أو العشرين من عمره.

قالت السيدة ميندام:

- لا يمكنني فَهْم هذا الأمر. هل قلتَ إنَّ هذا المخلوق مقيمٌ في منزل الكاهن؟

قال مساعد الكاهن:

- لقد فقد هيليار عقلَه، بكلِّ بساطة.

نهض وسار عبر الغرفة حافي القدمين في اتجاه الباب، ليضع حذاءه بالخارج، وواصل قائلًا:

- إنَّ سلوكه يوحي أنَّه يؤمن بالفعل أنَّ ذلك المشوَّه ملاكٌ. هل حذاؤك بالخارج يا عزيزتي؟

قالت السيدة ميندام:

- إنَّه بجوار الخزانة. لطالما كان غريبَ الأطوار، كما تعلم، ولطالما كان فيه شيءٌ طفوليٌّ... ملاك!

أتى مساعد الكاهن، ووقف بجوار النار وهو يعبث بحمالاتِه، حيث كانت السيدة ميندام تحب إشعال المِدفأة، حتى في الصيف. قال:

- إنَّه يتجنَّب كلَّ مشاكل الحياة الجادة، ودومًا ما ينشغل بحماقة جديدة من نوعٍ ما. ملاك... يا للعجب!

ضحك فجأة، وقال:

- لا بُدَّ من أنَّ هيليار فَقَدَ عقلَه.

ضحكت السيدة ميندام أيضًا، وقالت:

- حتى لو كان الأمر كذلك، فهو لا يفسِّر حقيقة الأحدب.

قال مساعد الكاهن:

- لا بُدَّ من أنَّ الأحدب مجنونٌ هو الآخر.

قالت السيدة ميندام:

- هذه هي الطريقة الوحيدة لتفسير الأمر على نحوٍ منطقي.

ثم صمتت هُنيهة، قبل أن تواصل قائلة:

- سواء كان ملاكًا أم لا، فأنا أعرف حقوقي. حتى لو افترضنا أنَّ الرجلَ ظنَّ أنَّه بصحبة ملاك، فذلك ليس سببًا يمنعه من التصرُّف على نحوٍ لائقٍ.

- هذا صحيحٌ تمامًا.

- سوف تكتب إلى الأسقف بالطبع، أليس كذلك؟

سعل ميندام، وقال:

- لا، لن أكتب إلى الأسقف. أعتقد أنَّ ذلك يبدو كأنَّ فيه قدرًا من الغدر نوعًا ما. كما أنَّه لم يعِر خطابي الأخير أيَّ اهتمامٍ، كما تعرفين.

- لكن بالتأكيد...

- سوف أكتب إلى أوستن سرًّا، ومن المؤكَّد أنَّه سوف يخبر الأسقف، كما تعلمين. وعليكِ أن تتذكَّري يا عزيزتي...

- كنت ستقول إنَّ هيليار يمكنه عزلك. يا عزيزي، ذلك الرجل ضعيفٌ للغاية! أعرف ذلك جيِّدًا. وإلى جانب ذلك، فأنتَ من تقوم بكلِّ عملِه نيابة عنه. نحن من ندير هذه الأبرشية فعليًّا، من أقصاها إلى أقصاها. لا أعرف ماذا سيكون مصير الفقراء، لولاي أنا. لو كان الأمر بيدي، لكان لهم مكانٌ للإقامة مجانًا في منزل الكاهن، بدءًا من الغد. فهناك تلك المدعوة جودي آنسيل...

قال مساعد الكاهن، وهو يستدير ويواصل خلع ملابسه:

- أعلم يا عزيزتي، لقد حدثتِني عنها بعد ظهر هذا اليوم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



وهكذا في غرفة النوم الصغيرة هذه الواقعة أعلى الجملون، نصل إلى أول استراحة لنا في هذه الحكاية. وحيث إنَّنا بذلنا الكثيرَ من الجهد لسرد أحداث القصة، فربما يكون من الأفضل تلخيصها بعض الشيء.

بالنظر إلى ما سلف، نرى أنَّ الكثيرَ من الأحداث قد وقعت. بدأنا بوَهَج من الضوء، «ليس كلهبٍ موحد، بل تكسَّرت أنحاؤه بومضاتٍ منحنية تشبه السيوف الملوحة»، وصوت قيثارة مرتفع، وظهور ملاك بجناحين لهما ألوانٌ متغيرة.

وكما يجب أن يعترف القارئ، فقد تمَّ التخلُّص من الجناحين والتعامُل مع الهالة بسرعة ومهارة، وأُخفي كلُّ ذلك البهاء على عجلٍ تحت المعطف والبنطال، وتحوَّل الملاك ليبدو كأنَّه إنسانٌ، خوفًا من اتهامه بالجنون أو الاحتيال. كما سمعتم أيضًا، أو على الأقل تمكَّنتم من تخمين آراء الكاهن والطبيب وزوجة مساعد الكاهن فيما يتعلَّق بالزائر الغريب، كما سيلي بعد ذلك المزيدُ من الآراء المثيرة.

تحوَّل غسق الشمس جهة الشمال الغربي في ذلك المساء الصيفي إلى ليلٍ مظلمٍ، واستغرق الملاكُ في النوم. حلم بنفسِه وقد عاد إلى عالمِه الرائع، حيث يسود الضوءُ على الدوام، والجميع سعداء. وحيث لا تحرق النيران، ولا يتسبَّب الثلجُ في الشعور بالبرد، وحيث تتدفَّق جداول من ضوء النجوم عبر مروج أرجوانية، وتصب في بحارٍ من سلامٍ. حلم، وبدا له أنَّ جناحيه يتوهَّجان مرَّة أخرى بألف لونٍ، ويتألَّقان في الهواء البلَّوري للعالم الذي أتى منه.

هكذا استغرق في الحُلم، بينما رقد الكاهن مستيقظًا، وقد منعته الحيرة من النوم. كان ما يقلقه بشكلٍ رئيسٍ هو ما قد تُقدِم السيدة مينذام على فعله. لكن أحاديث ذلك المساء فتحت آفاقًا غريبة في ذهنِه، وقد حفَّزه شعورٌ أنَّه يرى بعين الخيال على نحوٍ غائمٍ، عالمًا غريبًا يحيط بعالمه، لم يكن يتخيَّل وجودَه من قبل. طوال عشرين عامًا، عاش حياته اليومية في القرية، تعصمه معتقداته المألوفة وصخب تفاصيل الحياة من الاستغراق في أي أحلامٍ غريبة. أمَّا الآن، فهناك شعورٌ غيرُ مألوفٍ بأشياءٍ جديدة عجيبة؛ قد خالط شعوره المعتاد بالانزعاج من جارِه المثير للضيق.

كان هناك نذيرُ سوءٍ في ذلك الإحساس، وفي الواقع، فقد طغى لوهلة على كل اعتباراته الأخرى. نهض من الفِراش متخبطًا بنوعٍ من الرعب، وأصيبت ساقاه بالكدمات حتى عثر على أعواد الثقاب أخيرًا، وأشعل شمعة ليؤكِّد لنفسِه مرَّة أخرى أنَّ عالمَه المألوف ما زال حقيقة واقعة. لكن بصفة عامة، كانت المشكلة الأكثر إلحاحًا هي المتاعب التي سوف تجرُّها عليه السيِّدة مينذام. بدا لسانُها كأنَّه مصلت فوقه مثل سيف دموقليس. تُرى ما الذي سوف تثرثر به بخصوص هذا الأمر، قبل أن تهدأ مخيلتها المشحونة بالسخط؟

وبينما خلد صائد الطائر الغريب إلى نومِه المضطرب، انشغل جالي، وهو من سكان سيدرتون، بإفراغ بندقيته بحرصٍ، بعد يومٍ مرهقٍ لم ينل فيه شيئًا، وركع ساندي برايت على ركبتيه للصلاة، وقد أغلق النافذة بعناية. وبعد أن استنفد كلاهما الحديثَ بخصوص أمر الصوت والوهج، استغرقت آني دورجان في النوم بعمقٍ وفمُها مفتوحٌ، وأخذت والدة أموري تحلم بالغسيل. جلس لامبي دورجان في فِراشه يدندن حينًا بجزءٍ من لحنٍ سمِعه، ويصيخ السمع حينًا آخر علَّه يسمع ذلك الصوتَ الذي يتوق لسماعِه مرة ثانية. أمَّا كاتب المحامي في إيبينج هانجر، فكان يحاول كتابة قصيدة عن ابنة تاجر الحلوى في بورتبوردوك، وقد نسي أمرَ الطائر الغريب تمامًا. لكنَّ المزارع الذي شاهد الطائر عند حدود حديقة سيدرمورتون كان يعاني من كدمة سوداء أصابت عينَه. كانت هذه إحدى النتائج

الملموسة لجدالٍ صغيرٍ دار في حانة «السفينة»، بخصوص سيقان الطيور. والأمرُ جديرٌ بالذكر على هذا النحو العابر، لأنَّه ربَّما يشكِّل المثال الوحيد المعروف لملاكٍ تسبَّب في وقوع مثل هذا الحادث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الصباح

ذهب الكاهن إلى الملاك، فوجده ارتدى ملابسَه، ويطلُّ من النافذة. كان نهارًا رائعًا وقطرات الندى لم تجف بعد، بينما تسلَّل ضوءُ الشمس المشرقة حول زاوية المنزل، ليصطدم دفؤه ولونُه الذهبي بجانب التلِّ. اصطخبت الطيور وسط السياجات الشجرية والشجيرات، وتحرَّك محراثٌ ببطءٍ أعلى التلِّ، حيث كان الوقت في أواخر شهر أغسطس. أسند الملاك ذقنَه على يديه، ولم يلتفت عندما اقترب منه الكاهن.

قال الكاهن:

- كيف حال جناحِكَ؟

أجاب الملاك:

- كنتُ قد نسيتُ شأنَه. هل ذلك الذي هناك رجلٌ؟

ألقى الكاهن نظرة، وقال:

- هذا مزارعٌ.

- ولماذا يروح جيئة وذهابًا على هذا النحو؟ هل يجد الأمرَ مسليًّا؟

- إنَّه يحرث الأرض. هذا عملُه.

- عمل! لماذا يفعل ذلك؟ يبدو هذا أمرًا رتيبًا.

أقرَّ الكاهن قائلًا:

- إنَّه كذلك بالفعل. لكن عليه القيام به كي يكسب قوتَه، كما تعلم. حتى يحصل على الطعام، ويأكل، وما إلى ذلك.

قال الملاك:

- يا لَلعجب! هل يضطرُّ كلُّ البشر للقيام بذلك؟ هل تفعل أنتَ ذلك؟

- أوه، لا. إنَّه يفعل ذلك نيابة عني، ويقوم بنصيبي.

سأله الملاك:

- لماذا؟

- أوه! مقابل الأشياء التي أؤديها أنا من أجلِه، كما تعلم. لدينا في هذا العالم ما يُسمَّى تقسيم العمل. لا تُعد تبادل المنفعة سرقة.

قال الملاك، وعيناه لا تزالان على المزارع وحركاتِه الثقيلة:

- فهمتُ. وما الذي تفعله أنتَ من أجله؟

قال الكاهن:

- يبدو ذلك السؤال سهلًا بالنسبة لكَ، إلَّا أنَّه صعبٌ في الواقع. نُظمُنا الاجتماعية معقَّدة نوعًا ما؛ من المستحيل شرح كل هذه الأشياء دفعة واحدة، قبل تناول الإفطار. ألا تشعر بالجوع؟

قال الملاك ببطءٍ، وهو لا يزال عند النافذة:

- أعتقد أنَّني جائعٌ.

ثم واصل حديثَه فجأة قائلًا:

- لسببٍ ما، لا يمكنني أن أمنع نفسي من التفكير في أنَّ حراثة الأرض لا بُدَّ وأن تكون أبعد ما يمكن عن المتعة.

قال الكاهن:

- احتمالٌ. احتمالٌ كبيرٌ للغاية. لكنَّ الإفطارَ جاهزٌ. ألن تأتي؟

ترك الملاك النافذة على مضضٍ.

أوضح الكاهن الأمر قائلًا، وهما يهبطان الدرج:

- مجتمعُنا عبارة عن منظومة معقَّدة.

- أجل؟

- وهو منظَّمٌ بحيث يقوم بعض الأشخاص بعملٍ، بينما يقوم آخرون بعملٍ غيره.

- وذلك العجوز النحيل المحني يسير متثاقلًا وراء تلك الشفرة الثقيلة من الحديد التي يجرُّها حصانان، بينما نذهب نحن لتناول الطعام؟

- أجل. سوف تجد ذلك الأمرَ عادلًا تمامًا. آه! الفطر والبيض المسلوق! هذا هو النظام الاجتماعي. أرجو أن تتفضَّل بالجلوس. ربما يبدو ذلك غيرَ عادلٍ بالنسبة لكَ؟

قال الملاك:

- أشعر بالحيرة.

قال الكاهن:

- الشراب الذي أناولك إياه اسمه قهوة. يمكنني تفهُّم حيرتك. إبَّان شبابي، كنتُ أشعر بالحيرة على النحو ذاتِه. لكن بعد ذلك تتسع رؤية المرء للأشياء. (هذه الأشياء السوداء تُسمَّى فطرًا، شكلُها جميلٌ). وهناك اعتباراتٌ أخرى. جميع الرجال إخوة بالطبع، لكنَّ البعضَ إخوةٌ أصغر، إن جاز التعبير. هناك أعمالٌ تتطلَّب الثقافة والكياسة، وأعمالٌ أخرى تشكِّل الثقافة والكياسة عائقًا بالنسبة لها. كما يجب ألَّا ننسى حقوق الملكية. يجب على المرء أن يعطي لقيصر... أتدري، بدلًا من شرح هذا الأمر الآن، (هذا لكَ)، سوف أعيرك كتابًا صغيرًا كي تقرأه. (علا صوت الكاهن وهو يلتهم الطعام). طعم هذا الفطر جميلٌ مثل مظهرِه. يشرح الكتاب كلَّ شيءٍ بوضوحٍ شديدٍ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

الكمان

بعد الإفطار، دخل الكاهن الغرفة الصغيرة المجاورة لحجرة مكتبِه، ليجد كتابًا عن الاقتصاد السياسي حتى يقرأه الملاك. حيث بدا من الواضح أنَّ جهلَ الملاك بالشؤون الاجتماعية أكبر من أن تكفيه أي تفسيراتٍ شفوية. كان الباب مواربًا.

قال الملاك وهو يتبعه:

- ما هذا؟ إنَّه كمان!

وتناوله من مكانِه.

سأله الكاهن:

- هل تجيد العزفَ؟

كان الملاك يحمل القوس في يدِه، وسحبه عبر الأوتار على سبيل الجواب لسؤال الكاهن. جعلت النغمة الصادرة الكاهن يلتفت فجأة.

أحكم الملاك قبضتَه على الآلة. طار القوس على الأوتار وارتعش، وتراقص في أذني الكاهن لحنٌ لم يسبق وأن سمعه من قبل. عدَّل الملاك وضع الكمان تحت ذقنِه الرقيق، وواصل العزف. وبينما هو يعزف، تألَّقتْ عيناه، وارتسمت على شفتيه ابتسامةٌ. في بادئ الأمر، وجَّه نظرتَه نحو الكاهن، وبعد ذلك ظهر الشرودُ على ملامحِه، وبدا كأنَّه لم يعُد ينظر إلى الكاهن، بل ينظر من خلالِه، إلى شيءٍ ما وراءه، شيء في ذاكرتِه أو مُخيَّلتِه، شيء بعيد بلا حدودٍ، لم يحلم به أحدٌ من قبل.

حاول الكاهن الاندماج مع الموسيقى. ذكَّره اللحن بلهبٍ يندفع نحو الأعلى، يلتمع ويرتعش ويتراقص، ويختفي ثم يعاود الظهور، لا، لم يعاود الظهور! بل كان لحنًا آخر، يشبهه ويختلف عنه في الوقت ذاته، انطلق بعده وارتعش، ثم اختفى. تلا ذلك لحنٌ ثالثٌ، مثل سابقيه، ويتمايز عنهما. ذكَّره الأمر بألسنة اللهب المشتعلة التي ترتعش وتتبدَّل فوق نارٍ أُشعِلت حديثًا. فكَّر الكاهن أنَّ هناك لحنين موسيقيين، أو فكرتين رئيستين متكررتين. أي منهما هو الصحيح؟ كان يعرف أقلَّ القليل عن تقنيات الموسيقى. يتصاعدان متراقصان، يلاحق أحدُهما الآخر، خارجان من نارٍ مسحورة، يطاردان بعضهما ويتماوجان ويتقلَّبان حتى عنان السماء. كانت هناك نارٌ مشتعلة بالأسفل، لهبٌ بلا وقودٍ على سطحٍ مستوٍ، وفراشتان عابثتان من الصوت، تتراقصان مبتعدتان عن النار، تطير كلاهما فوق الأخرى، سريعتان، حادَّتان، وغامضتان.

فراشتان عابثتان! ما الذي كان يفكر فيه الكاهن؟ أين كان؟ في الغرفة الصغيرة المجاورة لحجرة مكتبه بالطبع! وكان الملاك يقف أمامه، مبتسمًا في وجهه، وهو يعزف الكمان، وينظر من خلالِه كأنَّه مجرد نافذة. ها هو ذلك اللحن مرة أخرى، لهبٌ أصفر مشرع كمروحة بفعل ريحٍ عاصفة، يلملم بعدها أطرافَه، ثم يلاحقه الآخر بحركة سريعة متماوجة نحو الأعلى. ويطارد الكائنان المخلوقان من نارٍ ونورٍ بعضهما مرة أخرى عبر ذلك الفضاء الفسيح.

فجأة، تلاشتْ غرفة المكتب وحقائق الحياة بأكملِها من عين الكاهن، وتضاءلت شيئًا فشيئًا، كضبابٍ ينقشع ويتلاشى في الجو، ووقف هو والملاك معًا على ذروة جبلٍ من الموسيقى، تدور حوله ألحانٌ متلألئة، وتختفي، ثم تعاود الظهور. كان في أرض الجمالِ، وانعكس بهاء

السماء على وجه الملاك مرة أخرى، ونبض جناحاه ببهجة الألوان المتألِّقة. عجز الكاهن نفسه عن رؤية الملاك، ولا يسعني أنا أن أصف لكم منظر تلك الأرض الشاسعة العظيمة، باتساعها المذهل، وارتفاعها وبهائها. فلا وجود هناك للمكان ولا للزمان كما نعرفهما نحن. سيضطر المرء إلى اللجوء للحديث مستعينًا باستعاراتٍ خرقاء، وسيغمره الشعور بالمرارة بعد أن يفشل في نهاية المطاف. وكان كل ذلك مجرد رؤيا؛ لم ترهما المخلوقات الرائعة الطائرة عبر الأثير خلال وقوفِهما هناك، وطارا من خلالِهما كما قد يمرُّ المرءُ من بين غلالة من الضباب. فَقَدَ الكاهن أيَّ إحساسٍ بالزمن، وبضرورات الحياة.

قال الملاك فجأة، وهو يضع الكمان جانبًا:

- آه!

كان الكاهن قد نسي كتابَ الاقتصاد السياسي، ونسي كلَّ شيءٍ، حتى انتهى الملاك من العزف. بقي ساكنًا تمامًا لمدة دقيقة، ثم استفاق بدهشة. كان جالسًا على صندوقٍ قديمٍ محاطٍ بأجزاءٍ حديدية.

قال ببطءٍ:

- أنت حقًّا عازفٌ بارعٌ جدًّا.

نظر حوله متحيرًا.

- شاهدتُ رؤيا من نوعٍ ما، بينما أنتَ تعزف. بدا لي أنَّني رأيت.. ما الذي رأيته؟ لقد زال عن ذهني.

نهض واقفًا، وقد ارتسمت على ملامحِه أماراتُ الانبهار. قال:

- لن أعزف الكمان مرَّة أخرى أبدًا. أتمنَّى لو أنَّك أخذته إلى غرفتِكَ واحتفظتَ به، وأن تعزف لي مرة ثانية. لم أكن أعرف أيَّ شيءٍ عن الموسيقى، حتى سمعتك تعزف. أشعر كأنَّني لم أسمع أي موسيقى قطُّ من قبل.

حملق بالملاك، ثم حدَّق إلى الغرفة من حولِه. واصل قائلًا:

- لم يسبق وأن ساورني مثل هذا الشعور مع الموسيقى على الإطلاق من قبل.

هزَّ رأسَه، وقال:

- لن أعزف أبدًا مرَّة أخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الملاك يستكشف القرية

سمح الكاهن للملاك بالنزول إلى القرية بمفردِه، لتتشكَّل لديه فكرةٌ أفضل عن البشرية، وأعتقدُ أنَّ ذلك كان ينمُّ عن انعدامٍ بالغٍ للحكمة. لم يكن تصرُّفًا حكيمًا، إذ كيف كان له أن يتخيَّل الاستقبال الذي سوف يلقاه الملاك؟ لكن لم يكن ذلك نتيجة استهتارٍ من جانبِه، إذ لطالما التزم الكاهن بالتصرُّف على نحوٍ لائقٍ في القرية، وكانت فكرة تجمُّع موكبٍ يتقدَّم ببطءٍ عبر الشارع الضيق، مع كل الملاحظات الغريبة والتفسيرات والإشارات التي لا مفرَّ منها، أكثر ممَّا يمكنه تخيله. قد يُقدِم الملاك على ارتكاب أغرب الأفعال، التي من المؤكد أنَّ القرية سوف تنشغل بها، لتحدِّق به الوجوه التي يتساءل أصحابُها: «من هذا الذي أتى به الكاهن الآن؟». علاوة على ذلك، ألم يكن من واجب الكاهن الانتهاء من إعداد خِطبته في الوقت المناسب؟ انطلق الملاك بمفردِه مبتهجًا، بتوجيهٍ من الكاهن، وهو لا يزال جاهلًا بمعظم خصائص الطِّباع البشرية، مقارنة بتلك الطِّباع التي يتميَّز بها الملائكة.

سار الملاك ببطءٍ، ويداه البيضاوان معقودتان خلف ظهرِه المحني، ووجهُه العذب يتلفَّت لهذا الاتجاه وذاك. أطلَّ بفضولٍ في أعين الناس الذين التقاهم. كان هناك طفلٌ صغيرٌ يقطف بعضَ زهور البيقية والعسلة، تأمَّل وجه الملاك، ولم يلبث أن تقدَّم منه، ووضع الزهورَ في كفِّه. كان ذلك هو التصرُّف اللطيف الوحيد الذي لاقاه الملاك من البشر (باستثناء الكاهن، وشخصٍ آخر فحسب). سمع الجدة جوستيك توبِّخ حفيدتَها بينما هو يمرُّ أمام الباب:

- أيَّتُها الوقحة المنحرفة! أيَّتُها العاهرة عديمة النفع!

توقَّف الملاك مندهشًا من الضجيج الغريب لصوت الجدة جوستيك.

- ترتدين أفضل ملابسكِ، وتضعين ريشة في قبعتكِ، وتذهبين للقائه في أتمِّ زينتك، بينما أبقى أنا في المنزل أكدُّ من أجلكِ. سوف تكونين كالبغي، يا فتاتي، وأنتِ تخاطرين بالتبختر متكاسلة بكلِّ زينتك هذه.

توقَّف الصوتُ فجأة، وحلَّ سكونٌ رهيبٌ على الجو بعد ما تعرض له من قصفٍ. قال الملاك وهو لا زال يتفحَّص هذا المنزل العجيب العامر بالمشاحنات:

- يا له من أمرٍ منفِّرٍ وغريبٍ! «تخاطرين بالتبختر»!

لم يكن يدري أنَّ السيِّدة جوستيك انتبهت لوجودِه فجأة، وكانت تتفحَّص مظهرَه من وراء ستائر النافذة. انفتح البابُ فجأة، وحدَّقت في وجه الملاك. بدت كشبحٍ غريبٍ، بشعرٍ رماديٍّ مترَّبٍ، وفستانٍ ورديٍّ قذرٍ انفتح ليُظهر أوتار رقبة نحيلة، ووجه بشعٍ مشوَّه، لم يلبث أن انطلق منه وابلٌ من السباب غير المفهوم.

قالت السيدة جوستيك:

- حسنًا إذَنْ، أيُّها السيِّد. أليس لديكَ شيءٌ تفعله أفضل من وقوفِكَ وأنت تسترق السمع عند أبواب الناس، في انتظار ما قد تلتقطه أذنك؟

حدَّق إليها الملاك مندهشًا.

قالت السيِّدة جوستيك، وقد بدا عليها الغضب بدرجة كبيرة:

- أتسمعني؟ أنت تسترق السمع.

- هل لديكِ أيُّ اعتراضٍ على أنَّني أستمع...

- اعتراض على أنَّك تستمع! بالطبع لدي اعتراضٌ! ما الذي تظنُّه؟ يا لكَ من أحمق!

- لكن إذا كنتِ لا تريدينني أن أسمعكِ، لمَ كنتِ تصرخين بصوتٍ مرتفعٍ لهذا الحدِّ؟ لقد ظننتُ...

- ظننتَ! أحمق! ما أنتَ إلا أحمق! أيُّها البدين الأحمق المتطفل المغفل! أليس لديك شيءٌ تفعله، أفضل من أن تأتي بفمك البدين هذا وهو مفتوحٌ عن آخره كالأبله، وأنت تسترق السمع لكلِّ ما يمكنك التقاطه، ثم تنطلق بعدها لتنقل الحديث! أيُّها البدين الثرثار الأحمق! عليكَ أن تخجل من التطفُّل والتنصُّت حول منازل الناس الهادئة.

فوجِئ الملاك عندما وجد أنَّ هناك سمةً غامضةً في صوتِها تولِّد في نفسِه مشاعرَ مزعجة، وتثير لديه رغبة قوية في الانسحاب. لكنَّه قاوم ذلك الشعور، ووقف يستمع لها بأدبٍ (كما هي العادة في أرض الملائكة، طالما كان هناك شخصٌ ما يتحدَّث). كانت ثورتُها بأكملِها أكبر من استيعابه. لم يفهم أيَّ سببٍ للظهور المفاجئ لتلك الرأس التي تنسال منها البذاءات، والتي خرجت من اللا شيء، إن جاز التعبير. كما لم يسبق له وأن طرح عليه أحدٌ أسئلة دون إتاحة الفرصة له للجواب.

واصلتْ السيِّدة جوستيك الحديثَ بطلاقتِها المعتادة، وأكدتْ له أنَّه ليس رجلًا مهذبًا، وتساءلت ما إذا كان يعتبر نفسه كذلك، وعلَّقت قائلة إنَّ كلَّ متشردٍ صار يعتبر نفسه سيِّدًا مهذبًا في هذه الأيام، وشبَّهته بخنزيرٍ عالقٍ، وتعجَّبت من وقاحتِه، وسألته عمَّا إذا كان يشعر بالخجل من نفسِه وهو واقفٌ هناك، وما إذا كانت له جذورٌ تجعله ثابتًا في الأرض، وقالت إنَّها تريد منه إخبارها ما يقصده من فعله هذا، كما ترغب في معرفة ما إذا سرق ملابسه من فزاعة طيور، وعلقت قائلة إنَّ تفاهة غير عادية هي الدافع وراء سلوكه، وسألت عمَّا إذا كانت والدته تعلم أنَّه بالخارج، ثم علَّقت أخيرًا قائلة:

- لديَّ ما سوف يجعلك تتحرك من مكانِكَ، أيُّها السيِّد!

ثم اختفت وهي تصفق الباب بعنفٍ.

أحسَّ الملاك بالسلام على نحوٍ استثنائي خلال ذلك الفاصل، إذ سنحت لعقلِه المضطرب الفرصة لتحليل مشاعرِه. توقَّف عن الانحناء والابتسام، ووقف مشدوهًا فحسب.

قال الملاك:

- هذا شعورٌ مؤلمٌ غريبٌ. يكاد يكون أسوأ من الجوع، ويختلف عنه تمامًا. عندما يشعر المرء بالجوع، فهو يرغب في تناول الطعام. أعتقد أنَّها كانت امرأة. هذا الشعور يجعل المرء يرغب في الابتعاد. أعتقد أنَّه يجدر بي الانصراف فحسب.

استدار ببطءٍ، وسار عبر الطريق متأملًا. سمع باب الكوخ وهو ينفتح مرة ثانية، وأدار رأسَه فرأى السيدة جوستيك من خلال نباتات الفاصوليا الإسبانية التي اعترضت الطريق بينهما، وهي تحمل قدرًا يتصاعد منه البخار وقد امتلأ بالماء الذي كانت تغلي فيه الكرنب.

أتاه صوت السيدة جوستيك طافيًا من بين الزهور القرمزية:

- من الجيِّد أنَّكَ انصرفت، أيُّها السيد ذو السروال المسروق. لا تأتِ لاختلاس النظر والتطفل حول هذا الكوخ ثانية، وإلَّا سوف أعلِّمكَ الأدب، وأنا أعني ذلك!

وقف الملاك في حالة من الحيرة البالغة. لم تكن لديه أدنى رغبة في الاقتراب من ذلك الكوخ مرة أخرى أبدًا. لم يفهم بالتحديد مغزى القدر الأسود، لكنَّ انطباعه العام كان مزعجًا تمامًا. لم يكن هناك تفسيرٌ للأمر.

تعالى صوت السيِّدة جوستيك وهي تصيح:

- أنا أعني ذلك! اللعنة! أنا أعني ذلك!

استدار الملاك ومضى في طريقِه، وفي عينيه نظرةٌ متحيرة.

قال الملاك:

- كانت بشعة جدًّا! بشعة للغاية. أبشع كثيرًا من ذلك الرجل الضئيل المكتسي بالسواد. وهي تعني ذلك... لكنني لا أفهم ما الذي تعنيه!

صمت، ثم قال وهو لا يزال في حيرة من أمره:

- أعتقد أنَّهم جميعًا يعنون شيئًا ما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



بعد ذلك، صار الملاك على مرمى البصر من ورشة الحدادة، حيث كان شقيق ساندي برايت يركِّب حدوات لحصان حوذي من أبمورتون. كان هناك فتيان أخرقان يقفان بجوار ورشة الحدادة، يحملقان ببلاهة وهما يراقبان سير العمل. عندما اقترب الملاك، استدار هذان الاثنان، ثم استدار الحوذي أيضًا ببطءٍ بزاوية ثلاثين درجة، وراقبوا اقترابه وهم يحدِّقون به بهدوءٍ وثباتٍ. ارتسم على وجوهِهم تعبيرُ اهتمامٍ بارد.

أحسَّ الملاك بالحرج لأوَّل مرَّة في حياتِه. اقترب أكثر، محاولًا إبقاء تعبيرٍ وديٍّ على ملامحِه، فاصطدم تعبيرُه ذاك عبثًا بنظراتِهم المحدقة به بصلابة. كان كفَّاه معقودتين خلفه. ابتسم ابتسامة لطيفة، وتأمَّل بفضولٍ عملَ الحداد غير المفهوم (بالنسبة له). لكن بدت مجموعة الأعين مثبتة عليه كأنَّها تطلب منه الانتباه، وعندما حاول الملاك تبادل النظر مع أزواج الأعين الثلاثة في نفس الوقت، تشتَّت انتباهُه وتعثَّر في حجرٍ. سعل أحد الحمقى على نحوٍ ساخرٍ، ولم يلبث أن غمرته الحيرة من نظرة الملاك المتسائلة، ووكز رفيقَه بمرفقِه ليداري ارتباكه. لم ينبس أحدٌ منهم بكلمة، كما لم يتحدَّث الملاك.

بمجرد رحيل الملاك، دندن أحدُهم هذا اللحن بنبرة عدوانية:

عندها، انفجر ثلاثتُهم بالضحك. حاول أحدهم أن يغني شيئًا، فوجد بلغمًا في حلقِه، ومضى الملاك في طريقِه.

قال الفتى الأخرق الثاني:

- من يكون هذا، إذَنْ؟

تعالى صوت مِطرقة الحداد، بينما واصل عملَه.

قال حوذي أبمورتون:

- أعتقد أنَّه غريبٌ عن القرية. يبدو أحمقَ وسخيفًا للغاية.

قال الفتى الأخرق الأوَّل بحكمة:

- هذا هو الحال مع أولئك الغرباء.

قال حوذي أبمورتون:

- لديه ما يشبه الحَدَب إلى حدٍّ كبيرٍ. بل هو كذلك بالتأكيد.

ثم عمَّ الصمتُ مرة أخرى، واستأنفوا نظراتهم الصامتة الخاوية إلى هيئة الملاك وهو يبتعد.

كرَّر الحوذي قائلًا بعد فترة طويلة من الصمت:

- إنَّه يشبه الحَدَب إلى حدٍّ كبيرٍ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

مضى الملاك في طريقِه عبر القرية، وانبهر بكلِّ ما شاهده. حدَّث نفسَه بنبرة متحيرة قائلًا:

- تبدأ حياتُهم، وتستمرُّ لفترة قصيرة، ثم تشارف نهايتها، لكن ما الذي يفعلونه في هذه الأثناء؟

ثم تناهى لمسامعه صوتُ شخصٍ لم يره، وهو يهمهم بكلماتٍ غير واضحة للحن الذي دندنه الرجل في ورشة الحدادة.

قالت سارة جلو (القاطنة في المنزل رقم 1، تشرتش كوتدجز) وهي تنظر من وراء الستارة:

- ها هو ذلك المخلوق المسكين الذي أطلق عليه الكاهن النار ببندقيته الضخمة تلك.

قالت سوزان هوبر وهي تختلس النظر من بين فجوات ذلك الساتر الملائم لحجب فضولِها خلفه:

- يبدو فرنسيًّا.

عادت سارة جلو تقول، وقد التقت نظرتُها بنظرتِه للحظة:

- عيناه جميلتان.

واصل الملاك السير. مرَّ ساعي البريد بجوارِه، فلمس قبَّعتَه على سبيل التحية له. وبعد مسافة أخرى من الطريق، كان هناك كلبٌ نائمٌ في الشمس. واصل المسير فرأى ميندام، الذي أومأ له برأسِه عن بُعدٍ، ثم أسرع مبتعدًا. (لم يرغب مساعد الكاهن في أن يراه أحدٌ وهو يتبادل الحديث مع الملاك في القرية، حتى يعرف المزيد من المعلومات عنه). ثم صدر من إحدى المنازل صوت طفلٍ يصرخ بعنفٍ، فارتسمت الحيرة على الوجه الملائكي. بعد ذلك، وصل الملاك إلى الجسر الكائن أسفل آخر منازل القرية، ووقف مستندًا إلى الحاجز يراقب الشلال الصغير المتلألئ عند الطاحونة.

بدا السدُّ عند الطاحونة كأنَّه يقول:

- تبدأ حياتُهم، وتستمرُّ لفترة قصيرة، ثم تشارف نهايتها.

وجرت المياه أسفل الجسر، خضراء داكنة يخطها الزبد.

وراء الطاحونة، ارتفع برج الكنيسة المربع الشكل الذي امتدَّت خلفه ساحة الكنيسة، وتناثرت عبر جانب التلِّ شواهدُ القبور الحجرية والألواح الخشبية. وأحاطت بالمشهد كلِّه ستُّ شجرات من أشجار الزان.

ثم سمع الملاك وقع أقدامٍ واحتكاك عجلات خلفه، أدار رأسَه فشاهد رجلًا يرتدي أسمالًا بنية قذرة، وقبعة من اللباد استحالت إلى اللون الرمادي بفعل الغبار. وقف الرجل متمايلًا على نحوٍ طفيفٍ، وهو يحدِّق بظهر الملاك بثباتٍ. كما كان هناك وراءه رجلٌ آخر على نفس القدر من القذارة تقريبًا، يدفع عربة سنِّ سكاكين عبر الجسر.

قال الرجل الأول، وهو يبتسم ابتسامة خفيفة:

- صباح...

كتم فواق حاول الانفلات منه، وكرَّر قائلًا:

- طاب صباحُك.

حدَّق إليه الملاك، حيث لم يكن قد سبق له وأن رأى ابتسامة بلهاء حقًّا من قبل. سأله:

- مَن أنتَ؟

تلاشت الابتسامة البلهاء. قال الرجل وقد غلبه السُّكر:

- ليس من شأنِكَ مَن أكون. أتمنَّى لكَ صباحًا طيبًا.

قال الرجل صاحب العربة، وهو يمرُّ في طريقِه:

- هيا، تعالَ.

كرَّر الرجل المتَّسخ قائلًا بنبرة شديدة العصبية:

- أتمنى لكَ صباحًا طيبًا. ألا يمكنك الإجابة؟

قال الرجل صاحب العربة وهو يتراجع:

- تعالَ، أيها الأحمق!

قال الملاك:

- أنا لا أفهم.

أجاب الرجل وقد خرج كلامُه مبهمًا بفعل السُّكر:

- لا تفهم؟ الأمر بسيطٌ بما يكفي. أتمنَّى لكَ صباحًا طيبًا. ألن تجيبني؟ هل ستفعل؟ تمنَّ لي صباحًا طيبًا، لأني سوف أجيبك. ألن تتمنَّى؟ كما تشاء.

كان الملاك في حيرة من أمرِه. وقف الرجل المخمور يترنَّح للحظة، ثم انتزع قبَّعتَه من على رأسِه بيدٍ مرتعشة، وألقاها عند قدمي الملاك.

قال كمن حسم أمرًا مهمًّا:

- حسنًا، إذَنْ.

أتى صوتُ صاحب العربة مناديًا، وقد توقَّف على بُعد قرابة عشرين ياردة:

- تعالَ!

- أتريد القتال، أيُّها …

لم ينجح الملاك في التقاط الكلمة الأخيرة.

واصل الرجل قائلًا:

- سألقنك درسًا، لأنَّك لم ترد عليَّ تحية الصباح!

شرع يحاول خلع معطفه بصعوبة، وقال:

- أتظنني ثملًا؟ سوف ألقنك درسًا!

جلس صاحب العربة على ذراعِها، ليراقب القتال. قال:

- هيا، تعالَ.

كان المعطف معقدًا، وأخذ الرجل المخمور يترنَّح في الطريق وهو يحاول التحرُّر منه، ويلقي بكلمات التهديد والوعيد. بدأ الملاك يشكُّ بدرجة ما أنَّ هذه التصرفات عدائية.

قال الرجل الثمل ومعطفه عالقٌ فوق رأسِه تقريبًا:

- لن تتعرَّف عليك أمُّك عندما أنتهي من أمرِك.

استقرَّ المعطف أخيرًا على الأرض، ومن خلال الفجوات المتعددة في صدرتِه المهترئة، انكشف أمام أعين الملاك، التي تتصف بدقة الملاحظة، جسد العامل المتجول المخمور، رشيقًا مشعرًا، بعضلاتٍ قوية. اتَّخذ الرجل وضعية التأهُّب للقتال على نحوٍ بارعٍ.

قال وهو يتقدَّم للأمام ثم يتراجع ثانية، وقد رفع قبضتيه، ومرفقيه باتجاه الخارج:

- سوف أمحو ملامحكَ!

أتى صوتٌ عبر الطريق قائلًا:

- هيا، تعالَ!

تركَّز انتباه الملاك على قبضتين ضخمتين سوداوين مشعرتين، وهما تتأرجحان وتتقدَّمان وتتراجعان.

قال الرجل ذو الملابس الرثَّة:

- هل قلت تعالَ؟ سوف ألقنك درسًا!

ثم واصل قائلًا بشراسة غير عادية:

- يا إلهي! سأجعلك تتعظ!

اندفع الرجل فجأة إلى الأمام، وبغريزة مكتسبة حديثًا، رفع الملاك ذراعَه بطريقة دفاعية، وتنحَّى جانبًا كي يتفادى الرجل. أخطأت قبضته كتف الملاك بمقدار شعرة، وانهار العامل المتجوِّل متكومًا، وارتطم وجهُه بحاجز الجسر. تردَّد الملاك للحظة وهو واقفٌ فوق الرجل المتكوم الذي أخذ يتلوَّى ويجدف في الحديث، ثم استدار إلى رفيق الرجل الواقف على مسافة أبعد عبر الطريق.

قال الرجل المتكوم على الجسر:

- دعني أنهض. دعني أنهض أيُّها الخنزير، وسوف ألقِّنكَ درسًا.

غمر الملاك شعورٌ غريبٌ من الاشمئزاز والنفور البالغ. سار ببطءٍ، مبتعدًا عن السكير، متوجهًا نحو الرجل صاحب العربة.

قال الملاك:

- ما الذي يعنيه كلُّ ذلك؟ أنا لا أفهم شيئًا.

أجابه الرجل صاحب العربة، وقد بدا عليه الضيق بوضوحٍ:

- هذا الأحمق اللعين! يقول إنَّ اليوم هو زفافه الفضي!

ثم صاح عبر الطريق مرة أخرى بنبرة بدا فيه نفاد الصبر:

- هيا، تعالَ!

قال الملاك:

- زفاف فضي! ما هو الزفاف الفضي؟

قال الرجل صاحب العربة:

- مجرد محض هُراء. دومًا ما يختلق أعذارًا من هذا القبيل. الأمر مثيرٌ للاشمئزاز. في الأسبوع الماضي، كان عيد مولده اللعين، ولم يكد يستفيق من السُّكر، حتى تناول شرابًا آخر احتفالًا بعيد مولدي الجديد!

ثم وجَّه الحديث لرفيقِه ثانية، وقال:

- تعالَ، أيُّها الأحمق!

قال الملاك:

- لكنَّني لا أفهم. لمَ يترنَّح على هذا النحو؟ ولماذا يستمرُّ في محاولاتِه لالتقاط قبعته، ويفشل في ذلك؟

قال العامل المتجول:

- لماذا! حسنًا، أهل هذه القرية اللعينة يتسمون بالبراءة حقًّا! لماذا! لأنَّ السُّكر أعماه! وما الذي يمكن أن يكون السبب خلاف ذلك؟ (هيا، عليكَ اللعنة!). لأنَّه شرب حتى امتلأ تمامًا بالشراب، ولم يعُد لديه متَّسعٌ للمزيد. هذا هو السبب!

لاحظ الملاك نبرة صوت العامل المتجول الثاني، وأدرك أنَّه من الحكمة ألَّا يوجه إليه المزيدَ من الأسئلة. لكنَّه وقف بجوار العربة، واستمرَّ في مراقبة التطورات الغريبة التي تقع على الجسر.

- تعالَ! أعتقد أنَّني سوف أضطرُّ للذهاب لالتقاط تلك القبعة... دومًا ما يفعل ذلك. لم يكن لديَّ شريكٌ لعينٌ على هذا النحو من قبل قطٌّ. دومًا ما يثمل.

تأمَّل صاحب العربة قائلًا:

- ليس الأمر كما لو أنَّه رجلٌ نبيلٌ، غير مضطرٍّ للعمل لكسب قوتِه. ما أن يثمل بعض الشيء، حتى يصبح أحمق ومتهورًا، ويستفز كلَّ من يلقاه. (ها أنت ذا!). سأكون سعيدَ الحظ لو لم يستفز جيش الخلاص بأكملِه للقتال! لا حكمة في ذلك على الإطلاق. (أوه! هيا! هيا!). وعليَّ الذهاب لالتقاط تلك القبعة اللعينة الآن، على ما أعتقد. إنَّه لا يكترث بالمتاعب التي يتسبَّب فيها للآخرين.

راقب الملاك العامل المتجول الثاني وهو يسير عائدًا، ويطلق السباب بودٍّ وهو يساعد الأول على ارتداء قبعته ثم معطفه. بعد ذلك، استدار الملاك وهو في حيرة من أمرِه، وقفل عائدًا إلى القرية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

بعد تلك الواقعة، سار الملاك متجاوزًا الطاحونة، ودار خلف الكنيسة ليتفحص شواهدَ القبور.

قال الملاك وهو يقرأ العبارات المنقوشة على الشواهد:

- يبدو أنَّ هذا هو المكان الذي يحتفظون فيه بالأجزاء المتداعية. يا لها من كلمة غريبة. أرملة! سوف أُبعث من جديد! إذَنْ فأمرهم لم ينتهِ تمامًا بعد. يا لها من كومة ضخمة من التراب تلك التي يحتاجونها للإبقاء عليها تحت سطح الأرض. كم هي مفعمة بالحيوية!

واصل الملاك قائلًا بصوتٍ خفيضٍ:

- هوكينز؟ هوكينز؟ الاسم غريبٌ بالنسبة لي. إنَّه لم يمت إذَنْ. هذا واضحٌ بما فيه الكفاية. انضم إلى ملائكة السماء، 17 مايو، 1863. لا بُدَّ وأنَّه شعر بالغربة بنفس القدر الذي أستشعره أنا هنا على الأرض. لكنَّني أتساءل، لمَ يضعون ذلك الإناء الصغير فوق الشاهد؟ هذا غريبٌ! هناك العديد غيرها. أوانٍ حجرية صغيرة، يعلوها ستائر حجرية صلبة.

عندئذٍ، تدفَّق الصبية خارجين من المدرسة الوطنية، ووقف أحدُهم فاغرًا فاه عندما رأى الملاك بظهرِهِ الأحدب وهو متشح بالسواد، وسط الشواهد البيضاء، ثم انضم إليه آخرون.

قال أحدهم:

- يا له من ظهرٍ عجيبٍ!

وقال آخر:

- لديه شعرٌ يشبه شعر الفتيات!

استدار الملاك نحوهم، واستغرب من الرؤوس الصغيرة العجيبة المطلَّة من فوق الجدار المغطَّى بطحالب الأشنة. ابتسم في وجوهِهم المحدِّقة به ابتسامة خفيفة، ثم التفتَ متعجبًا من السياج الحديدي المحيط بقبر فيتز-جارفيز.

قال الملاك:

- يا له من جوٍّ عجيبٍ من الريبة. هناك ألواحٌ، وأكوامٌ من الحجارة، وهذه السياجات. هل يشعرون بالخوف؟ هل يحاول هؤلاء الموتى النهوض مرَّة أخرى؟ هناك جوٌّ من القمع والتحصينات.

انطلق ثلاثة أولاد صغار يتغنون معًا:

- قص شعرك، قص شعرك.

قال الملاك:

- هؤلاء البشر أمرهم غريب! أراد ذلك الرجل بالأمس بتْرَ جناحي، والآن يريدني هؤلاء الصغار أن أقصَّ شعري! كما عرض ذلك الرجل على الجسر محو ملامحي. لن يلبثوا أن يقضوا عليَّ عن قريبٍ.

تغنَّى صغيرٌ آخر قائلًا:

- من أين أتيتَ بتلك القبعة؟ من أين جئتَ بتلك الملابس؟

قال الملاك:

- إنَّهم يطرحون أسئلة يبدو بوضوحٍ أنَّهم لا ينتظرون لها جوابًا. بوسعي معرفة ذلك من نبرة صوتِهم.

تأمَّل الأولاد الصغار متفكرًا، وواصل قائلًا:

- لا أفهم أساليبَ التواصل البشري. لا بُدَّ من أنَّ هذه إيماءاتٌ ودية، طقوسٌ من نوعٍ ما. لكنَّني لا أعرف الردود الملائمة. أعتقد أنَّني سأعود للرجل البدين القصير المتشح بالسواد، الذي لديه سلسلة ذهبية معلَّقة على بطنِه، كي أطلب منه التوضيح. الأمر صعبٌ.

استدار الملاك متجهًا نحو البوابة. صاح أحد الأولاد الصغار بحدَّة قائلًا:

- أوه!

وألقى بقشرة من ثمار شجرة الزان، فتدحرجت عبر الطريق وسط ساحة الكنيسة. وقف الملاك مندهشًا.

دفع هذا جميع الأولاد الصغار للضحك. قلَّد صبيٌّ آخر الأول قائلًا «أوه!»، وأصاب الملاك بقشرة. كانت دهشته مسلية حقًّا. أخذوا جميعًا يتصايحون قائلين: «أوه!»، وهم يقذفونه بقشور ثمار شجرة الزان. أصابت إحداها يد الملاك، كما أصابته أخرى في أذنِه. تحرَّك الملاك نحوهم بارتباكٍ، وهو يتلفظ بعبارات الاحتجاج، وتوجَّه نحو الطريق. صُدِم الأولاد الصغار وأصابتهم الدهشة من ارتباكِه وجبنِه. ولم يكن التصرُّف على مثل ذلك النحو من السذاجة مما يُنصَح به، حيث تزايد معدَّل قذفِه بالقشور بغزارة. ربما يمكنكم تخيُّل تلك اللحظات الحيوية، بينما الأولاد الصغار الوقحون يركضون مقتربين ويوجهون قذائفهم، والصغار الأقل منهم جرأة يهرعون خلفهم بالقذائف الطائرة. أثار المشهد كلبَ ميلتون سكريفر الهجين، وأخذ يعوي منتشيًا، وتراقص (وقد ملأته الخيالات الجامحة) مقتربًا أكثر وأكثر من ساقي الملاك.

صاح صوتٌ جهوريٌّ قائلًا:

- مرحى، مرحى! لم أتخيَّل مثل هذا أبدًا! أين السيِّد جارفيس؟ تأدَّبوا، أيُّها الأوغاد الصغار!

تفرَّق الصغارُ يمنة ويسرة، فتسلَّق بعضُهم الجدار إلى الملعب، وذهب البعضُ الآخر عبر الطريق.

اقترب كرامب قائلًا:

- صار هؤلاء الصغار مزعجين للغاية! أعتذر عن مضايقاتهم لكَ.

بدا الملاك منزعجًا للغاية، وقال:

- لا أفهم أساليب البشر هذه.

- نعم، بالطبع. إنَّها غيرُ مألوفة بالنسبة لكَ. كيف حال زوائدكَ؟

قال الملاك:

- حال ماذا؟

- أطرافك الزائدة، كما تعلم. كيف حالها؟ حيث إنَّك أتيتَ إلى هنا، تعالَ؛ ادخل ودعني ألقي عليها نظرة مرة أخرى. أيُّها الصغار المشاغبون! وفي هذه الأثناء، سيكون هؤلاء المشاغبون الصغار في طريقهم إلى منازلهم. جميعهم يتشابهون في هذه القرى. لا يستطيعون فَهْم أي شيءٍ خارج عن نطاق المألوف. يشاهدون غريبًا له هيئةٌ مختلفة، فيقذفونه بالحجارة. لا يتعدَّى خيالُهم نطاقَ الأبرشية. (سوف أعطيكم دواءً مليِّنًا إذا ضبطتكم وأنتم تزعجون الغرباء مرَّة أخرى!). أعتقد أنَّ المرءَ عليه أن يتوقَّع حدوثَ ذلك. تعالَ من هنا.

هكذا تمَّ اقتيادُ الملاك على عجلٍ إلى العيادة لإعادة تضميد جرحه، بينما كانت الحيرة لا تزال تتملَّكه بشدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



رأي الليدي هامرجالو

في حديقة سيدرمورتون، كان يوجد منزل سيدرمورتون، حيث تعيش الليدي هامرجالو العجوز، وتعتمد في حياتِها بشكلٍ أساسيٍّ على نبيذ بورجوندي والفضائح الصغيرة بالقرية. كانت عجوزًا لطيفة ذات عنقٍ مترهِّلٍ ووجه مشوب بالحمرة، تنفجر في نوبات غضبٍ متكررة أحيانًا. كانت تعتمد على ثلاثة أنواعٍ من العلاج لحلِّ جميع المشاكل الإنسانية التي تصيب من تقوم على رعايتِهم: زجاجة من شراب الجين، وزوج من البطانيات التي تبرَّع بها أهلُ الخير، أو عملة معدنية جديدة من فئة الكراون. يقع المنزل على بُعد ميلٍ ونصفٍ خارج حدود سيدرمورتون، وتمتلك الليدي هامرجالو القرية بأكملِها تقريبًا، باستثناءِ شريطٍ ناحية الجنوب، يمتلكه السير جون جوتش. وهي تفرض على القرية حكمًا استبداديًّا، مما يبعث على الراحة في هذه الأيام التي تعاني فيها الحكومة من الانقسام. فهي تأمر بالزيجات وتمنعها، وتطرد الأشخاص غير المرغوب فيهم من القرية من خلال حيلة بسيطة، وهي رفع قيمة الإيجار الذي يدفعونه، كما كانت تفصل العمال، وتجبر المهرطقين على الذهاب إلى الكنيسة، وأجبرت سوزان داجيت، التي أرادت أن تُطلِق على مولودتِها اسم يوفيميا، أن تسمي الرضيعة ماري آن بدلًا من ذلك. كانت بروتستانتية مخلصة، وتستهجن أنَّ الكاهن صار أصلع ويشبه الرهبان. كما كانت عضوة في مجلس القرية، الذي كان باقي أعضائه يجاملونها بتكبد مشقة صعود التلِّ وعبور المستنقع حتى يصلوا إليها. وحيث إنَّها كانت ضعيفة السمع إلى حدٍّ ما، فقد كانوا يلقون جميع خطابات المجلس من خلال بوق أذنها، بدلًا من فوق منصة. لم تعد تبدي اهتمامًا بالسياسة الآن، لكنها كانت حتى العام الماضي عدوة لدودًا لذلك المدعو جلادستون. كان يقوم على خدمتها خادماتٌ بدلًا من خدمٍ من الذكور، بسبب هوكلي، سمسار البورصة الأمريكي ومساعديه العمالقة الأربعة بملابسهم الفاخرة.

تكاد سطوتها على القرية تصل حدَّ السحر، لدرجة أنَّك إذا أقسمتَ باسم الرب في الحانة، فلن يكترث أحدٌ، أمَّا إذا أقسمت باسم الليدي هامرجالو فسوف تصيبهم الصدمة بدرجة تكفي لطردِكَ من المكان. وعندما تذهب بالعربة إلى سيدرمورتون، دومًا ما تزور بيسي فلامب، مديرة مكتب البريد، كي تسمع منها كلَّ الأخبار، يلي ذلك الآنسة فينش الخياطة، لمقارنة أقوالها بما حكته بيسي فلامب. وأحيانًا تزور الكاهن، وأحيانًا السيدة ميندام، التي تزدريها، وأحيانًا حتى تزور كرامب. وقد كاد زوج الخيل الرماديان اللامعان اللذان يجرَّان عربتها يدهسان الملاك بينما هو يسير في طريقِه إلى القرية.

قالت الليدي هامرجالو:

- هذا هو الغريب إذَنْ.

واستدارت لتتأمَّله من خلال نظاراتِها المذهَّبة التي كانت تحملها دومًا على عصا في يدها الواهنة المرتعشة. واصلت قائلة:

- إنَّه معتوهٌ حقًّا! الكائن المسكين له وجهٌ جميلٌ بالفعل. يؤسفني أنَّني فاتتني رؤيته.

لكنَّها مع ذلك توجَّهت إلى منزل الكاهن، وطالبت بإطلاعها على الأمر برمتِه. حيث إنَّ الروايات المتضاربة لكلٍّ من الآنسة فلامب، والآنسة فينش، والسيدة ميندام، وكرامب، والسيدة جيهورام قد أصابتها بحيرة بالغة. تحت ضغطٍ شديدٍ منها، فعل الكاهن كلَّ ما بوسعِه كي يتحدَّث عبر بوقِها كي تسمعه، ويروي لها ما حدث بالفعل. خفَّف في حديثه من ذكر أمر الجناحين والرداء الذي بلون الزعفران، لكنَّه أحسَّ أنَّ الأمرَ ميؤوسٌ منه. تحدَّث

عنه بوصفِه «السيد» ملاك، ووجَّه أحاديث جانبية بائسة إلى طائر الرفراف المحنط. لاحظت السيدة العجوز ارتباكَه، وأخذ رأسُها العجوز الغريب يتحرك إلى الأمام والخلف، وهي توجه البوق في وجهه في حين لم يكن لديه ما يقوله تارة، وتتأمَّله بعينيها الضئيلتين تارَّة أخرى، وهي غافلة عن التفسيرات التي تتفوه بها شفتاه. ندَّ عنها الكثيرُ من الأصوات وهي تقول «أوه!»، و«آه!»، مما يعني أنَّها التقطتْ بعضًا مما قاله بكلِّ تأكيدٍ.

قالت الليدي هامرجالو، بينما أخذت فكرة عظيمة تتبلور في عقلِها بسرعة:

- هل طلبتَ منه الإقامة معكَ إلى أجلٍ غير مسمًّى؟

- ربما أكون -بغير قصدٍ- قد اقترحتُ...

- وهل تعرف من أين أتى؟

- لا، على الإطلاق.

قالت السيِّدة هامرجالو بنبرة غامضة:

- ولا من يكون والده، على ما أظنُّ؟

قال الكاهن:

- لا.

أبقت الليدي هامرجالو نظارتَها أمام عينيها، ووكزته في أضلاعه فجأة ببوقِها، وهي تقول بخبثٍ:

- حسنًا إذَنْ!

- يا سيدتي العزيزة!

- هذا ما ظننته. لا تعتقد أنَّني ألقي عليكَ باللوم، يا سيد هيليار.

أطلقت ضحكة فاضحة بسعادة، وواصلت الحديث قائلة:

- هذه هي طبيعة العالم، وهذه هي طبيعة الرجال. والفتى المسكين معاقٌ، أليس كذلك؟ إنَّه نوعٌ من العقاب الإلهي. لاحظتُ أنَّه يرتدي ملابس الحداد. الأمر يذكِّرني برواية «الحرف القرمزي». الأم متوفية، على ما أعتقد. هذا أفضل، على أي حالٍ. حقًّا -أنا لستُ امرأةً ضيقة الأفق- وأكنُّ لك الاحترام لاستضافتك إياه. حقًّا أحترمك.

- لكن، يا ليدي هامرجالو!

- لا تفسد كلَّ شيءٍ بإنكار الأمر. فهو واضحٌ وضوح الشمس، بالنسبة لامرأة خبيرة بشؤون الحياة مثلي. تلك السيدة ميندام! تسليني بشكوكها. يا لها من أفكارٍ غريبة، بالنسبة لزوجة مساعد كاهن. لكن أتمنى ألَّا يكون ذلك قد حدث بعد ترسيمك كاهنًا.

- ليدي هامرجالو، أنا أحتجُّ! صدقًا!

- سيد هيليار، بل أنا من عليها الاحتجاج، فأنا أعرف الحقيقة؛ لن يغيِّر أيُّ شيء تقوله رأيي، ولو بمقدار ذرة. لا تحاول. لم يساورني الشك قطُّ أنَّك رجلٌ مثيرٌ للاهتمام إلى هذا الحدِّ.

- لكن هذه الشبهة لا تُطاق!

بدت كأنَّ الرغبة في عمل الخير تشعُّ منها وهي تقول:

- سوف نساعده معًا، يا سيد هيليار. يمكنك الاعتماد عليَّ. الأمر رومانسي للغاية.

- لكن يا ليدي هامرجالو، يجب أن أتحدَّث!

قبضت على بوقِها بعزمٍ، وأمسكت به أمامها، وهي تهزُّ رأسَها.

- سمعتُ أنَّ لديه موهبةً موسيقية فذَّة. هل هذا صحيحٌ، يا نيافة الكاهن؟

- أؤكد لكِ بشدة...

- هذا هو ما ظننته. وحيث إنَّه معاقٌ...

- الفكرة التي تكوَّنت لديكِ في غاية ال...

- فكرت أنَّه إذا كانت موهبته حقًّا كما تصفها تلك السيدة جيهورام...

- هذه تهمٌ غير مبرَّرة، أكبر من أن يتحمَّلها رجلٌ...

- أنا لا أثق في حكمِها كثيرًا، بكلِّ تأكيدٍ.

فلتضعي مكانتي في الاعتبار. ألم أكتسب أيَّ سمعة حسنة على الإطلاق؟ -

- ربما يمكن تقديم المساعدة له بوصفه عازفًا.

- أليس لدي... (تبًّا! لا جدوى من الأمر!).

- ولذا، يا عزيزي الكاهن، أنا أقترح أن نمنحه الفرصة كي يُظهِر لنا موهبته. لقد فكرت في الأمر مليًّا وأنا في طريقي إلى هنا. يوم الثلاثاء القادم، سأدعو عددًا محدودًا من الأشخاص ذوي الذوق الرفيع، وعليه أن يجلب كمانه، ما رأيك؟ ولو سارت الأمور على ما يرام، سأرى ما إذا كان بوسعي تعريفه إلى بعض الأشخاص المهمِّين، لإعطائه دفعة.

- لكن يا ليدي هامرجالو...

قالت الليدي هامرجالو وهي لا تزال تقبض على بوقِها أمامها بحزمٍ، وتمسك نظَّارتها:

- لا أريد سماع كلمة أخرى! لا يجب أن أترك الحصانيْن لفترة أطول من ذلك. يشعر كاتلر بالاستياء البالغ إذا تركتهما ينتظران لفترة طويلة. فالرجل المسكين يجد الانتظار مملًّا، ما لم تكن هناك حانة قريبة.

ثم توجَّهتْ نحو الباب.

قال الكاهن بصوتٍ خفيضٍ:

- اللعنة!

لم يكن قد نطق بتلك الكلمة مطلقًا منذ ترسيمه. مما يوضِّح كيف يمكن لزيارة ملاكٍ أن تتسبَّب في تشويش المرء.

وقف أسفل الشرفة يراقب العربة وهي تبتعد. بدا العالم كأنَّه يتداعى من حولِه. هل عاش حياة من الفضيلة وهو أعزب طوال ثلاثين عامًا بلا جدوى؟ يا لفظاعة تلك الأشياء التي يظنُّ هؤلاء الناس أنَّه قادرٌ على اقترافها! وقف محدقًا إلى حقل الذرة الخضراء الممتد

أمامه، وفي منازل القرية المتناثرة بالأسفل. بدا كلُّ شيء حقيقيًا بما فيه الكفاية. ومع ذلك، لأوَّل مرَّة في حياته، ساوره شكٌّ غريبٌ في حقيقة الواقع من حوله. فرك ذقنَه، ثم استدار وصعد ببطءٍ إلى غرفة تبديل ملابسِه، وجلس لفترة طويلة محدقًا برداءٍ من نسيجٍ أصفر. قال:

- تظنني أعرف من يكون والده! إنَّه خالدٌ، كان يرفرف في جنته، حينما كان أسلافي من فصيلة الجرابيات... أتمنى لو كان هناك في جنَّتِه الآن.

نهض وشرع يتحسَّس الرداء.

قال الكاهن:

- أتساءل، كيف يحصلون على مثل هذه الأشياء؟

ثم ذهب ليحملق من النافذة. واصل قائلًا:

- أعتقد أنَّ كلَّ شيءٍ هناك رائعٌ، حتى شروق الشمس وغروبها. أظن أنَّه لا توجد أرضٌ صلبة ليرتكز عليها أي معتقد، إلَّا أنَّ المرء لا يلبث أن يألف طريقة معينة للتفكير في الأشياء. وهذا الوضع يربك الأمور، إذ يبدو كأنَّني أستفيق لأرى كلَّ ما هو خفي. إنَّها أغرب حالة من حالات انعدام اليقين. لم أشعر بمثل هذا التشوش والاضطراب منذ مراهقتي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



مغامراتٌ أخرى للملاك في القرية

قال كرامب بعد استبدال الضمادة:

- كلُّ شيءٍ على ما يرام. لا شكَّ أنَّ ذاكرتي تخدعني، لكنَّ أطرافَك الزائدة هذه لا تبدو كبيرة كما كانت بالأمس. أعتقد أنَّها فاجأتني بشدة حينها. فلتبقَ وتتناول معي الغداء، بما أنَّك هنا. وجبة منتصف النهار، كما تعلم. سيعود الصغار إلى المدرسة مرة أخرى بعد الظهيرة.

واصل قائلًا بينما هما يتوجهان إلى غرفة الطعام:

- لم يسبق وأن رأيتُ في حياتي جرحًا يُشفى بصورة جيدة على هذا النحو. لا بُدَّ وأنَّ جسدَكَ ودمك نقيان وخاليان من البكتريا لأقصى حدٍّ.

ثم أضاف قائلًا بصوتٍ خفيضٍ:

- بصرف النظر عمَّا هو موجودٌ في عقلِكَ.

راقب كرامب الملاك من كثبٍ خلال الغداء، وحاول استدراجه في الحديث.

قال فجأة:

- هل أتعبتك الرحلة بالأمس؟

قال الملاك:

- الرحلة؟ أوه، لقد أحسستُ ببعض التيبس في جناحي.

حادث كرامب نفسه قائلًا:

- لن أنخدع، أعتقد أنَّه لا مفرَّ من الدخول في صلب الموضوع.

ثم وجَّه حديثه للملاك قائلًا:

- إذَنْ فقد حلَّقت طوال الطريق، أليس كذلك؟ لم تكن هناك أي وسيلة نقل؟

أوضح الملاك قائلًا وهو يتناول المستردة:

- لم يكن هناك أي طريق. كنت أحلِّق في تناغم مع بعض الجريفين والشيروبيم الناري، ثم أظلم كلُّ شيءٍ فجأة، وصرتُ في عالمكم هذا.

قال كرامب:

- يا إلهي! ولهذا السبب ليس بحوزتِكَ أيُّ أمتعة.

مسح فمه بمنديلِه، والتمعت في عينيه ابتسامةٌ. واصل قائلًا:

- أعتقد أنَّكم تعرفون عالمنا هذا جيدًا، حيث تراقبوننا من فوق الجدران الماسية وما إلى ذلك، أليس كذلك؟

- لا نعرفه جيدًا. نحلم به أحيانًا، في ضوء القمر، عندما تحرِّك الكوابيس أجنحتَها فتدفعنا

للنوم.

قال كرامب:

- آه، نعم، بالطبع. يا لها من طريقة شاعرية للغاية للتعبير عن الأمر. ألن تتناول بعضَ البورجوندي؟ إنَّه بجوارِكَ مباشرة. هناك قناعة في هذا العالم، كما تعلم، أنَّ زيارات الملائكة ليست نادرة، بأي حالٍ من الأحوال. ربما يكون بعض... أصدقائك، قد سافروا من قبل؟ من المفترض أنهم يتنزلون على بعض المسجونين الذين يستحقون الزيارة، ويؤدون بعض الرقصات الراقية، وما إلى ذلك. مثلما ورد في مسرحية فاوست، كما تعلم.

قال الملاك:

- لم يسبق وأن سمعت عن أي شيء من هذا القبيل قطّ.

- منذ بضعة أيامٍ، أكدَّتْ لي سيدة كنت أعالج رضيعها من عسر الهضم أنَّ هناك تعبيراتٍ معيَّنة ترتسم على وجه الصغير، تؤكد أنَّه يرى الملائكة في أحلامه. في روايات السيدة هينري وود، يُعدُّ ذلك نذيرًا لا شكَّ فيه بالموت المبكر. هل يمكنك إلقاء أي ضوء على هذا العرض المرضي الغامض؟

قال الملاك بحيرة، وهو لا يفهم مقصدَ الطبيب:

- لا أفهمك على الإطلاق.

خاطب كرامب نفسه قائلًا:

- بدأ يشعر بالغضب، فهو يرى أنَّني أسخر منه.

ثم وجَّه حديثَه للملاك، وقال:

- هناك شيءٌ واحدٌ يثير فضولي؛ هل يشكو الوافدون الجدد بدرجة كبيرة من القائمين على رعايتهم طبيًّا؟ لطالما تخيَّلتُ أنَّه لا بُدَّ وأن يدور الكثيرُ من الحديث في البداية عن العلاج بالماء. كنتُ أطالِع تلك الصورة في مجلة الأكاديمية في شهر يونيو هذا...

قال الملاك:

- الوافدون الجدد! أنا حقًّا لا أفهمك.

حدَّق إليه الطبيب.

- ألا يأتون؟

قال الملاك:

- يأتون! مَن تقصد؟

- الناس الذين يموتون هنا.

- بعد أن يتداعوا، جزءًا تلو الآخر؟

- هذا هو الاعتقاد الشائع، كما تعلم.

- أشخاص مثل المرأة التي وقفت تصرخ أمام الباب، والرجل ذي الوجه الأسود الذي كان

يتلوى، وتلك الكائنات الصغيرة البشعة التي أخذت تقذف القشور! بالطبع لا. لم أرَ مثل هذه المخلوقات قطُّ، قبل سقوطي إلى هذا العالم.

قال الطبيب:

- أوه! هذا غريبٌ! ستخبرني بعد ذلك أنَّ لون زيك الرسمي ليس اللون الأبيض، وأنَّك لا تجيد عزف القيثارة.

قال الملاك:

- لا وجود لِمَا يُسمَّى بالأبيض في أرض الملائكة. إنَّه ذلك اللون العجيب الخاوي الذي تحصلون عليه من خلال مزج باقي الألوان الأخرى.

قال الطبيب وقد غيَّر نبرتَه فجأة:

- يا سيدي العزيز! أنتَ لا تعرف شيئًا على الإطلاق عن الأرض التي أتيت منها. اللون الأبيض هو جوهر ذلك العالم.

حدَّق إليه الملاك. هل كان الرجل يمزح؟ بدا جادًّا تمامًا.

نهض كرامب وتوجَّه نحو الطاولة الجانبية التي كان عليها نسخة من مجلة الأبرشية، وأحضرها إلى الملاك، وفتحها على الملحق الملون، وقال:

- انظر! إليكَ بعض الملائكة الحقيقيين. فكما ترى، ليست الأجنحة فحسب هي ما يميِّز الملاك؛ ها هو اللون الأبيض، ورداء متماوج يتطاير في السماء، وأجنحتهم مطوية، هؤلاء ملائكة، تبعًا لأكثر المصادر الموثوق فيها. شعرهم انسيابي. ويحمل أحدُهم قيثارة، كما ترى، بينما يساعد الآخر هذه السيدة التي ليست لها أجنحة على التحليق للأعلى، كما لو كانت ملاكًا في طور التشكُّل.

قال الملاك:

- أوه، حقًّا! هؤلاء ليسوا ملائكة على الإطلاق!

وضع كرامب المجلة على الطاولة الجانبية مرة أخرى، وعاد للجلوس في مقعدِه، وقد بدا عليه الشعورُ برضى بالغٍ، قال:

- لكنَّهم كذلك بالفعل. يمكنني أن أؤكِّد لكَ أنَّني أعرف ذلك من أكثر المصادر ثقة.

- يمكنني أنا أن أؤكِّد لكَ...

مطَّ كرامب جانبي فمِه، وهزَّ رأسَه من جانبٍ لآخر، كما فعل مع الكاهن من قبل، قال:

- لا جدوى من ذلك. لا يمكن تغيير أفكارنا، لمجرد أنَّ زائرًا غير مسؤول...

قال الملاك:

- إذا كان هؤلاء ملائكة، فأنا لم أكن في أرض الملائكة من قبل قطُّ.

قال كرامب، وهو يشعر بالرضى عن نفسِه بدرجة لا تُوصَف:

- بالضبط! هذا هو ما كنتُ أقصده تحديدًا.

حدَّق إليه الملاك للحظة بعينين متسعتين، ثم تملكته للمرة الثانية تلك الحالة من الاضطراب البشري المُسمَّاة بالضحك.

شاركه كرامب الضحك، قائلًا:

- ها ها ها! كنتُ أعرف أنَّكَ لستَ مجنونًا بالدرجة التي تبدو عليها. ها ها ها!

وظلَّ كلاهما في غاية الابتهاج حتى انتهيا من الغداء، لسببين مختلفين تمامًا. وأصرَّ كرامب على معاملة الملاك كأنَّه كائنٌ خرافيٌّ من الدرجة الأولى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



بعد أن غادر الملاك منزلَ كرامب، صعد التلَّ مرَّة أخرى، متوجهًا نحو منزل الكاهن. لكنَّه -ربما بسبب رغبته في تفادي السيدة جوستيك- انعطف عند البوابة، وسلك طريقًا فرعيًّا عند حقل لارك ومزرعة برادلي.

مرَّ في طريقِه بمتشردٍ محترمٍ نائمٍ بسلامٍ وسط الزهور البرية. توقَّف ليتأمَّله، منبهرًا بالهدوء السماوي البادي على ملامح ذلك الشخص. وبينما هو كذلك، جفل المتشرد المحترم وهو يستيقظ، وقام جالسًا. كان مخلوقًا شاحبًا، يرتدي ملابس سوداء حال لونُها، ويعتمر قبَّعة بالية قابلة للطي، تميل على إحدى عينيه.

قال المتشرد بنبرة ودية:

- مساء الخير، كيف حالُكَ؟

كان الملاك قد أتقن الردَّ على ذلك السؤال، فقال:

- أنا بخيرٍ، شكرًا لك.

تأمَّله المتشرد المحترم بعينٍ فاحصة، وقال:

- أتقصد مكانًا ما سيرًا على الأقدام مثلي يا صديقي؟

تحيَّر الملاك من أمرِه، وسأله:

- لمَ تنام هكذا، بدلًا من النوم على فِراشٍ مرتفعٍ؟

قال المتشرد المحترم:

- يا لَلعجب! لمَ لا أنام على فِراشٍ؟ حسنًا، هذا هو الأمر: فالعمَّال يقومون بطلاء قصر ساندرجام، بينما هناك مشكلة في الصرف في قصر ويندسور، وليس لديَّ سكنٌ آخر أذهب إليه. هل لديكَ في جيبِكَ ثمن كأس من الجعة؟

قال الملاك:

- ليس لديَّ أيُّ شيء في جيبي.

قال المتشرد وهو ينهض بصعوبة، مشيرًا إلى الأسطح المتقاربة أسفل التلِّ:

- هل تلك هي قرية سيدرمورتون؟

قال الملاك:

- أجل، إنَّهم يُطلِقون عليها اسم سيدرمورتون.

قال المتشرد:

- أنا أعرفها، فهي قرية صغيرة جميلة.

تمطَّى وتثاءب، ووقف متأمِّلًا المكان. قال متفكِّرًا وهو يلوِّح بيده تجاه حقول الذرة والبساتين:

- منازل، ومحاصيل. يبدو المكان مريحًا، أليس كذلك؟

قال الملاك:

- لها جمالٌ من نوعٍ غريبٍ، خاص بها.

- لها جمالٌ من نوعٍ غريبٍ، خاص بها... أجل. يا إلهي! أتمنَّى لو كان بوسعي نهب ذلك المكان اللعين! لقد وُلدتُ هناك.

قال الملاك:

- يا إلهي!

- أجل، لقد وُلدتُ هناك. هل سبق وأن سمعت عن الضفادع منزوعة الدماغ؟

قال الملاك:

- ضفدع منزوع الدماغ؟ كلا.

- إنَّه ما يفعله مَن يقومون بتشريح الحيوانات وهي لا تزال على قيد الحياة. فهم يأخذون ضفدعًا وينتزعون دماغَه، ويدفعون مكانَه بعضَ الحشو الجديد. هذا هو الضفدع منزوع الدماغ. حسنًا، تلك القرية هناك مليئة بالبشر منزوعي الدماغ.

أخذ الملاكُ الأمرَ على محمل الجدِّ، وقال:

- حقًّا؟

- هذا صحيحٌ، فلتصدق ما أقوله لك. فقد انتُزِعت أدمغتُهم جميعًا، وتمَّ حشو كتل من الحطب المتعفن بدلًا منها. وهل ترى ذلك المبنى الأحمر الصغير هناك؟

قال الملاك:

- يُطلَق عليه اسم المدرسة الوطنية.

قال المتشرد، وهو معجبٌ بتشبيهه المجازي أيما إعجاب:

- نعم، ذلك هو المكان الذي تُنتزع فيه أدمغتُهم.

- حقًّا؟ هذا مثيرٌ جدًّا للاهتمام.

قال المتشرد:

- هذا أمرٌ منطقيٌّ. إذا كانت لديهم أدمغة، فسوف تتبلور لديهم أفكارٌ. ولو صارت لديهم أفكارٌ، فسوف يتمكَّنون من التفكير بشكلٍ مستقلٍّ. ويمكنك أن تسير عبر تلك القرية من أقصاها إلى أقصاها، من دون أن تلتقي أبدًا بشخصٍ يفكِّر باستقلالية. إنَّهم بشرٌ منزوعو الأدمغة. أنا أعرف تلك القرية. فقد وُلدتُ هناك، وكان من الممكن أن أكون هناك الآن، أكدُّ في العمل لدى من يفوقونني مكانة، لو لم أقاوم محاولتهم لانتزاع دماغي.

سأل الملاك:

- هل هي عملية مؤلمة؟

- تؤلم بعض الأعضاء، لكن ليست الرأس هي التي تستشعر الألم. ويدوم مفعولُها لفترة طويلة. إنَّهم يأخذون الناس إلى تلك المدرسة في سنٍّ صغيرٍ، ويقولون لهم: «تعالوا هنا،

وسوف نطور عقولَكم». وبالفعل يذهب الصغار منصاعين بطاعة، فيبدؤون في حشو أدمغتهم. شيئًا فشيئًا، بقسوة وبخشونة، ينتزعون أدمغتهم الرقيقة الغضة، ويدفعون بالتواريخ والقوائم وما شابه، بدلًا منها. وبعد ذلك يخرجون من دون أدمغة في جماجمِهم، وقد تمَّ إعدادُهم على أتمِّ وجهٍ، وهم على استعدادٍ للمس قبعاتهم على سبيل التحية لأي شخصٍ يُلقي إليهم نظرة. حتى إنَّ أحدَهم لمس قبَّعتَه لتحيتي يوم أمس. وهم ينطلقون متراكضين في الأرجاء بنشاطٍ، ويتولون القيام بأرذل الأعمال، شاعرين بالامتنان لأنَّه سُمِح لهم بالبقاء على قيدِ الحياة. كما يفتخرون بالعمل الشاق، لأجل العمل في حدِّ ذاتِه، بعد انتزاع أدمغتِهم. هل ترى ذلك الرجل الذي يحرث الأرض هناك؟

قال الملاك:

- أجل. هل هو منزوعُ الدماغ؟

- نعم، وإلَّا جاب في الأرجاء في هذا الجو اللطيف، مثلي ومثل الحواريين المباركين.

قال الملاك متشككًا:

- بدأتُ أفهم.

قال المتشرد المتفلسف:

- كنتُ أعلم أنَّك ستفهم؛ فقد أدركتُ أنَّكَ من النوع المناسب من الأشخاص. لكن لنتحدث بجديَّة، أليس الأمرُ سخيفًا؟ بعد قرونٍ طويلة من الحضارة، انظر لذلك الخنزير المسكين هناك، وهو يتعرَّق حتى يصاب بالجفاف، بينما هو يكدُّ على جانب ذلك التلِّ. وهو إنجليزي، ينتمي لأسمى عرق بين الخليقة. إنَّه أحد حكام الهند. الأمر يكفي لدفع الزنوج للضحك! إن العَلَم الذي واجه آلاف السنين من المعارك والعواصف بشجاعة، هو عَلَمه. لم تكن هناك دولة بهذا القدر من العظمة والرفعة مثل هذه الدولة قطُّ. وهذا ما يؤول حالنا إليه فيها. سأقصُّ عليك حكاية قصيرة عن هذه الأرجاء، حيث إنَّك تبدو غريبًا عن المكان نوعًا ما. هناك رجلٌ اسمُه جوتش، ينادونه باسم سير جون جوتش. عندما كان شابًّا في أوكسفورد، كنتُ أنا طفلًا صغيرًا في الثامنة، وكانت شقيقتي فتاة في السابعة عشرة من العمر، كانت تعمل خادمة لديهم. لكن، يا إلهي! لقد سمع الجميع تلك الحكاية، فهي شائعة بما فيه الكفاية، سواء عنه هو أو عن الآخرين من أمثالِه.

قال الملاك:

- أنا لم أسمعها.

- يقضون على كلِّ ما هو جميلٌ وحيويٌّ في الفتيات، وكلِّ الرجال الذين لديهم ذرَّة من الشجاعة أو روح المغامرة، وكلِّ من يرفضون شرب ما ترسله إليهم زوجة مساعد الكاهن بدلًا من الجعة، ويرفضون لمس قبعاتهم بسببٍ ومن دون سببٍ، ويرفضون ترك الأرانب والطيور كي يصيدها من يفوقونهم مكانة، كلُّ هؤلاء يُطرَدون من القرية، بوصفهم يتسمون بالفظاظة. يا للوطنية! وبعد ذلك يتحدَّثون عن تحسين النسل! إنَّ من تبقُّوا منهم ليسوا جديرين برفع أعينهم في وجه زنجي! بل إنَّ حتى الصينيين ليشعرون أنَّهم مدعاة للخزي.

قال الملاك:

- لكنَّني لا أفهم. لا أعرف ماذا تقصد.

عندها، أوضح المتشرد المتفلسف حديثَه، وقصَّ على الملاك الحكاية البسيطة للسير جون

جوتش، وخادمة المطبخ. لا داعي لأن نكرر الحكاية، لكن قد يفهم القارئ أنَّها أصابت الملاك بالحيرة، حيث كانت مليئة بالكلمات التي لم يفهمها، لأنَّ التجديف كان هو الوسيلة الوحيدة التي يملكها المتشرد للتعبير عن مشاعرِه. ومع ذلك، على الرغم من اختلاف كلامهما إلى حدٍّ كبيرٍ، إلَّا أنَّ المتشرِّد نجح في أن ينقل للملاك بعضًا من قناعاتِه (التي ربَّما لم يكن لها أساسٌ من الصحة) بخصوص ظلم الحياة وقسوتِها، ومدى بشاعة السير جون جوتش.

كان آخر ما شاهده الملاك من المتشرد هو ظهره الأسود المترَّب وهو يبتعد عبر الطريق في اتجاه إيبينج هانجر. ظهر طائرٌ تدرج على جانب الطريق، فالتقط المتشرِّد المتفلسف حجرًا على الفور، وجعل الطائر يجري مقرقرًا بعد أن أصابه بشدَّة برمية دقيقة، بعدها، اختفى عند منعطف الطريق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



اتساع أفق السيِّدة جيهورام

قالت السيدة جيهورام بينما تتناول كوبَ الشاي من السيِّدة ميندام:

- سمعتُ أحدَهم يعزف الكمان في منزل الكاهن، في طريقي إلى هنا.

قالت السيِّدة ميندام:

- إنَّ الكاهن يعزف، وقد تحدثتُ مع جورج في الأمر، لكن لا جدوى من ذلك. لا أعتقد أنَّه ينبغي السماح لكاهنٍ بالقيام بمثل تلك الأشياء. الأمرُ غريبٌ للغاية. لكنَّه...

قالت السيِّدة جيهورام:

- أعرف، يا عزيزتي، لكنَّني سمعتُ الكاهن يعزف ذات مرة في الفصل المدرسي؛ لا أظنُّ أنَّ ذلك كان الكاهن. كان عزفًا بارعًا للغاية، وكانت أجزاءٌ منه أنيقة جدًّا، وجديدة. أخبرتُ الليدي هامرجالو العزيزة هذا الصباح، أنَّني أعتقد أنَّ...

- المجنون! هذا محتملٌ جدًّا. هؤلاء الناس ذوو الإعاقات العقلية... يا إلهي، لا أعتقد أنَّني سوف أنسى أبدًا ذلك اللقاء المروع بالأمس.

- ولا أنا.

- ابنتاي المسكينتان! لقد أصابتهما الصدمة بدرجة عقدت لسانيهما. كنت أقول لعزيزتي الليدي هامر...

- صمتهما هذا من حُسن تهذيبهما؛ لقد كان الأمرُ فظيعًا يا عزيزتي، بالنسبة لهما.

- والآن يا عزيزتي، أريدكِ أن تخبريني بصراحة، هل تعتقدين حقًّا أنَّ ذلك المخلوق كان رجلًا؟

- كان عليكِ سماع عزفِه على الكمان.

مالت السيدة ميندام إلى الأمام، كما لو كانت تريد أن تهمس بالحديث، وقالت:

- ما زلتُ أشكُّ بدرجة كبيرة، يا جيسي...

تناولتْ السيدة جيهورام قطعةً من الكعك، وقالت:

- أنا متأكِّدة أنَّه لا يمكن لأي امرأة أن تجيد عزف الكمان بالدرجة التي سمعتها هذا الصباح.

قالت السيدة ميندام:

- ما دام هذا هو رأيكِ، فهو يحسم الأمر بالطبع.

كانت السيدة جيهورام تتمتَّع بالقول الفصل في سيدرمورتون في كلِّ ما يتعلَّق بالفنون والموسيقى والآداب، فقد كان زوجُها الراحل شاعرًا غيرَ مشهورٍ. لكنَّ السيِّدة ميندام أضافت قائلة بحكمة:

- ومع ذلك...

قالت السيدة جيهورام:

- أتعلمين، أنا أميل لتصديق قصة الكاهن العزيز.

أجابتها السيدة ميندام:

- كم أنتِ لطيفة يا جيسي.

- في الحقيقة، لا أعتقد أنَّه من الممكن أن يكون قد استضاف أيَّ شخصٍ في منزله قبل ظهيرة ذلك اليوم، وإلَّا كنَّا سمعنا بالأمر. لا أرى كيف يمكن لقطٍّ شاردٍ حتى الاقتراب لمسافة أربعة أميالٍ من سيدرمورتون، من دون أن يصلنا خبرُه. إنَّ الناس هنا يميلون للثرثرة، لذا...

قالت السيدة ميندام:

- أنا لا أثق في الكاهن أبدًا، فأنا أعرفه جيدًا.

- أجل، لكنَّ حكايتَه معقولة. لو كان السيد ملاك هذا شخصًا فائق الذكاء وغريب الأطوار...

- يجب أن يكون غريب الأطوار للغاية، كي يرتدي مثل تلك الثياب التي كان يلبسها، هناك درجاتٌ وحدودٌ للأمر، يا عزيزتي.

قالت السيدة جيهورام:

- لكن التنورات...

أكملت السيدة ميندام قائلة:

- مألوفة جدًّا في مرتفعات اسكتلندا.

استقرَّت عينا السيدة جيهورام على بقعة سوداء تزحف ببطءٍ، قاطعة الطريق عبر رقعة من الأخضر المائل للاصفرار أعلى التلِّ. قالت وهي تنهض من مكانِها:

- ها هو، في الجانب الآخر من حقل الذرة، أنا متأكدة أنَّه هو. يمكنني رؤية ظهره الأحدب، ما لم يكن رجلًا يحمل جوالًا. يا إلهي، يا ميني! هاكِ منظار أوبرا؛ إنَّه ملائمٌ للنظر إلى منزل الكاهن. أجل، إنَّه ذلك الرجل. إنَّه رجلٌ بالفعل، وملامحه في غاية العذوبة.

سمحت لمضيفتها بمنتهى الكرم أن تشاركها استخدام منظار الأوبرا، وساد الصمتُ لدقيقة.

قالت السيدة ميندام:

- إنَّ ملابسَه وقورة جدًّا الآن.

قالت السيدة جيهورام:

- جدًّا.

عمَّ الصمتُ بعض الوقت.

- يبدو غاضبًا.

- ومعطفه متربًّ.

قالت السيدة ميندام:

- مشيته متزنة بما فيه الكفاية، أو هذا ما قد يعتقده المرء... هذا الطقس الحار...

ساد الصمت مرَّة ثانية.

قالت السيدة جيهورام وهي تنحي المنظار جانبًا:

- انظري يا عزيزتي، ما كنتُ سأقوله هو أنَّه ربَّما يكون عبقريًا متخفيًا.

- إذا كان بوسع المرء اعتبار تلك الملابس شبه العارية تخفي.

- لا شكَّ في أنَّ الأمرَ بدا غريبًا، لكنَّني رأيتُ أطفالًا يرتدون قمصانًا صغيرة، لا يختلفون كثيرًا عنه. يتميَّز الكثيرُ من الأشخاص المبدعين بغرابة ملبسِهم وسلوكِهم. قد يُقدِم العباقرة على القيام بما لا يجرؤ عليه غيرُهم من الأشخاص العاديين. من المحتمل جدًّا أن يكون مشهورًا للغاية، وأنَّ بساطتنا المفرطة تثير سخريته. وفي الحقيقة، فإنَّ ملابسَه لم تكن فاضحة بنفس قدر تلك الملابس التي ترتديها بعضُ أولئك النسويات لركوب الدراجات. رأيتُها في واحدة من الصحف المصوَّرة منذ بضعة أيامٍ -صحيفة «ذا نيو بادجيت»، على ما أتذكر- وهي ضيقة للغاية، كما تعلمين يا عزيزتي. لا، أنا متمسكة بفرضية كونه عبقريًا، خاصَّة بعد عزفِه ذاك. أنا متأكدة من أنَّه ليس محتالًا. وربما يكون مسليًا جدًّا. في الواقع، فأنا أعتزم أن أطلب من الكاهن أن يعرِّفني إليه.

صاحت السيدة ميندام:

- يا إلهي!

قالت السيدة جيهورام:

- لقد عقدتُ العزمَ.

قالت السيدة ميندام:

- أخشى أنَّكِ متهورة في تصرُّفكِ هذا. لا بأسَ من العباقرة ومن على شاكلتِهم في لندن، لكن هنا، في منزل الكاهن...

- سوف نقوم بتثقيف الناس، فأنا أعشق الأصالة. وعلى أي حالٍ، فأنا أنتوي رؤيته.

قالت السيدة ميندام:

- فلتحرصي ألَّا تقضي معه وقتًا أطول من اللازم، حيث سمعتُ أنَّ الرأي السائد تغيَّر إلى حدٍّ كبيرٍ، وحسب ما فهمتُ، فإنَّ بعضَ ألمع الناس قد قرَّروا أنَّ العبقرية لم تعُد محلَّ ترحيبٍ. إنَّ سلسلة الفضائح الأخيرة هذه...

- أؤكد لكِ أنَّ ذلك في الأدب فقط يا عزيزتي، أمَّا الموسيقى...

استطردتْ السيدة ميندام قائلة:

- مهما قلتِ يا عزيزتي، فلن ينجح شيءٌ في إقناعي بأنَّ الزي الذي كان يرتديه ذلك الشخص لم يكن فاضحًا جدًّا، وغيرَ لائقٍ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

حادثٌ بسيطٌ

مرَّ الملاكُ بجوار السِياج الشجري الواقع عبر الحقل في الطريق إلى منزل الكاهن، بينما كان لا يزال منشغلًا بالتفكير. التمعتْ على كتفيه أشعة الشمس الغاربة، ومسحتْ منزل الكاهن بالذهب، واشتعلتْ في جميع النوافذ كاللهب. كانت الخادمة الصغيرة ديليا بجوار البوابة، وقد غمرتَها أشعة الشمس. وقفتْ تراقبه رافعة يدها فوق عينيها. خَطَرَ في ذهن الملاك فجأة أنَّها هي على الأقل من بين البشر كانت تتمتَّع بالجمال، بل وليست جميلة فحسب، وإنَّما مليئة بالحيوية والدفء أيضًا.

فتحتْ له البوابة، ووقفتْ جانبًا. كانت تشعر بالرثاء حياله، حيث كانت شقيقتها الكبرى معاقة. انحنى لها، كما كان سينحني لأي امرأة أخرى، وللحظة واحدة فقط، تأمَّل وجهَها. بادلته هي النظر، وتحرك شيءٌ ما بداخلها.

اضطربتْ حركة الملاك، وهمس بنبرة حالمة:

- عيناكِ جميلتان للغاية.

جفلت متراجعة للوراء، وقالت:

- أوه، يا سيدي!

تغيَّر تعبير وجه الملاك، وارتسمتْ عليه الحيرة. مضى في طريقِه عبر الممرِّ الواقع بين أحواض زهور الكاهن، ووقفتْ هي ممسكة البوابة المفتوحة بيدِها، محدِّقة به. وعندما وصل عند الشرفة المكسوة بالورود، التفتَ ونظر إليها.

ظلَّت محدِّقة به للحظة، ثم بحركة غريبة أدارت له ظهرَها وأغلقتْ البوابة، وبدا نظرُها مصوبًا نحو برج الكنيسة أسفل الوادي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



أساس الأشياء وجوهرها

على مائدة العشاء، حكى الملاك للكاهن عن أكثر مغامرات يومه إثارة.

قال الملاك:

- الشيء الغريب هو مدى استعداد البشر، وحماسهم لإلحاق الألم بغيرِهم. هؤلاء الأولاد الذين أخذوا يرشقونني هذا الصباح...

قال الكاهن:

- بدا عليهم الاستمتاع بالأمر، أعلم ذلك.

قال الملاك:

- ومع ذلك فهم لا يحبون الشعورَ بالألم.

أجابه الكاهن:

- لا، إنَّهم لا يحبون ذلك.

واصل الملاك قائلًا:

- ثم رأيتُ بعد ذلك بعضَ النباتات الجميلة التي ترتفع أوراقُها المدبَّبة، اثنان في اتجاه، واثنان في الاتجاه المقابل، وعندما لمستُ إحداها سبَّبت لي شعورًا مزعجًا للغاية.

قال الكاهن:

- نبتة القراص اللاسع!

- على أي حالٍ، كان شكلًا جديدًا من أشكال الألم. كما كان هناك نباتٌ آخر له رأسٌ يشبه الإكليل، وأوراقه مبرقشة بشدَّة، شائكٌ وخشنٌ...

- ربما كان من النباتات الشوكية.

- وفي حديقتِكَ، ذلك النبات الجميل ذو الرائحة العذبة...

قال الكاهن:

- الورد الياقوتي. أجل، أتذكره.

- وتلك الزهرة الوردية التي قفزت خارجة من العلبة...

قال الكاهن:

- خرجت من العلبة؟

قال الملاك:

- في الليلة الماضية. تلك الزهرة التي تسلقت الستائر... اللهب!

قال الكاهن:

- أوه! الثقاب والشمعة، أجل.

- والحيوانات أيضًا. تصرَّف كلبٌ اليوم على نحوٍ مزعجٍ للغاية. وهؤلاء الأولاد، والطريقة التي يتحدث بها الناس؛ يبدو أنَّ الجميع يتوقون، أو لديهم الاستعداد على أي حالٍ، لإحداث هذا الألم. يبدو الجميع منشغلين بإلحاق الألم بغيرِهم.

قال الكاهن، وهو يدفع طعامَه بعيدًا عنه:

- أو بتفاديه. أجل، بالطبع. هناك قتالٌ في كلِّ مكانٍ. العالم الحي بأكملِه عبارة عن ساحة قتالٍ، العالم بأكملِه! الألم هو ما يحركنا هنا. كم يبدو هذا جليًّا! وقد اكتشف هذا الملاك الأمر في يومٍ واحدٍ!

سأل الملاك:

- لكن لماذا يريد كلُّ الأشخاص، وكلُّ الأشياء، إلحاق الألم بالغير؟

قال الكاهن:

- أليس الأمر كذلك في أرض الملائكة؟

أجابه الملاك:

- لا. لماذا يحدث ذلك هنا؟

مسح الكاهن شفتيه بمنديلِه ببطءٍ، وقال:

- هذه هي طبيعة الحال هنا.

واصل قائلًا ببطءٍ أشد:

- إنَّه أساس وجوهر هذه الحياة.

عاد ليقول بعد فترة من الصمت:

- هل تعلم أنَّه يكاد يكون من المستحيل بالنسبة لي أن أتخيَّل عالمًا بلا ألمٍ، ومع ذلك، عندما كنتَ تعزف هذا الصباح... لكنَّ هذا العالم مختلفٌ. إنَّه على العكس تمامًا من عالم الملائكة. وفي الواقع، فإنَّ عددًا من الأشخاص -من الشخصيات الدينية البارزة- قد تأثَّروا أيَّما تأثُّر بفكرة عالمية الألم، لدرجة أنَّهم يعتقدون أنَّ الأمورَ سوف تكون أشدَّ سوءًا حتى بالنسبة للكثير منَّا بعد الموت. تبدو وجهة النظر تلك متطرفة بالنسبة لي. لكنَّها مسألة عميقة، تكاد تفوق قدرة المرء على النقاش...

ما لبث الكاهن أن انغمس في خطابٍ مطوَّلٍ مرتجلٍ على نحوٍ غير منظمٍ، حول «الضرورة»، وكيف أنَّ الأشياء على هذه الحال لأنَّ هذه هي طبيعة الأمور، وكيف أنَّ المرءَ مضطرٌّ لفعل هذا أو ذاك.

قال الكاهن:

- حتى طعامنا.

قال الملاك:

- ما باله؟

أجابه الكاهن:

- لا يمكن الحصول عليه من دون إلحاق الألم بالغير.

شحب وجه الملاك بشدة، لدرجة أنَّ الكاهن امتنع فجأة عن إكمال الحديث. كان على وشك تقديم شرحٍ مفصَّلٍ لِمَا كان عليه فخذ الضأن، قبل أن يصير طعامًا لهما.

قال الملاك فجأة:

- بالمناسبة، هل انتُزِعَ دماغُك مثل عامة الناس؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الظهور الأول للملاك

عندما كانت الليدي هامرجالو تحسم قرارها بخصوص شيءٍ ما، كانت الأمور تسير وفقًا لما تريد. وعلى الرغم من أنَّ الكاهن أبدى احتجاجًا متكررًا، إلَّا أنَّها نفَّذت ما تبتغيه، وجمعت الجمهورَ، والملاكَ وكمانَه في منزل سيدرمورتون قبل انقضاء الأسبوع.

قالت ببُعدِ نظرٍ، كي تلقي على عاتق الكاهن بأي لومٍ محتملٍ في حالة الفشل:

- هذا عبقريٌّ من اكتشاف الكاهن.

كانت تبدأ حديثها قائلة:

- لقد أخبرني الكاهن العزيز...

وتمضي بعدها في رواية حكاياتٍ رائعة عن براعة الملاك في عزف آلتِه. لكنَّها كانت معجبة تمامًا بفكرتِها، فلطالما أحسَّت برغبة سريَّة في لعب دور راعية أصحاب المواهب المغمورة، إلَّا أنَّ أحدًا في السابق لم يثبت أنَّ لديه موهبةً حقيقيةً عند وضعِه تحت الاختبار.

قالت:

- سيأتي عليه الأمر بفائدة كبيرة. وشعره طويلٌ بالفعل، كما سيبدو جميلًا، في غاية الجمال بلونِه المتورِّد هذا على المسرح. أمَّا ملابس الكاهن تلك التي لا تلائم قياسه، فتجعله يبدو بالفعل وكأنَّه عازف بيانو مواكبٌ للموضة. وستكون فضيحة مولده -التي لن يتم إعلانها بالطبع، بل سيتناقلها الناس سرًّا- عاملَ جذبٍ كبيرٍ، عندما يصل إلى لندن.

أمَّا الكاهن، فقد اعتملت في صدرِه أسوأُ المخاوف مع اقترابِ اليوم الموعود. أمضى ساعاتٍ وهو يحاول شرح الموقف للملاك، وساعاتٍ أخرى محاولًا تخيُّل ما قد يفكر فيه الناس، وأما ما هو أسوأ من ذلك، فقد أمضى ساعاتٍ محاولًا توقُّع سلوك الملاك. حتى ذلك الحين، لم يكن قد سبق وأن عزف الملاك إلَّا لمتعته الشخصية. كان الكاهن يفاجئه بين حينٍ وآخر، وهو يندفع إليه ليطلعه على نقطة جديدة من آداب السلوك التي طرأتْ له للتوِّ. على سبيل المثال:

- من المهم للغاية كما تعلم، أين تضع قبعتك. مهما فعلت، لا تضعها على كرسي. امسكها حتى يُقدَّم لك الشاي، وبعد ذلك -دعني أفكر- بعد ذلك ضعها في مكانٍ ملائمٍ، كما تعرف.

انقضت الرحلة إلى منزل سيدرمورتون من دون مشاكل، لكن في لحظة التقديم والتعارف، انتابت الكاهن نوبة من الهواجس الرهيبة، إذ كان قد نسي أن يشرح للملاك كيف يكون التعارف. بدا من الواضح أنَّ الملاك كان مستمتعًا بالأمر في سذاجة، لكن لم يحدث أيُّ مكروهٍ.

قال السيد راثبون سلايتر، الذي كان شديدَ الاهتمام بالأزياء:

- يا له من فتى غريبٍ! ينقصه الهندام، وحُسن السلوك. لقد ابتسم ابتسامة عريضة عندما شاهدني أصافح الآخرين. لقد فعلت ذلك بلباقة كافية، على ما أعتقد.

وقع خطأ واحدٌ تافهٌ فحسب؛ عندما رحَّبتْ الليدي هامرجالو بالملاك، تأمَّلته من خلال نظَّارتِها، فأدهشه حجم عينيها البادي من خلال العدسات، وقد بدت دهشته تلك بوضوحٍ،

إلى جانب محاولته السريعة لأن يسترق نظرة من فوق إطار النظارة. لكنَّ الكاهن كان قد أخبره بأمر بوق الأذن.

بدا أنَّ عجز الملاك عن الجلوس على أي شيء، باستثناء كرسي الموسيقى، قد أثار بعض الاهتمام بين النساء، لكن لم تعلِّق أيٌّ واحدةٍ منهن على الأمر. ربما نظرن للأمر بوصفه نوعًا من التكلُّف من قبل عازف ناشئ. كما أنَّه أساء التصرُّف مع فناجين الشاي، وتناثرت منه فتاتُ الكعك (على المرء أن يتذكَّر أنَّه كان لا يزال حديثَ العهد بتناول الطعام). جلس واضعًا إحدى ساقيه فوق الأخرى، وأربكه شأن القبعة بعد أن حاول عبثًا لفت انتباه الكاهن. حاولت الآنسة بابافير الكبرى تبادُل الحديث معه حول المنتجعات الأوروبية والسجائر، وخلص رأيها إلى أنَّه يتمتَّع بقدرٍ محدودٍ من الذكاء.

فوجئ الملاك عندما أُحضِر حاملٌ وعددٌ من النوت الموسيقية، وأحسَّ ببعض القلق في بادئ الأمر عند رؤية الليدي هامرجالو وهي جالسة ورأسُها يميل جانبًا، بينما هي تراقبه بعينيها اللتين بدتا أكبر من حجمها من خلال نظَّارتها ذات الإطار المذهَّب.

دنتْ منه السيدة جيهورام قبل أن يبدأ العزف، وسألته عن اسم المقطوعة الساحرة التي كان يعزفها عصر ذلك اليوم؛ قال الملاك إنَّها لا تحمل اسمًا، ووافقته السيدة جيهورام في أنَّ المقطوعات الموسيقية لا يجب أن تحمل أيَّ أسماءٍ أبدًا. وأرادت أن تعرف من هو المؤلف، وعندما أخبرها الملاك أنَّه عزفها بالسليقة، قالت إنَّه لا بُدَّ من أن يكون عبقريًّا بالفعل، ونظرت إليه بإعجابٍ واضحٍ (وبافتتانٍ لا شكَّ فيه). راقبه مساعد الكاهن القادم من إبينج هانجر بغيرة بادية (وكان مساعد الكاهن هذا من أصولٍ كلتية، يعزف البيانو ويتحدَّث عن الألوان والموسيقى بنوعٍ من التعالي العرقي).

ما لبث الكاهن أن وجد نفسَه مضطرًّا للجلوس بجوار الليدي هامرجالو، وأبقى عينيه مصوَّبتين بقلقٍ نحو الملاك، بينما هي تحكي له تفاصيل بخصوص الدخل الذي يحصل عليه عازفو الكمان، تلك التفاصيل التي اخترعت معظمها بينما هي تسترسل في الحديث. كانت قد انزعجت بعض الشيء من حادثة النظارات، لكنَّها قرَّرت أنَّ الأمرَ في حدود غرابة الأطوار المسموح بها.

فلتتخيَّل بنفسِكَ إذَنْ، الصالون الأخضر في المنزل الكائن في حديقة سيدرمورتون، وملاكًا متنكرًا في ملابس كهنوتية يحمل كمانًا في يده ويقف بجوار البيانو الكبير، وحشدًا محترمًا من الأشخاص الهادئين اللطاف، يرتدون ملابس أنيقة، وقد تجمَّعوا في أرجاء الحجرة. تتعالى الثرثرة قبل بدء العزف، ويترامى لمسامع المرء شذراتٌ متفرقة من المحادثات.

قالت الآنسة بابافير الكبرى للسيدة بيربرايت:

- إنَّه متنكرٌ. أليس ذلك غريبًا ومثيرًا؟ تقول جيسيكا جيهورام إنَّها شاهدته في فيينا، لكنَّها لا تستطيع تذكُّر اسمِه. الكاهن يعرف كلَّ شيء عنه، لكنَّه قريبٌ للغاية من...

قالت السيدة بيربرايت:

- كم يبدو الكاهن المسكين متوتِّرًا ومنزعجًا. لاحظتُ ذلك من قبل، كلما جلس بجوار الليدي هامرجالو. إنَّها بكلِّ بساطة لا تبدي له الاحترامَ الذي يستحقه الإكليروس، بل تمضي في...

قالت الآنسة بابافير الكبرى:

- رابطة عنقه منحرفة تمامًا، ويبدو شعرُه كما لو أنَّه لم يصفِّفه اليوم على الإطلاق.

قال جورج هارينجاي، الجالس بعيدًا مع الآنسة بيربرايت الصغرى:

- يبدو شابًّا غريبًا متكلِّفًا. لا بأسَ بذلك في حدود غرفة الاستقبال، لكن من ناحيتي فأنا أفضِّل أن يكون الرجلُ ذا مظهرٍ ذكوريٍّ، والمرأة ذات مظهرٍ أنثوي. ما رأيكِ أنتِ؟

قالت الآنسة بيربرايت الصغرى:

- أوه! أنا أيضًا أعتقد ذلك.

قالت الليدي هامرجالو:

- الكثير والكثير من الجنيهات. لقد سمعتُ أنَّ بعضَهم يمتلك منازلَ في غاية الفخامة. من الصعب تصديق أنَّ الفضلَ في ذلك يعود إلى...

قالت السيِّدة جيهورام:

- أنا أحبُّ الموسيقى يا سيِّد ملاك، وأعشقها. إنَّها تثير في داخلي شيئًا ما، يصعب عليَّ وصفُه. تُرى من هو قائل تلك العبارة البليغة في تناقضِها: «الحياة من دون موسيقى وحشية، والموسيقى من دون حياة...»، يا إلهي، ربما بوسعِكَ أنتَ أن تتذكَّر؟ الموسيقى من دون حياة... إنَّه روسكين على ما أعتقد؟

قال الملاك:

- أعتذر لأنَّني لا أعرف، فلم أقرأ سوى القليل جدًّا من الكتب.

قالت السيدة جيهورام:

- كم أنتَ لطيفٌ! أتمنَّى لو لم أكن أقرأ كثيرًا. أنا أتفهَّمك تمامًا. كنتُ سأفعل الشيءَ نفسَه، إلَّا أنَّنا نحن النساء المسكينات... أعتقد أنَّ ما نفتقر إليه هو الأصالة. وفي هذه الأرجاء يضطرُّ المرءُ للجوء إلى أكثر التصرُّفات يأسًا...

قال جورج هارينجاي:

- إنَّه فائقُ الجمال بكلِّ تأكيدٍ، لكنَّ الاختبارَ الحقيقي للرجولة هي القوة. ما رأيكِ أنتِ؟

قالت الآنسة بيربرايت الصغرى:

- أوه! أنا أيضًا أعتقد ذلك.

- إنَّ الرجل المخنَّث هو مَن يدفع المرأة لأن تتَّسم بالذكورة. حينما يصير شعرُ الرجل هو مصدر فخره، فما الذي تفعله المرأة إذَنْ؟ وعندما يتجوَّل الرجال في جميع الأرجاء وقد طلوا وجوههم بالحمرة...

- أوه، يا جورج! إنَّك تبالغ في السخرية بشكلٍ كبيرٍ اليوم. أنا واثقة أنَّ تلك ليست أصباغًا.

- أنا حقًّا لستُ وصيًّا عليه، يا عزيزتي الليدي هامرجالو. إنَّه لطفٌ بالغٌ منكِ بالتأكيد، أن تبدي مثل هذا الاهتمام...

قالت السيدة جيهورام، وهي في حالة من البهجة:

- هل سترتجل حقًّا؟

قال مساعد كاهن إيبينج هانجر:

- صه!

ثم بدأ الملاكُ العزفَ، ناظرًا أمامه مباشرة، مستغرقًا في التفكير في الأشياء الرائعة الكائنة في أرض الملائكة. ومع ذلك، من دون أن يشعر، ترك الحزن الذي بدأ يستشعره يتسلَّل إلى المقطوعة التي كان يعزفها. حين كان ينسى وجود الناس حوله، كانت الموسيقى تصبح غريبة وعذبة، وعند انتباهِه مرَّة ثانية لِمَا يحيط به، كانت الموسيقى تصير متقلِّبة ومتنافِرة. لكن الموسيقى الملائكية كانت عظيمة الأثر على الكاهن، لدرجة أنَّ جميعَ مخاوفِه سقطت في الحال ما أن شرع الملاكُ في العزف. جلستْ السيدة جيهورام وهي تحاول بكلِّ ما في وسعِها أن يبدو عليها الاندماج والتعاطُف (على الرغم من أنَّ الموسيقى كانت تبعث على الحيرة في بعض الأحيان)، وحاولت لفت نظر الملاك. كان وجهه معبِّرًا حقًّا على نحوٍ رائع، ترتسم عليه أرق التعبيرات! وكانت السيدة جيهورام تجيد الحكم على هذه الأمور. بدا الملل على جورج هارينجاي، حتى مدَّت الآنسة بيربرايت الصغرى، والتي كانت تعشقه، قدَمها بخجلٍ كي تلمس بها حذاءه، عندها، أدار وجهَه ليلمح رقتها الأنثوية البادية في عينيها المليئتين بالدلال، وشعر بالارتياح. جلست الآنسة بابافير الكبرى والسيدة بيربرايت ساكنتين تمامًا، كأنَّهما في كنيسة، لقرابة أربع دقائق.

ثم همست الآنسة بابافير الكبرى قائلة:

- دومًا ما أستمتع للغاية بموسيقى الكمان.

وأجابتها السيدة بيربرايت قائلة:

- نادرًا ما نحصل على موسيقى لطيفة في هذه الأرجاء.

وقالت السيدة بابافير:

- عزفُه جميلٌ جدًّا.

وقالت السيدة بيربرايت:

- لمساتُه في غاية الرقة!

ثم قالت السيدة بابافير:

- هل يتابع ويلي دروسه؟

وهكذا استمرَّ الحديثُ همسًا.

جلس مساعد كاهن إيبينج هانجر في مرمى نظر الجميع (أو هكذا أحسَّ). أحاط إحدى أذنيه بكفِّه، بينما عيناه جامدتان تحدِّقان بثبات إلى قاعدة مزهرية سيفر تمتلكها الليدي هامرجالو. ومن خلال حركات فمِه، قدَّم نوعًا من الإشارات النقدية لأي من كان على استعدادٍ للاستفادة برأيه من الحضور. كانت تلك خصلة من خصاله الكريمة. بدا على ملامحه الانهماكُ الصارمُ من أجل التقييم، وكان يخفِّف من تلك الصرامة تبدُّل ملامحِه بين الاستياء الواضح تارة، والتقدير المتحفِّظ تارة أخرى. تراجع الكاهنُ في كرسيه، وحدَّق في وجه الملاك، وما لبث أن هام في حُلمٍ رائعٍ. أمَّا الليدي هامرجالو، فقد ظلَّت تدرس الحضور، وتحاول الحكم على تأثير عزف الملاك عليهم، وتحرك رأسَها حركاتٍ سريعة مفاجئة بينما تصدر ملابسُها حفيفًا خافتًا متواصلًا. حملق السيد راتبون سلايتر بقبَّعتِه بجدية شديدة، وبدت عليه التعاسة البالغة، في حين اهتمَّت السيدة زوجته بحفظ شكل أكمام ثوب السيدة جيهورام. وامتلأ الجو حولهم بالموسيقى الرائعة، ليستمتع بها كلُّ من يستطيع السمع.

همست الليدي هامرجالو بصوتٍ أجشّ، ووكزت الكاهن في أضلاعِه فجأة:

- بالكاد يبدو عليهم التأثُّر.

انتبه الكاهن من عالم أحلامِه فجأة، فجفل وقفز صائحًا:

- ماذا؟

قال مساعد كاهن إيبينج هانجر:

- صه!

وبدت على الجميع الصدمة من بلادة شعور هيليار لدرجة الوحشية.

قالت الآنسة بابافير الكبرى:

- كم هو غريبٌ من الكاهن التصرُّف على هذا النحو!

بينما واصل الملاك العزف.

شرع مساعد كاهن إيبينج هانجر يحرك سبَّابته بحركاتٍ فاتنة، ومع استمرار العزف، سرى الخدر على نحوٍ مثيرٍ للدهشة في جسد السيد راثبون سلايتر، أدار قبعته بجدية، وغيَّر من اتجاه نظره. تخلَّص الكاهن من الشعور بالاضطراب، وعاد إلى أرض الأحلام مرة أخرى. تململت الليدي هامرجالو كثيرًا وأصدر ثوبُها حفيفًا، وما لبثت أن تسبَّبت في جعل كرسيها يصدر صريرًا، حتى انتهى العزف أخيرًا.

صاحت الليدي هامرجالو:

- رائعٌ!

على الرغم من أنَّها لم تسمع ولو نغمة واحدة حتى، وأخذت تصفق بكفَّيها. حينها شاركها الجميع التصفيق، باستثناء السيد راثبون سلايتر، الذي أخذ ينقر على حافة قبعته عوضًا عن ذلك. صفق مساعد كاهن إيبينج هانجر على نحوٍ يُظهِر حُكمَه على العزف.

قالت السيدة بيربرايت وهي تصفق بشدة:

- لذا قلت (تصفيق) إذا لم يكن بوسعكِ طهي الطعام بطريقتي أنا (تصفيق) فعليكِ الرحيل إذَنْ. هذه الموسيقى ممتعة ومبهجة.

قالت الآنسة بابافير الكبرى:

- إنَّها كذلك بالفعل. دومًا ما أستمتع بالموسيقى. وهل تحسنتْ بعد ذلك؟

قالت السيدة بيربرايت:

- لا، على الإطلاق.

انتبه الكاهن من أحلامه مرة أخرى، وحدَّق إلى الغرفة من حوله. هل تراءت للآخرين هذه الخيالات، أم أنَّها اقتصرت عليه وحده؟ بالتأكيد يجب أن يكونوا جميعًا قد شاهدوها، إلَّا أنَّهم يتمتعون بسيطرة كبيرة على مشاعرِهم. فمن غير المعقول ألَّا تؤثِّر فيهم مثل هذه الموسيقى.

قالت الليدي هامرجالو وهي تحاول جذب انتباه الكاهن فجأة:

- تنقصه اللباقة إلى حدٍّ ما. فهو لا ينحني للجمهور ولا يبتسم. عليه اكتساب مثل هذه الأمور الصغيرة؛ كلُّ مؤدٍّ ناجح تنقصه اللباقة بدرجة ما.

قالت السيدة جيهورام وهي تنظر له بعين ملتمعة:

- هل ارتجلتَ هذا اللحن بنفسِكَ بالفعل؟ إنَّه رائعٌ حقًّا! لا شيء أقل من رائع!

قال مساعد كاهن إيبينج هانجر مخاطبًا السيد راثبون سلايتر:

- يبدو مثل عزف الهواة نوعًا ما. لا شكَّ أنَّ لديه موهبةً عظيمةً، لكنَّه يفتقر للتدريب المستمر؛ كانت هناك زلةٌ أو زلتان بسيطتان، أودُّ أن أحادثه بشأنِهما.

قالت السيدة راثبون سلايتر:

- يبدو بنطاله مثل الأكورديون. ينبغي أن يخبره أحدهم بذلك، فهذا غير لائقٍ.

قالت الليدي هامرجالو:

- هل تستطيع تقليد الأصوات يا سيِّد ملاك؟

قالت السيدة جيهورام:

- أوه، فلتقلِّد بعض الأصوات! أنا أعشق تقليد الأصوات.

قال مساعد كاهن إيبينج هانجر لكاهن سيدرمورتون، وهو يلوِّح خلال حديثِه بيديه الطويلتين، الملائمتين لعزف الموسيقى من دون شكٍّ:

- كان عزفًا رائعًا. معقدًا بعض الشيء، على حدِّ رأيي. لقد سمعته في مكانٍ ما من قبل، نسيتُ أين. لا شكَّ أنَّه عبقريٌّ، لكنَّه ينشز في بعض الأحيان. تنقصه الدقة الشديدة في العزف. لا زال بحاجة إلى سنواتٍ من التدريب.

قال جورج هارينجاي:

- لا أحب هذه المقطوعات الموسيقية المعقَّدة. يؤسفني أنَّ ذوقي أبسطُ من ذلك. يبدو لي أنَّها تفتقر إلى التناغُم. أكثر ما أفضِّله هو الموسيقى البسيطة. في رأيي فإنَّ ما يحتاجه عصرُنا هو التناغُم والبساطة. لقد عقَّدنا كلَّ شيءٍ أكثر من اللازم، وصار كلُّ شيءٍ مبالغًا فيه. أمَّا أنا، فأميل إلى ما هو مألوفٌ وبسيطٌ. ما رأيكِ أنتِ؟

قالت الآنسة بيربرايت الصغرى:

- أوه! أوافقك الرأي تمامًا!

قالت السيدة بيربرايت من الجانب الآخر للغرفة:

- حسنًا، يا إيمي. هل تثرثرين مع جورج كالعادة؟

قالت الآنسة بيربرايت الصغرى، وهي تلتفت بابتسامة مشرِقة نحو السيدة بابافير، قبل أن تستدير مرَّة أخرى كي لا تفوتها العبارة التالية التي سيتفوَّه بها جورج:

- كالعادة يا أمي!

قالت الليدي هامرجالو لمساعد كاهن إيبينج هانجر، الذي بدتْ عليه الكآبة على نحوٍ غير طبيعي:

- أتساءل ما إذا كان بوسعِكَ أنتَ والسيد ملاك أن تعزفا مقطوعة معًا؟

أجابها مساعد كاهن إيبينج هانجر، وقد انفرجت أساريرُه:

- سوف يسعدني ذلك، بكلِّ تأكيدٍ.

قال الملاك:

- عزفٌ مشتركٌ؟ كلانا؟ يمكنه العزف إذَنْ. لقد فهمت... أخبرني الكاهن...

قاطعه الكاهن قائلًا:

- السيد ويلميردينجز عازف بيانو بارعٌ.

قالت السيدة جيهورام، التي كانت تمقت ويلمردينجز:

- لكن ماذا عن التقليد؟

قال الملاك:

- تقليد؟

قال السيد راثبون سلايتر:

- مثل خنخنة الخنزير وصياح الديك، كما تعلم.

ثم أضاف قائلًا بصوتٍ خفيضٍ:

- هذه هي أكثر متعة يمكن للمرء أن يستمدَّها من الكمان، في رأيي.

قال الملاك:

- لا أفهم حقًّا. خنخنة خنزيرا!

قالت السيدة جيهورام:

- أنتَ لا تحب تقليدَ الأصوات. في الواقع، ولا أنا. أتقبَّل رفضَك. أعتقد أنَّ التقليد يحطُّ من قدر...

قالت الليدي هامرجالو:

- ربما يغيِّر السيد ملاك رأيَه بعد قليلٍ.

وهذا بعد أن أوضحت لها السيدة بيربرايت الأمر، فلم تكد تصدق ما سمعته من خلال بوق الأذن، فلم تعتاد أن تطلب شيئًا ما، مثل تقليد الأصوات، ويُقابَل طلبُها بالرفض.

جلس السيد ويلمردينجز إلى البيانو، وكان قد اطَّلع على كومة مألوفة من النوت الموسيقية خلال الفاصل.

قال دون أن يلتفت:

- ما رأيُكَ في مقطوعة سبور تلك؟ أظنُّ أنَّكَ تعرفها؟

بدا الملاك في حيرة من أمرِه، ففتح النوتة أمامه.

قال الملاك:

- يا له من كتابٍ غريبٍ! ما الذي تعنيه كلُّ هذه النقاط العجيبة؟

(عندئذٍ تجمَّدت الدماءُ في عروق الكاهن).

قال مساعد كاهن إيبينج هانجر:

- أي نقاطٍ؟

أشار الملاك بإصبعه قائلًا:

- هذه!

قال مساعد الكاهن:

- دعكَ من هذا المُزاح!

سادت فترة من فترات الصمت القصيرة المفاجئة تلك، والتي تعني الكثيرَ في هذا النوع من المناسبات الاجتماعية.

التفتتْ الآنسة بابافير الكبرى إلى الكاهن، وقالت:

- ألا يعزف السيد ملاك موسيقى عادية... من النوتة الموسيقية العادية؟

قال الكاهن، وقد أخذ وجهُه في الاحمرار بعد شعورِه بالصدمة:

- لم يسبق وأن سمعت... لم أره حقًّا من قبل...

أحسَّ الملاك بتوتُّر الموقف، على الرغم من أنَّه لم يستطع فَهْم سبب ذلك التوتُّر. لاحظ نظرات الشكِّ والبرود على الوجوه التي تتطلَّع إليه، سمِع السيدة بيربرايت تقول:

- هذا مستحيلٌ، بعد ذلك العزف الرائع!

توجَّهت الآنسة بابافير الكبرى إلى الليدي هامرجالو على الفور، وشرعت توضِّح لها من خلال بوق أذنِها أنَّ السيد ملاك لا يرغب في العزف مع السيد ويلمردينجز، ويدَّعي جهلَه بالنوتة الموسيقية.

قالت الليدي هامرجالو بنبرة مشوبة بالصدمة:

- لا يستطيع العزف من النوتة الموسيقية؟ هذا محض هُراء!

قال الملاك متحيرًا:

- نوتة؟ هل هذه نوتة؟

قال السيد راثبون سلايتر مخاطبًا جورج هارينجاي:

- إنَّه يتمادى في هزلِه، لمجرد أنَّه لا يريد العزفَ مع السيد ويلمردينجز.

عمَّ الصمتُ والترقُّب. أدرك الملاك أنَّ عليه الشعورَ بالخجل من نفسِه، فأحسَّ بالخجل من نفسِه.

تقدَّمت الليدي هامرجالو رافعة رأسها، وهي تتحدَّث بسخطٍ متعمَّدٍ قائلة:

- إن لم تستطع العزف مع السيد ويلمردينجز إذَنْ، فيؤسفني أنَّني لا أستطيع أن أطلب منك العزف مرَّة أخرى.

جعلت قولَها يبدو كأنَّه إنذارٌ. ارتعشت نظَّارتُها بعنفٍ في يدها من شدة السخط. وكان الملاك قد فهم البشر الآن بما يكفي لأن يدرك أنَّ أمرَه انتهى.

قالت الصغيرة لوسي روستشوك، الجالسة في ركنٍ بعيدٍ:

- ما الأمر؟

قال تومي راثبون سلايتر:

- لقد رفض العزف مع ويلمردينجز العجوز. يا له من أمرٍ مثيرٍ للضحك! لقد احتقن وجه العجوز غضبًا، فهي توقِّر ذلك الأحمق ويلمردينجز للغاية.

قالت الليدي هامرجالو:

- هلا أمتعتنا يا سيد ويلمردينجز بعزف تلك المقطوعة البولندية الجميلة لشوبان؟

عمَّ الصمت الجميعَ، إذ كان سخط الليدي هامرجالو يبعث على الصمت كما لو أنَّ هناك زلزالًا أو كسوفًا شمسيًّا مرتقبًا. أدرك السيد ويلمردينجز أنَّه سيقدِّم خدمة اجتماعية جليلة إذا شرع في العزف في الحال (ليضاف ذلك إلى رصيدِه، بعد أن اقترب من تسوية حسابه مع الملاك)، وقام بذلك بالفعل.

قال جورج هارينجاي:

- إذا تظاهر رجلٌ بممارسة فنٍّ ما، فعليه أن يتمتَّع بالضمير الكافي على الأقل لدراسة مبادئه. ما رأيكِ...

قالت الآنسة بيربرايت الصغرى:

- أوه! أنا أيضًا أعتقد ذلك.

أحسَّ الكاهن كما لو أنَّ السماء انطبقت عليه. جلس متكوِّمًا في مقعدِه، كرجلٍ محطَّمٍ. جلست الليدي هامرجالو بجوارِه، وبدت كأنَّها لا تراه. كانت أنفاسُها تتسابق، على الرغم من الهدوء الشديد المرتسم على وجهها. جلس الجميع. هل كان الملاك جاهلًا تمامًا، أم وقحًا تمامًا فحسب؟ أدرك الملاك بشكلٍ غامضٍ أنَّه اقترف جرمًا شنيعًا من نوعٍ ما، وأدرك أنَّه -بطريقة ما- لم يعُد محطَّ اهتمام الجميع. رأى تأنيبًا يائسًا في عينَي الكاهن، فانسلَّ ببطءٍ نحو نافذة في فترة الاستراحة، وجلس على المقعد الصغير مثمَّن الأضلاع ذي الطراز البربري بجانب السيدة جيهورام. وفي ظلِّ تلك الظروف، قدَّر بدرجة كبيرة الابتسامة اللطيفة التي منحتها له السيدة جيهورام، ووضع الكمان على مقعدٍ أسفل النافذة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

جلست السيدة جيهورام والملاك جانبًا، بينما كان السيد ويلمردينجز يعزف.

قالت السيدة جيهورام بصوتٍ خفيضٍ:

- لَكم تمنيتُ أن أتبادل الحديثَ معك في هدوءٍ، كي أخبرك إلى أي مدى استمتعتُ بعزفِكَ.

قال الملاك:

- أنا مسرورٌ لأنَّه أسعدكِ.

قالت السيدة جيهورام:

- لا تكاد كلمة «سعيدة» تكفي للتعبير، فقد هزَّني عزفُك حتى الأعماق. هؤلاء الآخرون لم يفهموا، أنا سعيدة لأنَّكَ لم تشاركه العزفَ.

نظر الملاك إلى ويلمردينجز الذي يعزف على نحوٍ آليٍّ، وأحسَّ بالسعادة هو الآخر. (كان المفهوم الملائكي للعزف المشترك أشبه بالمحادثة بين كمانيْن). لكنَّه لم يقل شيئًا.

قالت السيدة جيهورام:

- أنا أعشق الموسيقى. لا أعرف عنها شيئًا من الناحية الفنية، لكنَّ هناك شيئًا ما بها... الشوق، والتمني.

حدَّق الملاك في وجهِها، والتقتْ نظرتُها بنظرتِه.

قالت:

- إنَّك تفهمني. أرى أنَّكَ تفهمني.

كان فتى لطيفًا للغاية بكلِّ تأكيدٍ، وربما كانت عواطفه جياشة، وله عينان جميلتان صافيتان لامعتان.

قطعتْ حديثَهما المعزوفة رقم 40 لشوبان، التي عُزفت بدقة بالغة. كان وجه السيدة جيهورام لا يزال يتسم بالعذوبة، وقد سقط عليه الظلُّ، والضوء يشكِّل هالة حول شعرِها الذهبي، فخطرت فكرةٌ غريبةٌ في ذهن الملاك. أيَّدتْ المساحيق البادية على وجهِها فكرته التي تدور حول شيء محبوبٍ ومتألِّقٍ بلا حدودٍ، وقد سقط في الأسر وتلوَّث وبات غليظًا واكتسى بطبقة خارجية تخفي حقيقته.

قال الملاك بنبرة خفيضة:

- هل أنتِ... هل انفصلتِ عن عالمكِ؟

همست السيدة جيهورام:

- مثلما أنتَ منفصلٌ عن عالمكِ؟

قال الملاك:

- كلُّ هذا باردٌ جدًّا! وقاسٍ للغاية!

كان يقصد العالم بأكملِه.

قالت السيدة جيهورام، وهي تقصد منزل سيدرمورتون:

- أشعر بذلك أنا أيضًا.

ثم واصلتْ قائلة بعد أن سكتتْ لحظة لإظهار تعاطفِها:

- هناك من لا يستطيعون الحياة من دون تعاطُفٍ. وهناك أوقاتٌ يشعر المرء فيها أنَّه وحيدٌ تمامًا في هذا العالم، يخوض معركة ضد كلِّ شيءٍ، ويضحك ويغازل ليخفي آلام كل ذلك.

قال الملاك بنظرة رائعة:

- ويتمنَّى.

- أجل.

شعرتْ السيدة جيهورام (التي كانت تقدِّر عبارات الغزل وتستمتع بها) أنَّ مخبر الملاك يوافق مظهره (وأنَّه يهيم بها بلا شكٍّ).

قالت:

- هل تبحث عن التعاطُف؟ أم أنَّكَ وجدته بالفعل؟

قال الملاك بصوتٍ هامسٍ للغاية، وهو يميل نحو الأمام:

- أعتقد، أعتقد أنَّني وجدته.

استمرَّت معزوفة شوبان رقم 40، وواصلتْ الآنسة بابافير الكبرى والسيدة بيربرايت التهامُس. رفعت الليدي هامرجالو نظَّارتَها أمام عينيها، ورمقت الملاك بنظرة عدائية عبر الصالون. تبادلت السيدة جيهورام والملاك نظراتٍ عميقة ذات مغزى.

قال الملاك:

- اسمها...

ندَّت حركة عن السيدة جيهورام، وواصل الملاك قائلًا:

- ديليا. إنَّها...

قالت السيدة جيهورام بحدَّة، وقد أخذت تفهم شيئًا فشيئًا أنَّ هناك سوءَ تفاهمٍ فظيعًا قد وقع:

- ديليا! إنَّه اسمٌ غريبٌ... أليست... لا! أليست تلك الخادمة الصغيرة في منزل الكاهن؟

انتهى عزف المقطوعة البولندية على نحوٍ متباهٍ. فوجئ الملاك تمامًا من التغيير الذي طرأ على تعبير السيدة جيهورام.

قالت السيدة جيهورام، وهي تتمالك نفسها:

- أما أنا، فلم أجده قطُّ! أتسرّ لي أنا بعلاقتِكَ مع خادمة؟ حقًّا يا سيد ملاك، يمكن للمرء أحيانًا أن يتخطَّى الحدود فيما يتعلق بغرابة أطواره.

بعد ذلك، انقطع حديثُهما فجأة.

هذا القسم هو أقصر أقسام الكتاب (على حسب ما أتذكر).

لكن فداحة الجُرم تستدعي فصل هذا القسم عن باقي الأقسام الأخرى.

لا بُدَّ أن تفهم أنَّ الكاهن قد بذل قصارى جهدِه كي يغرس في الملاك الصفات المميزة للرجل النبيل، حيث كان يقول له:

- لا تسمح لسيدة أبدًا بأن تحمل شيئًا. قل: «فلتسمحي لي»، واحمله أنتَ عنها. وعليكَ أن تظلَّ واقفًا دومًا، حتى تجلس جميع السيدات. كما عليك الوقوف للسيدات على الدوام، وفتح الباب لهنَّ.

وما إلى ذلك من الإرشادات (جميع الرجال الذين لديهم شقيقاتٌ أكبر سنًّا يعرفون هذه القواعد).

تقدَّم الملاك (الذي كان قد تغافل عن تناول فنجان الشاي من الليدي هامرجالو) بخفَّة مدهشة (تاركًا السيدة جيهورام جالسة على المقعد عند النافذة)، وقال بلباقة:

- فلتسمحي لي.

ثم تناول صينية الشاي من خادمة الليدي هامرجالو الجميلة، وتقدَّم أمامها بحماسٍ حتى اختفى. نهض الكاهن وأطلق صيحة مبهمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



قال السيد راثبون سلايتر، وهو يكسر الصمتَ الرهيب:

- إنَّه ثملٌ! هذا هو ما دهاه.

ضحكت السيدة جيهورام على نحوٍ هستيريٍّ.

وقف الكاهن محملقًا، بلا حراكٍ. انتابته نوبةٌ من الندم، وخاطب نفسَه قائلًا:

- أوه! لقد نسيتُ أن أشرح له وظيفة الخدم! لقد ظننتُ أنَّه يفهم ذلك بالفعل.

قالت الليدي هامرجالو، وقد بدا بوضوحٍ أنَّها تبذل جهدًا هائلًا لضبط النفس، وهي تتحدَّث لاهثة:

- حقًّا يا سيد هيليار! حقًّا! هذا العبقري الذي جلبته لا يُطاق! لا مفرَّ بالفعل من أن أطلب منك اصطحابه، والعودة إلى المنزل.

اصطبغ وجه الكاهن البيضاوي الصغير باللون القرمزي، وارتسم اليأسُ في عينيه، بينما التفَّت رابطة عنقه لتصير أسفل أذنه اليسرى. وهكذا قاطع الكاهن الحوار الدائر في الممرِّ بين الخادمة المرتبكة والملاك ذي النوايا الحسنة (رغم افتقاره إلى اللباقة على نحوٍ صادمٍ).

قال وهو يغالب المشاعر التي تعتمل داخله:

- هيا... تعالَ لننصرف. أنا... لقد لحق بي العارُ إلى الأبد.

حدَّق إليه الملاكُ لوهلة، ثم أطاعه بخنوعٍ، وقد أحسَّ بنفسِه محاطًا بقوى رهيبة مجهولة.

وهكذا بدأتْ وانتهتْ مسيرة الملاك الاجتماعية.

في الاجتماع غير الرسمي الذي تلا ذلك، والذي غلب عليه السخط، احتلَّت الليدي هامرجالو مقعد القائد (غير الرسمي). قالت:

- أشعر بالإهانة. لقد أكَّد لي الكاهن أنَّه عازفٌ بارعٌ. لم أتخيَّل أبدًا...

قال السيد راثبون سلايتر:

- لقد كان ثملًا، بدا ذلك واضحًا من الطريقة التي تخبَّط بها وهو يتناول الشاي.

قالت السيدة ميرجيل:

- يا لها من فضيحة!

كرَّرت الليدي هامرجالو قائلة:

- لقد أكَّد لي الكاهن. «الرجل الذي يقيم معي موسيقيٌّ عبقريٌّ». كانت هذه كلماته بالتحديد.

قال تومي راثبون سلايتر:

- لا بُدَّ وأنَّه يدرك أنَّنا نتحدَّث عنه الآن، على أي حالٍ.

قالت السيدة جيهورام:

- كنتُ أحاول مسايرته كي أبقيه هادئًا. وهل تعلمون ما قاله لي هناك؟!

قال السيد ويلمردينجز:

- تلك المقطوعة التي عزفها... عليَّ الاعتراف أنَّني لم أرغب في مواجهتِه، لكنَّها كانت مجرد ارتجالٍ بلا هدفٍ.

قال جورج هارينجاي:

- كان يعبث بالكمان فحسب، أليس كذلك؟ حسنًا، لقد شعرتُ أنَّني لا أتذوقها. الكثير من موسيقاكم الراقية ما هي إلَّا...

قالت الآنسة بيربرايت الصغرى:

- أوه، جورج!

قال السيد راثبون سلايتر:

- كان الكاهن ثملًا بعض الشيء هو الآخر، كما بدا من رابطة عنقه. إنَّه سباق سكارى. هل رأيتم كيف أسرع مهتاجًا وراء ذلك العبقري؟

قالت الآنسة بابافير الكبرى:

- على المرء التزام الحذر الشديد.

قالت السيدة جيهورام:

- لقد أخبرني أنَّه واقعٌ في حبِّ خادمة منزل الكاهن! كدتُ أنفجر ضاحكة في وجهِه!

قالت السيدة راثبون سلايتر بحسمٍ:

- ما كان ينبغي للكاهن أن يحضره هنا أبدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



مشكلة السلك الشائك

هكذا انتهى الظهور الأول والأخير للملاك في المجتمع بصورة مخزية. توجَّه الكاهن والملاك عائدين إلى منزل الكاهن وهما يسيران بحزنٍ، هيئتان كئيبتان متَّشحتان بالسواد تحت أشعة الشمس الساطعة. تألَّم الملاك بشدة لألم الكاهن. بدا الكاهن يائسًا رثَّ الهيئة، وهو يقحم عبارات الندم والتخوف وسط عبارات متقطعة يشرح فيها قواعد السلوك واللياقة. شرع يعيد ويكرر قائلًا:

- إنَّهم لا يفهمون. سيشعر الجميع بسخطٍ شديدٍ للغاية. لا أدري ماذا أقول لهم. كلُّ شيء مربكٌ جدًّا، ومحيرٌ للغاية.

وعند بوابة منزل الكاهن، في نفس المكان الذي بدت فيه ديليا لأول مرة فائقة الجمال، وقف هوروكس شرطي القرية في انتظارِهما. كان يحمل في يدِه أجزاءً ملفوفة من السلك الشائك.

قال الكاهن بينما الشرطي يمسك البوابة ويبقيها مفتوحة:

- مساء الخير، يا هوروكس.

أجاب هوروكس قائلًا:

- طاب مساؤك يا سيدي.

ثم أضاف قائلًا بنبرة يشوبها الغموض:

- هل يمكنني محادثتك لدقيقة يا سيدي؟

قال الكاهن:

- بكلِّ تأكيدٍ.

سار الملاك إلى المنزل متفكرًا، والتقي بديليا في الردهة، فاستوقفها واستجوبها باستفاضة حول الاختلافات بين الخادمات والسيدات.

قال هوروكس:

- أستميحك عذرًا لجرأتي يا سيدي، لكن هناك متاعب تلوح في الأفق لذلك السيد المعاق المقيم معك هنا.

قال الكاهن:

- يا إلهي! حقًّا؟

- إنَّه السير جون جوتش، يا سيدي. إنَّه غاضبٌ جدًّا، يا سيدي. كلامه يا سيدي... لكنَّني شعرتُ أنَّه من واجبي إبلاغك، يا سيدي. إنَّه مصممٌ على التقدُّم ببلاغٍ بخصوص هذا السلك الشائك. مصمم بشدة يا سيدي.

قال الكاهن:

- السير جون جوتش! سلك! لا أفهم.

- لقد طلب مني اكتشاف الفاعل، وبالطبع اضطررتُ لأداء واجبي، يا سيدي. وإن كانت تلك مهمة مزعجة، بطبيعة الحال.

- سلك شائك! واجب! لا أفهمك، يا هوروكس!

- أخشى يا سيدي إنَّه لا يوجد مجالٌ لإنكار الأدلة. لقد أجريتُ تحريات دقيقة، يا سيدي.

ثم شرع الشرطي على الفور يروي للكاهن فضيحة جديدة صادمة، ارتكبها الملاك الزائر.

لكن لا حاجة بنا لمتابعة ذلك الشرح بالتفصيل، ولا الاعتراف التالي له. (من جانبي، أعتقد أنَّه لا يوجد ما هو أكثر مللًا من الحوار). جعل الأمر الكاهن ينظر لشخصية الملاك بمنظورٍ جديدٍ، ومنحه لمحة موجزة عن سخط الملاك. في طريق ظليلٍ تتناثر عبره بقعٌ من أشعة الشمس، وتحيطه من كلا الجانبين سياجات شجرية عامرة بزهور العسلة والبيقية، كانت هناك فتاة صغيرة تجمع الزهور، وقد نسيتْ أمرَ السلك الشائك الممتد بطول طريق سيدرفورد، والذي يعزل السير جون جوتش المبجل عن باقي الرعاع والعامة. فجأة، جرحت يدها، وندت عنها صرخة مريرة. أشفق عليها الملاك، وحاول مواساتها وهو يستفسر عمَّا حدث. أوضحت له الخطب من بين دموعِها، وبعد ذلك انتاب الملاك شعورٌ جديدٌ تمامًا، وهو الغضب؛ هجم بغضبٍ على السلك الشائك الذي مدَّه السير جون جوتش، ممسكًا به بتهورٍ، حتى قطعه وثناه وكسره. ومع ذلك، فلم يكن تصرُّف الملاك نابعًا من أي شعورٍ شخصيٍّ بالعداوة، بل رأى السلك كنباتٍ قبيحٍ وخبيثٍ فحسب، يمتدُّ بمكرٍ بين باقي النباتات. في النهاية، عندما فسَّر الملاك الأمر، منح الكاهن صورة يقف فيها الملاك وحده وسط الدمار الذي أحدثه، مرتجفًا ومذهولًا من القوة المفاجئة التي انتابته وجعلته ينهال على السلك تقطيعًا، ومندهشًا أيضًا من الدماء القرمزية التي انسالت على أصابعه.

قال الملاك بعد أن أوضح له الكاهن طبيعة السلك، وأنَّه مصنوعٌ وليس طبيعيًا:

- هذا أكثر فظاعة. أعرف أنَّني كنتُ سأحاول إلحاق الألم بالرجل الذي وضع ذلك الشيء السخيف والقاسي هناك كي يؤذي الأطفال الصغار، لو كنتُ قد رأيته. لم يسبق وأن انتابني هذا الشعور من قبل قطُّ. لقد لوَّثتني شرور هذا العالم وانطبعت عليَّ بالفعل.

كيف يتسنَّى لكم، معشر البشر، أن يبلغ بكم الحمق درجة تدفعكم إلى دعم قوانين تسمح لرجلٍ منكم باقتراف مثل هذه الأشياء الخبيثة؟ أجل، أعرف، ستخبرني أنَّ الوضع يجب أن يكون هكذا، لأسبابٍ بعيدة عن فهمي. هذا يزيدني غضبًا فحسب. لماذا لا يمكنكم قبول الأفعال على علَّاتِها، كما هو الحال في أرض الملائكة؟

كان ذلك هو الحادث الذي وقع، وعرف به الكاهن الآن تدريجيًا، حيث أخبره هوروكس بالخطوط العريضة، ثم أضفى الملاك على الحكاية لاحقًا الألوان والمشاعر. وقع ذلك الحادث في اليوم السابق للحفل الموسيقي في منزل سيدرمورتون.

سأل الكاهن:

- هل أخبرتَ السير جون من فعل ذلك؟ وهل أنتَ واثقٌ؟

- تمام الثقة، يا سيدي. لا شكَّ في أنَّه الرجل المقيم لديكَ، يا سيدي. لم أخبر السير جون بعد، يا سيدي. لكنَّني سأضطرُّ لإبلاغه هذا المساء. لا أقصد أي إساءة لكَ، يا سيدي، كما آمل أن ترى. هذا واجبي يا سيدي، وإلى جانب ذلك...

قال الكاهن على عجلٍ:

- بالطبع. إنَّه واجبك، بكلِّ تأكيدٍ. وما الذي سيفعله السير جون؟

- إنَّه غاضبٌ بشدة على من فعل ذلك، بعد أن دمَّر ممتلكاتِه بهذه الصورة، وأفسد ترتيباتِه على نحوٍ مهينٍ.

بعد لحظة من الصمت، تحرك هوروكس. وقف الكاهن محملقًا إلى حذائه من دون تعبيرٍ، وقد صارت رابطة عنقه في مؤخرة رقبته تقريبًا، على خلاف عادته.

قال هوروكس:

- ظننتُ أنَّ عليَّ إبلاغك، يا سيدي.

قال الكاهن:

- أجل، شكرًا يا هوروكس، أشكرك!

حكَّ مؤخرة رأسِه، وواصل قائلًا:

- ربما يمكنك... أعتقد أنَّ هذه هي أفضل طريقة... هل أنتَ متأكدٌ تمامًا من أنَّ السيد ملاك هو الفاعل؟

- لا يمكن أن يكون شيرلوك هولمز أكثر ثقة، يا سيدي.

- إذَنْ أعتقد أنَّه من الأفضل أن أرسل معك رسالة قصيرة للسير جون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



امتلأ الحديث على مائدة عشاء الكاهن تلك الليلة، بعد أن شرح الملاك موقفَه، بالتفسيرات التي يغلب عليها الكآبة، وأتى على ذكر أشياء مثل السجن والجنون.

قال الكاهن:

- لقد فات الأوان للكشف عن حقيقتِكَ الآن. بالإضافة لهذا، فإنَّ الأمرَ مستحيلٌ. لا أعرف حقًّا ماذا أقول. نحن مضطرون لمواجهة الظروف، حسبما أظنُّ. أنا متردد للغاية، ومشتَّتٌ جدًّا بين عالمين. لو كان عالمك الملائكي حلمًا فحسب، أو لو كان هذا العالم مجرد حلمٍ، أو لو كان بإمكاني أن أصدِّق أحد الحلمين أو كليهما، لصار كلُّ شيء لديَّ على ما يرام. لكن ها هنا ملاك حقيقي، واستدعاء حقيقي، ولا أدري كيف أوفق بينهما. يجب أن أتحدَّث إلى جوتش. لكنَّه لن يفهم. لن يفهم أحدٌ.

- يؤسفني أنَّني أتسبَّب لكَ في متاعب فظيعة، بسذاجتي الرهيبة هذه.

قال الكاهن:

- لستَ أنتَ المشكلة. لستَ أنتَ. أدرك أنَّك جلبتَ إلى حياتي شيئًا غريبًا وجميلًا. لستَ أنتَ المشكلة، بل أنا نفسي. أتمنَّى لو كان لديَّ قدرٌ أكبر من الإيمان بأي من العالمين، أو لو كان بوسعي الإيمان التام بهذا العالم، وأن أطلق عليكَ ظاهرة غير طبيعية، كما يفعل كرامب. لكن لا. العالم الأرضي، عالم الملائكة. عالم الملائكة، العالم الأرضي... أتأرجح بينهما.

ومع ذلك، من المؤكد أنَّ جوتش سوف يتصرف على نحوٍ بغيضٍ للغاية، كما هي عادته. هذا يضعني تحت رحمتِه. أعرف أنَّه قدوة أخلاقية سيئة، فهو يعاقر الخمر ويلعب القمار، وما هو أسوأ من ذلك. ومع ذلك، يجب على المرء أن يعطي ما لقيصر لقيصر. كما أنَّه ضد سحب اعتراف الدولة بالكنيسة.

ثم عاد الكاهن إلى التفكير في الفضيحة الاجتماعية التي وقعت بعد ظهيرة ذلك اليوم. كرَّر قائلًا عدة مراتٍ:

- إنَّ وجودك مهمٌّ أيَّما أهمية، كما تعلم.

توجَّه الملاك إلى غرفتِه متحيرًا، تلفُّه الكآبة بدرجة كبيرة. في كلِّ يومٍ، كان العالم يزداد استياءً منه ومن طباعِه الملائكية. كان بوسعِه رؤية أثر تلك المتاعب على الكاهن، إلَّا أنَّ خياله لم يهده لكيفية تلافيها. بدا كلُّ شيء غريبًا وغير منطقي. وها هو يتعرَّض للطرد من القرية للمرة الثانية.

وجد الكمان مُلقى على فراشِه، حيث كان قد وضعه قبل العشاء. تناوله وشرع يعزف ليواسي نفسه. لكنَّ عزفه الآن لم يصور أي رؤى رائعة من أرض الملائكة، حيث إنَّ قسوة العالم بدأت تخترق روحَه. لم يختبر شيئًا طوال أسبوعٍ، سوى الألم والرفض والشك والكراهية، وشرعت روحٌ جديدة من التمرُّد تنشأ في قلبِه. كان اللحن الذي يعزفه لا يزال عذبًا ورقيقًا كألحان أرض الملائكة، لكنَّه كان مشحونًا بنغمة جديدة، نغمة حزنٍ وكدٍّ إنساني، يتصاعد تارة ليمتلئ بما يشبه التحدي، ويتهاوى تارة أخرى مشحونًا بالحزنٍ والأسى. كان يعزف بهدوءٍ ليواسي نفسه، لكنَّ الكاهن سمعه، فابتلعت كآبة غامضة جميع همومه اللا متناهية، كآبة كانت أبعد ما تكون عن الحزن. وإلى جانب الكاهن، كان هناك مستمعٌ آخر للملاك، لم يطرأ على بال الملاك ولا الكاهن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

ديليا

كانت ديليا على بُعد أربع أو خمس ياردات فقط من الملاك، في غرفة العلية الواقعة أسفل الجملون الغربي. كانت النافذة ذات الألواح الزجاجية المعينة الشكل بغرفتِها البيضاء الصغيرة مفتوحة. جثت على صندوقٍ مصنوعٍ من الصفيح المطلي بالورنيش الأسود، وأسندت ذقنَها على يديها، ومرفقيها على إفريزِ النافذة. تدلَّى الهلال فوق أشجار الصنوبر، وامتدَّ نورُه البارد الشفيف بنعومة على العالم الساكن المستغرق في النوم. سقط ضوؤه على وجهِها الأبيض، كاشفًا أعماقًا جديدة في عينيها الحالمتين. انفرجت شفتاها الناعمتان، وأظهرت أسنانها الصغيرة البيضاء.

استغرقت ديليا في التفكير على نحوٍ غامضٍ ومدهشٍ، كما هي عادة الفتيات. كان ما يعتمل بخاطرها مشاعر أكثر من كونها أفكارًا. سحبٌ من المشاعر الرقيقة الشفيفة عبرت سماء عقلها الصافية، وتجسَّدت في أشكالٍ متغيرة، ثم ما لبثت أن تلاشت. كانت تتسم بكلِّ رقة المشاعر الرائعة، وتلك الرغبة الخفية في التضحية بالنفس التي توجد في قلوب الفتيات لسببٍ مبهم. وعلى ما يبدو، فإنَّ وجود تلك الرغبة يستمر حتى تدهسها قدم متاعب الحياة اليومية القاتمة الفظَّة، ثم تعود لتنزرع مرة ثانية بقسوة وبلا هوادة، كما يزرِع الفلاح البرسيم الذي ينبت في التربة. كانت تتأمَّل ضوءَ القمر الهادئ قبل أن يبدأ الملاك العزف بفترة طويلة، وتنتظر. فجأة، تلوَّن الجمال الساكن الهادئ المغزول من الفضة والظلال، بالموسيقى العذبة.

لم تحرك ساكنًا، لكنَّها أطبقت شفتيها، وازدادتْ نظرتُها رقة. كانت تفكر في البهاء الغريب الذي التمع فجأة محيطًا بذلك الأحدب المحني، حين حادثها عند غروب الشمس، وفي العشرات من النظرات الأخرى، واللفتات التي عن طريق الصدفة، وحتى تلك اللمسة الوحيدة ليدها. كان قد بادلها الحديث بعد ظهيرة ذلك اليوم، ووجَّه لها أسئلة غريبة. وبدا الآن أنَّ الموسيقى ترسم ملامحه أمامها، وهو يطلُّ بنظرتِه المفعمة بالفضول والاهتمام في وجهِها وفي عينيها، وبداخلها حتى أعمق أعماق روحها. بدا الآن وكأنَّه يحادثها مباشرة، ويحكي لها عن وحدتِه ومتاعبِه. أوه! كل ذلك الندم، وذلك الشوق! حيث إنَّه كان واقعًا في المتاعب. وكيف يمكن لخادمة أن تساعد هذا الرجل بالغ اللطف، معسول اللسان، الذي يعزف بكلِّ هذه العذوبة؟ كانت الموسيقى فاتنة للغاية، وثاقبة حتى إنَّها كادت تمسُّ شغاف قلبها. في النهاية، شدَّدت قبضة إحدى يديها على الأخرى، وانسالت الدموع على وجهها.

كما سيقول كرامب، فإنَّ الناس لا يقدمون على مثل تلك الأشياء، ما لم تكن هناك علَّة في جهازِهم العصبي. فالوقوع في الحب من المنظور العلمي، ما هو إلا حالة مرضية.

أنا واعٍ بدرجة مؤلمة بطبيعة حكايتي هنا، والتي قد تثير استهجان البعض. حتى إنَّني فكرتُ في تحريف الحقيقة عن عمدٍ، لاسترضاء القارئات من السيدات، لكنَّني لم أستطع ذلك؛ كانت هذه الحكاية أقوى مني. لذا فأنا أقدم على الأمر وأنا على دراية بما سيستتبع ذلك من مشاكل. يجب أن تظلَّ ديليا كما كانت بالفعل، أي خادمة فحسب. أعرف أنَّ إقدامي على منح مجرد خادمة، أو على الأقل خادمة إنجليزية، مشاعر إنسانية سامية، وتصويرها بوصفها قادرة على الحديث من دون التشوش الذي لا يطاق خلال نطق الأحرف الحلقية، يقصيني خارج زمرة الكُتَّاب المحترمين. إنَّ مخالطة الخدم، ولو بالفكر فحسب، يُعدُّ أمرًا خطيرًا هذه الأيام. لا يمكنني سوى أن أدافع (وإن كان ذلك من دون جدوى، كما أعلم) بأنَّ ديليا كانت خادمة استثنائية للغاية. ربما يجد المرء إذا تقصَّى الأمر أنَّ والديها كانا من

الطبقة المتوسطة العليا، وأنَّها خُلقت من الطين الأرقى لهذه الطبقة. وأتعهد أنَّني سوف أعمل في أحد أعمالي المستقبلية (ربما يعود عليَّ هذا بنفعٍ أكبر) على ضبط التوازن، وسيجد القارئ الصورة النمطية للخادمة: بيدين وقدمين كبيرتين، تنطق الحروف المتحركة لاهثة، وتسقط نطق الحروف الحلقية، وتفتقد لرشاقة القوام (فتيات الطبقة المتوسطة فقط هنَّ من يتمتعن برشاقة القوام، حيث إنَّ ذلك يفوق قدرات أي خادمة)، ولها غرة على جبينها (اتفقت الآراء على هذه الصفة)، ولديها استعدادٌ تامٌّ للتنازل عن احترامها لذاتها مقابل عملة معدنية صغيرة. هذه هي صورة الخادمة الإنجليزية المقبولة، المرأة الإنجليزية النمطية (إذا كانت مجردة من المال أو الإنجازات) كما تظهر في أعمال الكُتَّاب المعاصرين. إلَّا أنَّ ديليا كانت مختلفة بطريقة ما. لكن لا يسعني سوى أن ألوم الظروف، حيث كان الأمر خارجًا عن إرادتي تمامًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الدكتور كرامب يتدخل

في يومٍ مبكرٍ من صباح اليوم التالي، نزل الملاك إلى القرية، وتسلَّق السورَ، وخاض وسط القصب المرتفع إلى خصره والذي يحيط بالمستنقع. كان في طريقِه إلى خليج باندرام كي يرى البحر عن قربٍ، حيث كان يمكن أن يراه المرء في الأيام الصافية فقط، من المناطق الأكثر ارتفاعًا في حديقة سيدرمورتون. فجأة، التقى بكرامب وهو جالسٌ يدخن على جذع شجرة. (كان من عادة كرامب دومًا تدخين أوقيتين بالضبط أسبوعيًّا، ودومًا ما كان يدخن في الهواء الطلق).

قال كرامب بحيوية:

- مرحى! كيف حال جناحك؟

أجابه الملاك:

- جيِّدٌ للغاية. لقد زال الألم.

- هل تعلم أنَّك تتعدَّى على ممتلكات الغير؟

قال الملاك:

- أتعدَّى؟!

قال كرامب:

- ألا تعرف معنى ذلك؟

قال الملاك:

- لا، لا أعرف.

- عليَّ أن أهنئك. لا أعرف إلى أي مدى سوف تستمر في الادعاء، لكنَّك تواصل ذلك ببراعة. ظننتُكَ في بادئ الأمر مصابًا بالذهان، لكنَّك متسقٌ بشكلٍ مدهشٍ. إنَّ تظاهرك بالجهل التام بالحقائق الأساسية للحياة مسلٍّ للغاية. لقد وقعت في بعض الزلَّات بالطبع، لكنَّها محدودة للغاية. لكن لا شكَّ أنَّ كلينا يفهم الآخر جيدًا.

وجَّه ابتسامة للملاك، وواصل قائلًا:

- كنت ستتفوق على شيرلوك هولمز نفسه. أتساءل عمن تكون حقًّا.

بادله الملاك الابتسام رافعًا حاجبيه، ومدَّ يديه أمامه قائلًا:

- من المستحيل بالنسبة لكَ أن تعرف من أكون. عيناك عاجزتان عن الرؤية، وأذناك عاجزتان عن السمع، وروحك مظلمة، لا تدرك أي شيء مما أتميز به من العجائب. لا جدوى من محاولة إخبارك أنَّني سقطتُ إلى عالمك.

لوَّح الطبيب بغليونه قائلًا:

- دعك من تلك الحكاية، رجاء. لا أرغب في التطفُّل إذا كانت لديك أسبابك التي تدعوك

للتخفي. كلُّ ما أريده منك هو أن تفكر في صحة هيليار العقلية؛ فهو يصدق هذه الحكاية بالفعل.

هزَّ الملاك جناحيه اللذين أخذا يضمران.

واصل الطبيب قائلًا:

- أنت لم تعرفه قبل هذا الموضوع. لقد تغيَّر بدرجة كبيرة. كان أنيقًا فيما مضى، وينعم بالراحة. طوال الأسبوعين الماضيين، بدا مشوَّشًا، وفي عينيه نظرة شاردة. كما وقف يقدم العظة يوم الأحد الماضي من دون أزرار أكمامه، ورابطة عنقه غير معقودة بإحكامٍ، واختار قراءة «ما لم ترَ عينٌ ولم تسمع أذنٌ». إنَّه يؤمن حقًّا بكلِّ هذا الهُراء بخصوص أرض الملائكة. إنَّ الرجلَ على شفا الإصابة بالهوس الأحادي!

قال الملاك:

- أنتَ ترى الأشياءَ من وجهة نظرك الخاصَّة.

- هذا ما يجب أن يفعله الجميع. على أي حال، أعتقد أنَّه من المؤسف للغاية رؤية هذا الرجل المسكين في حالة تشبه المُنوَّم مغناطيسيًّا، حيث إنَّك لا بُدَّ وأن تكون قد نوَّمته مغناطيسيًّا. لا أعرف من أين أتيتَ، ولا من تكون، لكنَّني أحذِّرك من أنَّني لن أقف مكتوف الأيدي وأنا أرى ذلك الصديق القديم يتعرَّض للخداع أكثر من ذلك.

- لكنَّه لا يتعرَّض للخداع. كلُّ ما في الأمر هو أنَّه بدأ يحلم بعالمٍ خارج نطاق معرفته...

قال كرامب:

- لن تفلح في هذا. أنا لستُ من فئة المغفَّلين. ما أنتَ سوى واحدٍ من الاثنين: إمَّا مجنونٌ طليقٌ (وهو ما لا أصدقه)، أو محتالٌ. لا يوجد أي احتمال آخر. أعتقد أنَّني أعرف القليل عن هذا العالم، بصرف النظر عمَّا أعرفه عن عالمك أنتَ. حسنًا، إذَنْ؛ إذا لم تدع هيليار وشأنه، فسوف أتصل بالشرطة، وسأدخلك السجن إذا تراجعت عن قصتك، أو المصحة العقلية إذا لم تتراجع عنها. قد يكون في الأمر مبالغة، لكنني أقسم إنَّني على استعدادٍ للشهادة غدًا أنَّك مجنونٌ، لإخراجِكَ من القرية. ليس الكاهن وحده هو المسؤول هنا، كما تعلم. أتمنى أن يكون ذلك واضحًا لك. والآن، ماذا لديكَ لتقوله؟

ثم أخرج الطبيب مدية، وافتعل الهدوء الشديد وهو يحفر بها في وعاء غليونه. كان غليونه قد انطفأ خلال خطابه الأخير ذاك.

للحظة، لم ينبس أحدهما بكلمة. تلفَّت الملاك حوله بوجهٍ شاحبٍ، بينما استخرج الطبيب كتلة من التبغ من غليونه، وألقاها بعيدًا، ثم أغمد المدية وأعادها إلى جيب صدرتِه. لم يكن قد تعمَّد الحديث بمثلِ هذا الحزم، لكن إلقاء الخطب دومًا ما كان يلهب حماسته.

قال الملاك:

- السجن! المصحة العقلية! دعني أفكر.

ثم تذكر توضيح الكاهن، وقال:

- لا، ليس هذا!

اقترب بعدها من كرامب بعينين متسعتين ويدين ممدودتين.

أشار كرامب بحركة من رأسِه إلى جذع شجرة مجاور له، وقال:

- كنتُ أعلم أنَّك سوف تعرف معنى تلك الأشياء، على أي حالٍ، اجلس.

جلس الملاك مرتعدًا على جذع الشجرة، وحدَّق إلى الطبيب.

كان كرامب يخرج كيسًا من جيبِه.

خاطبه الملاك قائلًا:

- أنتَ رجلٌ غريبٌ. معتقداتك راسخة تمامًا.

قال كرامب وهو يشعر بالإطراء:

- إنَّها كذلك بالفعل.

- لكنَّني أؤكد لكَ، أؤكد لكَ أنَّ الأمر كما أقول. فأنا لا أعرف شيئًا، أو على الأقل لا أتذكر شيئًا عن أي شيء كنت أعرفه عن هذا العالم، قبل أن أجد نفسي وسط ظلام الليل عند المستنقع أعلى سيدرفورد.

- أين تعلمت اللغة إذَنْ؟

- لا أدري. أنا أؤكد لكَ فحسب، لكن ليست لدي ولو ذرة من هذا النوع من الأدلة التي يمكن أن تنجح في إقناعك.

قال كرامب وهو يلتفت نحوه فجأة، ناظرًا في عينيه:

- وهل تؤمن حقًّا أنَّكَ كنت مخلَّدًا في جنة رائعة قبل ذلك الحين؟

قال الملاك:

- أجل، أؤمن بذلك.

أشعل كرامب غليونَه، وقال:

- هُراء!

جلس لبعض الوقت وهو يدخن، مسندًا مرفقه على ركبته، بينما جلس الملاك وهو يراقبه. ثم بدت ملامحه أكثر هدوءًا.

قال محادثًا نفسه، أكثر منه الملاك:

- هذا محتملٌ.

ثم عاد للصمت مرة أخرى.

قال في النهاية:

- اسمع، هناك ما يُسمَّى ازدواج الشخصية. أحيانًا ما ينسى المرء هويتَه، ويعتقد أنَّه شخصٌ آخر. لذا فهو يرحل تاركًا منزله وأصدقاءه وكلَّ شيء، ويعيش حياة مزدوجة. كانت هناك حالة شبيهة في مجلة «نيتشر» قبل شهرٍ فقط، أو نحو ذلك. كان الرجل يتناوب بين كونه إنجليزيًّا أيمن أحيانًا، وويلزيًّا أعسر أحيانًا أخرى. وفي الأوقات التي يكون فيها إنجليزيًّا، فهو لا يعرف اللغة الويلزية، وحينما يكون ويلزيًّا، فهو لا يعرف اللغة الإنجليزية.

التفت إلى الملاك فجأة قائلًا:

- المنزل!

حيث تخيَّل أنَّه قد يثير في الملاك ذكرى ما كامنة عن شبابِه الضائع. واصل قائلًا:

- بابا، أبي، والدي، الأب، أمي، أماه، ماما، والدتي العزيزة، أليس لذلك جدوى؟ لمَ تضحك؟

قال الملاك:

- لا شيء. لقد فاجأتني بعض الشيء، هذا هو كلُّ ما في الأمر. كانت هذه الكلمات ستصيبني بالحيرة قبل أسبوعٍ مضى.

للحظة، تأمَّل كرامب الملاكَ من طرف عينه بلومٍ، قال:

- ملامحك في غاية البراءة، حتى إنَّك تكاد تجبرني على تصديقك. أنتَ بالقطع لستَ مجنونًا عاديًّا. يبدو عقلك متزنًا بما فيه الكفاية، باستثناء انفصالِكَ عن الماضي. أتمنَّى لو أمكن أن يفحصك نورداو أو لومبروسو، أو أحد أطباء مصحة سالبترييز. في هذه الأرجاء، لا تسنح للمرء أي فرصة تستحق الذكر للتدرب على التعامل مع الحالات العقلية. هناك معتوهٌ واحدٌ، وهو مجرد أحمق لعين أبله. أما الباقي، فهم عقلاء تمامًا.

تفكَّر الملاك قائلًا:

- ربما كان ذلك هو السبب وراء سلوكهم.

تجاهل كرامب تعليقه قائلًا:

- لكن بالنظر لموقفكَ العام هنا، فأنا حقًّا أعتبرك ذا تأثيرٍ سيئ على الآخرين في هذه الأرجاء؛ إنَّ هذه الأوهام معدية، ليس الكاهن فحسب هو من تأثَّر، هناك رجلٌ اسمه شاين أصابته العدوى، وقد ظلَّ طوال الأسبوع يعاقر الخمر ويستفيق ليثمل مجددًا، وهو مصمم على قتال أي شخص يقول إنَّك لست ملاكًا. ثم إنَّ هناك رجلًا في سيدرفورد، كما بلغني، مصابٌ بنوعٍ من الهوس الديني الذي يتخذ نفسَ الاتجاه. إنَّ هذه الأشياء تنتشر. يجب أن يكون هناك حجرٌ لعزل الأفكار المؤذية. كما أنني سمعت حكاية أخرى…

قال الملاك:

- لكن ما الذي يمكنني أن أفعله؟ لنفترض أنَّني (ومن دون قصدٍ) أتسبَّب في الضرر…

أجابه كرامب:

- بوسعِكَ الرحيل عن القرية.

- لكنَّني سوف أذهب إلى قرية أخرى وحسب.

قال كرامب:

- هذا ليس شأني. اذهب حيثما شئتَ، المهم أن ترحل. اترك هؤلاء الثلاثة، الكاهن، وشاين، والخادمة الصغيرة، الذين تدور في عقولِهم حشودٌ من الأفكار حول الملائكة.

قال الملاك:

- لكن… سأواجه عالمكم! لا أستطيع ذلك. وأترك ديليا! لا أفهم… لا أعرف كيف يمكنني

العثور على عملٍ، وطعامٍ، ومأوى. لقد بدأتُ أشعر بالخوف من البشر...

قال كرامب وهو يراقبه:

- خيالات وهلاوس وجنون.

ثم واصل فجأة قائلًا:

- لا جدوى من استمراري في إزعاجِكَ، لكن بالقطع فإنَّ إبقاء الوضع كما هو عليه الآن مستحيلٌ.

هبَّ واقفًا، وواصل قائلًا:

- طاب صباحُكَ، يا سيد ملاك. مختصر الأمر هو -وأنا أقول هذا بوصفي المستشار الصحي لهذه الأبرشية- أنَّك تمثِّل تأثيرًا سلبيًّا. ولا يمكن إبقاؤك هنا. لذا عليكَ الرحيل.

استدار كرامب، ومضى بخطى واسعة وسط العشب متوجهًا ناحية الطريق، وترك الملاك جالسًا بحزنٍ على جذع الشجرة.

قال الملاك ببطءٍ، محدقًا إلى الأمام بنظرة خاوية، وهو يحاول فهم ما تعنيه العبارة:

- تأثيرًا سلبيًّا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



تدخُّل السير جون جوتش

كان السير جون جوتش رجلًا ضئيلَ الحجم، له شعرٌ قصيرٌ وأنفٌ صغيرٌ رفيعٌ يبرز من وجه مغطَّى بالتجاعيد، يرتدي جراميق ضيقة بنية اللون، ويحمل سوطًا للخيل.

قال بينما السيدة هينيجر تغلق الباب:

- ها قد أتيت، كما ترى.

قال الكاهن:

- أشكرك، أنا ممتنٌّ لكَ. ممتنٌّ حقًّا.

قال السير جون جوتش بغلظة:

- يسعدني أن أكون في خدمتِكَ.

قال الكاهن:

- هذا الأمر... هذا الأمر المؤسف المتعلِّق بالسلك الشائك، هو في الحقيقة كما تعلم، موضوعٌ مثيرٌ للأسف لأقصى حدٍّ.

ازداد سلوك السير جون جوتش غلظة على نحوٍ واضحٍ، وقال:

- أجل، إنَّه كذلك بالفعل.

- حيث إنَّ السيد ملاك ضيفي...

قال السير جون جوتش باقتضابٍ:

- لا يوجد سببٌ يدعوه لقطع السلك الخاص بي.

- لا يوجد أيُّ سببٍ على الإطلاق.

قال السير جون جوتش بفظاظة ناتجة عن سبق تفكيره في الأمر لفترة طويلة:

- هل لي أن أسأل من يكون السيد ملاك هذا؟

ارتفعت أصابع الكاهن نحو ذقنِه؛ ما جدوى الحديث عن الملائكة مع شخصٍ مثل السير جون جوتش؟

قال الكاهن:

- لأصدقك القول تمامًا، في الأمر سرٌّ صغيرٌ...

- أخبرتني الليدي هامرجالو الشيء ذاته.

تحوَّل وجه الكاهن فجأة للون أحمر قانٍ.

واصل السير جون الحديث من دون أن يتوقف ولو للحظة:

- هل تعلم أنَّه يتجوَّل في أرجاء القرية، مروجًا للاشتراكية؟

قال الكاهن:

- يا إلهي! لا!

- بل إنَّه يفعل ذلك. إنَّه يستوقف كلَّ قروي أخرق يلتقيه ويسأله لمَ يتعين عليه العمل، بينما نبقى نحن -أنا وأنت- دون أن نعمل شيئًا. ويخبرهم أنَّه من الواجب أن يحصل الجميع على قسطٍ من التعليم يعادل مستواك ومستواي، من الضرائب التي ندفعها على ما أظن، كما هي العادة. وهو يقول إنَّنا -أنا وأنت- نقمع هؤلاء الناس، وننتزع أدمغتهم.

قال الكاهن:

- يا إلهي! لم تكن لديَّ أدنى فكرة!

- أؤكد لك أنَّه قطع ذلك السلك على سبيل الاستعراض، استعراض للاشتراكية. وأؤكد لك أنَّنا لو لم نتعامل معه بمنتهى الحزم، فسوف تزال الحواجز في طريق فليندرز بعد ذلك، وبعدها ستُضرم النيران في بالات القشِّ، وستُحطم كل بيضة لعينة... (أستميحك عذرًا، يا نيافة الكاهن. أعرف أنني أفرط في استخدام تلك الكلمة). وستُحطم كل بيضة طائر مباركة في الأبرشية. أنا أعرف هؤلاء...

قال الكاهن بانزعاجٍ شديدٍ:

- اشتراكي. لم تكن لديَّ أدنى فكرة.

- هل ترى الآن لمَ أرغب في تصعيد الأمور ضد ذلك الرجل، على الرغم من كونه ضيفك؟ يبدو لي أنَّه يستغل أبوتك...

قال الكاهن:

- أوه! أبوَّة! ليس الأمر كذلك، حقًّا!

- (معذرة، يا نيافة الكاهن، كانت زلة مني). إنَّه يستغل لطفك ليتمكَّن من إثارة المتاعب في كل الأرجاء، وتأليب الطبقات بعضها ضد بعض، وتحريض الفقراء ضد سُبل معيشتهم.

شرع الكاهن يعبث في ذقنه مرة أخرى.

واصل السير جون جوتش قائلًا:

- لذا، ليس هناك سوى حلٍّ من اثنين. إمَّا أن يرحل ضيفك هذا عن الأبرشية، وإما أن أتخذ أنا الإجراءات ضده. وهذا هو رأيي النهائي.

لوى الكاهن فمه.

قال السير جون وهو يهب واقفًا:

- هذا هو موقفي. ولولاك أنتَ، لاتخذت الإجراءات اللازمة ضده على الفور. بالنظر لطبيعة الحال، هل عليَّ الشروع في اتخاذ ما يلزم من إجراءات، أم لا؟

قال الكاهن وهو مرتبكٌ أيما ارتباك:

- كما ترى...

- حسنًا؟

- يجب القيام ببعض الترتيبات.

- إنَّه عديم النفع، يثير المتاعب. أعرف أمثاله. لكنني سأمهلك أسبوعًا واحدًا.

قال الكاهن:

- أشكرك. أنا أتفهَّم موقفك. وأدرك أنَّ الوضع أصبح لا يطاق.

قال السير جون:

- أعتذر لإزعاجك هكذا، بالطبع.

قال الكاهن:

- أسبوعًا.

قال السير جون وهو يرحل:

- أسبوعًا.

عاد الكاهن بعد أن رافق السير جون حتى الباب، وظلَّ جالسًا لفترة طويلة إلى مكتبِه وهو غارقٌ في التفكير. قال بعد فترة طويلة من الصمت:

- أسبوع! ها هو الملاك، الملاك الرائع الذي فتح في روحي نوافذ على الجمال والبهجة، الذي فتح عيني على أرض العجائب، وما هو أكثر من أرض العجائب. وقد وعدتُ بالتخلُّص منه في غضون أسبوع! مما خُلقنا، نحن البشر؟ وكيف يمكنني إخباره بالأمر؟

شرع يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، ثم توجه إلى غرفة الطعام، ووقف يحدِّق إلى حقل الذرة، بوجهٍ خالٍ من أي تعبير. كانت المائدة مُعدَّة بالفعل من أجل الغداء. استدار بعد فترة وهو لا يزال شاردًا، وأعدَّ لنفسِه كأسًا من الشيري بصورة تكاد تكون آلية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الجرف البحري

استلقى الملاكُ على قمة الجرف المطل على خليج باندرام، محدِّقًا إلى البحر المتلألئ. انحدر الجرف أسفل مرفقيه لمسافة خمسمائة وسبعة أقدام، وحامت الطيور البحرية وحلَّقت تحته. كان الجزء العلوي من الجرف حجرًا جيريًّا مائلًا للون الأخضر أمَّا ثلثا الجرف السفليَّان فكان يغلب عليهما اللون الأحمر الدافئ، المجزع بخطوطٍ من الجص. اندفعت من ستة مواضع مختلفة دفقاتٌ من المياه، لتسقط في شلالاتٍ طويلة أسفل واجهة الجرف. اصطدم الموج بالشاطئ الصخري، مكوِّنًا زبدًا أبيض، وعلى مبعدة حيث امتدَّت ظلال صخرة ضخمة، تلوَّنت المياه بدرجاتٍ كثيرة من الأخضر والأرجواني، وعلتها خطوطٌ وبقعٌ من الزبد. انتشرت أشعة الشمس في الأرجاء، وتعالت رقرقة مياه الشلالات الصغيرة، وهدير البحر الخافت في الأسفل. بين حينٍ وآخر، كانت فراشة ترفرف قرب واجهة الجرف، وحطَّت أعدادٌ كبيرةٌ من الطيور البحرية على الجرف، وطارت هنا وهناك.

استلقى الملاك بجناحيه العاجزين الضامرين على ظهرِه كالحدب، وهو يراقب النوارس والغربان التي تدور في ضوء الشمس، وتحلِّق وتلفُّ وتنقضُّ للأسفل نحو الماء، أو ترتفع للأعلى نحو زرقة السماء الباهرة. استلقى الملاك هناك طويلًا وراقبهم وهم يروحون جيئة وذهابًا، بأجنحة ممدودة. وبينما هو يراقبهم، تذكر بحنينٍ لا متناه الأنهار الجارية بضوء النجوم، وعذوبة الأرض التي أتى منها. جاء نورس محلقًا فوقه، بسرعة ويسرٍ، ناشرًا جناحيه العريضين ببياضهما الشاهق عبر الزرقة. فجأة، سقط ظلُّه على عيني الملاك حاجبًا عنه الشمس، وفكر في جناحيه العاجزين، فأسند وجهه على ذراعه وأجهش بالبكاء.

كانت هناك امرأة تسير عبر ممرٍّ على الجرف، لم ترَ سوى أحدب منحنٍ يرتدي ملابس كاهن سيدرمورتون القديمة، وقد استلقى بحماقة عند حافة الجرف، وجبهته مسندة على ذراعه. تأمَّلته، ودقَّقت النظر، ثم قالت:

- لقد خلد ذلك الكائن الأحمق إلى النوم.

وعلى الرغم من أنَّها كانت تحمل سلة ثقيلة، إلَّا أنَّها توجَّهت نحوه وهي تنتوي إيقاظه. لكن ما إن اقتربت منه، حتى رأت أكتافه تهتزُّ وسمعت نحيبه.

وقفت ساكنة لمدة دقيقة، وتجهمت ملامحها. ثم خطت بهدوءٍ واستدارت عائدة نحو الممر، قالت:

- من الصعب جدًّا التفكير في أي شيء لأقوله. يا للمسكين المعذب!

ما لبث الملاك أن توقف عن النحيب، وحدَّق في الشاطئ بالأسفل بوجهٍ ملطَّخ بالدموع. قال:

- هذا العالم يقيدني ويبتلعني. لقد ضمر جناحاي وصارا بلا جدوى. وعن قريبٍ، سأصبح مجرد رجلٍ بشري عاجز، وسوف أشيخ، وأنحني أمام الألم، وأموت؛ أنا بائسٌ، ووحيدٌ.

ثم أسند ذقنه على يديه على حافة الجرف، وأخذ يفكر في وجه ديليا، والضوء منعكس في عينيها. أحسَّ الملاك برغبة غريبة في الذهاب إليها، كي يخبرها عن جناحيه الذاويين، كي يحيطها بذراعيه، ويبكي الأرض التي فقدها. خاطب نفسه بنبرة خفيضة للغاية قائلًا:

- ديليا.

وما لبثت سحابة أن أتت وحجبت الشمس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



السيدة هينيجر تتدخل

فاجأت السيدة هينيجر الكاهن وهي تطرق على باب غرفة مكتبِه بعد أن تناول الشاي.

قالت السيدة هينيجر:

- أستميحك عذرًا يا سيدي، هل لي أن أتجرَّأ وأطلب الحديثَ معك للحظة؟

قال الكاهن وهو لا يكاد يتخيَّل الضربة القادمة:

- بالتأكيد، يا سيدة هينيجر.

كان يحمل في يدِه خطابًا غريبًا ومزعجًا للغاية من الأسقف، وقد أثارت الرسالة ضيقه وأوجعته، لانتقادِها بلغة لاذعة نوعية الأشخاص الذين يختار استضافتهم في منزلِه. لم يكن من الممكن أن يكتب أسقف مثل ذلك الخطاب، إلَّا إذا كان يحظى بشعبية ويحيا في عصرٍ ديموقراطي، ولا يزال يحمل خصال العامل في المجال التربوي إلى حدٍّ ما.

سعلت السيدة هينيجر خلف كفِّها، وعانت للسيطرة على اضطراب أنفاسها. أحسَّ الكاهن بالقلق، حيث إنَّه عادة كان هو من يشعر بالارتباك خلال لقاءاتهما، خاصة عند انتهاء المقابلة. قال:

- حسنًا؟

سعلت وهي تقول:

- هل لي أن أتجرَّأ يا سيدي، وأسأل عن موعد رحيل السيد ملاك؟

فوجئ الكاهن. كرَّر قولَها ببطءٍ لكسب الوقت، وقال:

- السؤال عن موعد رحيل السيد ملاك؟ أنتِ أيضًا؟

- معذرة يا سيدي، لكنني اعتدت خدمة علية القوم يا سيدي. ولن تتخيل شعوري وأنا أخدم أمثاله!

- أمثاله؟ هل أفهم من ذلك، يا سيدة هينيجر، أنَّ السيد ملاك لا يروق لكِ؟

- انظر يا سيدي، قبل مجيئي إليكَ يا سيدي، عملتُ في خدمة اللورد داندولر طوال سبعة عشر عامًا. وأنتَ نفسك يا سيدي -إذا سمحتَ لي بالقول- رجلٌ فاضلٌ، رغم عملك في الكنيسة، وبعد ذلك...

قال الكاهن:

- يا إلهي! ألا تعدين السيد ملاك رجلًا فاضلًا؟

- يؤسفني أن أضطرَّ لقول ذلك، يا سيدي.

- لكن ما الذي...؟ رباه! حقًّا!

- يؤسفني قول ذلك، يا سيدي. لكن عندما يقرر أحدهم فجأة أن يصير نباتيًّا، ويلقي جميع

ما تمَّ طهوه من طعامٍ، ولا يمتلك أي أمتعة شخصية، ويستعير القمصان والجوارب من مضيفه، ولا يعرف كيف يتناول الطعام بطريقة لائقة، حتى إنَّه حاول قطع حبات البازلاء بالسكين (كما رأيتُ بعيني)، ويتبادل الحديث مع الخادمات في أماكن غريبة، ويطوي منديله بعد الانتهاء من تناول الوجبات، ويأكل لحم العجل المفروم بأصابعه، ويعزف الكمان في منتصف الليل فيقلق الجميع ويبقيهم مستيقظين، ويحدِّق بابتسامة واسعة إلى مَن يكبرونه سنًّا بينما يصعدون الدرج، ويسيء التصرف بصفة عامة في أشياء لا يسعني ذكرها كلها لك، حينها لا يسع المرء سوى أن يفكر في الأمر يا سيدي. فحرية التفكير من حق الجميع، يا سيدي، ولا يسع المرء إلَّا أن يتوصل لاستنتاجاته الخاصة. وإلى جانب ذلك، فإنَّ الأحاديث تدور حوله في جميع أرجاء القرية، بخصوص شيء أو آخر. يمكنني تمييز الرجل الفاضل حين أراه، كما يمكنني التمييز حينما لا يكون الشخص الماثل أمامي رجلًا فاضلًا. وقد تحدثت أنا وسوزان وجورج في الأمر، بوصفنا كبار الخدم ذوي الخبرة، إن جاز التعبير، واستبعدنا رأي تلك الفتاة، ديليا، التي آمل فقط ألَّا يصيبها أي ضررٍ عن طريقه. ثق تمامًا يا سيدي، أنَّ السيد ملاك ليس كما تظنُّه يا سيدي. وكلما سارع بالرحيل عن هذا المنزل، كان أفضل.

توقفت السيدة هينيجر عن الحديث فجأة، ووقفت لاهثة، لكنَّها ظلَّت صارمة وعيناها مثبتتان بحزمٍ على وجه الكاهن.

قال الكاهن:

- حقًّا، يا سيدة هينيجر! يا إلهي!

وقف الكاهن فجأة، وقال مناشدًا الأقدار العنيدة:

- ما الذي اقترفته؟ ما الذي اقترفته؟

قالت السيدة هينيجر:

- لا يمكن الجزم بشيءٍ، لكنَّ هناك الكثيرَ من الأقاويل التي تسري في القرية.

قال الكاهن:

- تبًّا!

توجَّه إلى النافذة وألقى نظرة منها، ثم استدار قائلًا:

- اسمعي، يا سيدة هينيجر. سوف يغادر السيد ملاك هذا المنزل في غضون أسبوعٍ، هل هذا كافٍ؟

قالت السيدة هينيجر:

- كافٍ تمامًا، يا سيدي. وأنا على ثقة يا سيدي...

وقعت عينا الكاهن على الباب، وتعلَّقتا به بنظرة بليغة على نحوٍ يفوق المعتاد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


فريق
متميزون
E-BOOK

الملاك في ورطة

قال الكاهن:

- الحقيقة هي أنَّ هذا العالم ليس مكانًا ملائمًا للملائكة.

لم تكن الستائر قد أُسدلت بعد، وبدا العالم الخارجي وقت الشفق تحت سماءٍ ملبَّدة بالغيوم رماديًّا وباردًا بدرجة تفوق الوصف. جلس الملاك إلى الطاولة في صمتٍ بائسٍ. كان قد تمَّ الإعلان عن حتمية رحيلِه، وحيث إنَّ وجودَه أضرَّ بالناس وأتعس الكاهن، فقد أذعن لعدالة ذلك القرار. إلَّا أنَّه لم يستطع أن يتخيَّل ما الذي سوف يحدث له بعدها. بالتأكيد تنتظره أشياءٌ مزعجة للغاية.

قال الكاهن:

- لديكَ الكمان. لكن بعد التجربة التي خضناها... عليَّ شراء الملابس لك... تجهيزات شاملة. يا إلهي! أنتَ لا تفهم طريقة السفر بالسكة الحديد، ولا تعرف العملات، ولا كيفية تأجير مسكنٍ، ولا تعرف المطاعم! عليَّ الذهاب معك على الأقل حتى أطمئن لاستقرار أمورك، وأعثر لكَ على عملٍ. لكن، ملاك في لندن! يعمل لكسب عيشه! في تلك البرية الرمادية الباردة وسط البشر! ماذا سيحلُّ بك؟ ليتني كان لي صديقٌ واحدٌ فحسب في هذا العالم، يمكنني أن أثق أنَّه سيصدقني! لا يجب أن أطلب منك الرحيل...

قال الملاك:

- لا تشغل بالك بي، يا صديقي. على الأقل فإنَّ حياتكم هذه لها نهاية. وهناك أشياءٌ بها... هناك شيءٌ ما في حياتكم هذه... أنت تهتم لشأني! كنتُ أعتقد أنَّه لا يوجد أي جمال على الإطلاق في هذه الحياة...

قال الكاهن وقد داهمته نوبة مفاجئة من الندم:

- كما أنني خنتك! لماذا لم أواجه الجميع قائلًا: «هذا هو أجمل ما في الحياة»؟ ما أهمية أمور الحياة اليومية هذه؟

توقف عن الحديث فجأة، ثم واصل قائلًا:

- ما أهميتها حقًّا؟

قال الملاك:

- لم أدخل حياتك إلَّا لأجلبَ لكَ المتاعب.

قال الكاهن:

- لا تقل ذلك. لقد جئتَ إلى حياتي كي توقظني. لقد كنتُ أحلم، وأستغرق في الأحلام. أحلم بأنَّ هذا الأمر أو ذاك ضروريٌّ. أحلم بأنَّ هذا السجن الضيق هو العالم. ولا زال هذا الحلم يحيط بي، ويزعجني. هذا هو كلُّ ما في الأمر. حتى رحيلك... أليست ضرورة رحيلك حلمًا يراودني؟

عندما آوى الكاهن لفراشِه تلك الليلة، تبدَّى له الطابع الروحاني للوضع بقوة أكبر. استلقى

في الفراش متيقظًا، وراوحته أفظع الرؤى وزائره اللطيف الرقيق يتجوَّل عبر هذا العالم الذي لا يرحم، ويلاقي أقسى العوارض. كان ضيفه ملاكًا، بكلِّ تأكيدٍ. حاول استرجاع أحداث الأيام الثمانية الماضية بأكملِها مرة أخرى. فكر في عصر ذلك اليوم الحار، والطلقة التي أطلقها من فرط المفاجأة، ورفرفة الجناحين بألوانهما المتعددة، وذلك الكائن الجميل الملقى أرضًا، بردائه الذي بلون الزعفران. كم بدا له ذلك رائعًا! ثم تحوَّلت أفكاره إلى الأشياء التي سمعها عن ذلك العالم الآخر، إلى الأحلام التي استحضرها الكمان، وإلى المدن الغامضة المتقلبة والرائعة في أرض الملائكة. حاول أن يتذكر منظر الأبنية، وشكل الثمار على الشجر، وهيئة الأشكال المجنحة المنتشرة وسط تلك المدن. تحوَّلت تلك الأفكار من مجرد ذكرى إلى واقعٍ حاضر، وظلَّت تزداد وضوحًا وجلاءً مع كل لحظة تمرُّ، بينما أخذت متاعبه تبدو أقل إلحاحًا، وهكذا انسلَّ الكاهن بنعومة وهدوءٍ من متاعبه وحيرته، إلى أرض الأحلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



جلستْ ديليا ونافذتها مفتوحة، آملة أن تسمع عزف الملاك؛ لكن لم يكن هناك أيّ عزفٍ في تلك الليلة. كانت السماء ملبَّدة بالغيوم، لكن ليست بدرجة كثيفة، بحيث ظلَّ القمر ظاهرًا. مرَّت سحابة كالدانتيلا عاليًا في السماء، وصار القمر بقعة غائمة من الضوء، ثم أعتم، قبل أن يعود صافيًا وساطعًا وحدوده ظاهرة بجلاءٍ وسط فضاء الليل الأزرق. ما لبثت أن سمعت الباب المؤدي إلى الحديقة وهو ينفتح، وخرج شخصٌ تحت ضوء القمر الشاحب.

كان الملاك، إلَّا أنَّه كان يرتدي ثوبَه الذي بلون الزعفران مرَّة أخرى، بدلًا من معطفِه الذي لم يكن يلائمه. في ذلك الضوء الغامض، لم يبدُ للثوب سوى بريقٍ عديمِ اللون، وبدا جناحاه من خلفه بلون رمادي مثل الرصاص. شرع يركض لمسافات قصيرة، ويرفرف بجناحيه ويقفز، ويروح جيئة وذهابًا وسط بقع الضوء السارحة وظلال الأشجار. راقبته ديليا بدهشة. أطلق صيحة يائسة، وهو يقفز لارتفاع أعلى. أصدر جناحاه الذاويانِ وميضًا، ثم انخفضا مرة أخرى. ازدادت كثافة غلالة السحب، فأضفت غموضًا أكبر على كلِّ شيءٍ. بدا أنَّه قفز مسافة خمسة أو ستة أقدامٍ من الأرض، ثم سقط على نحوٍ أخرق. رأته جاثمًا على الأرض وسط العتمة، ثم سمعته ينتحب.

حدَّقت ديليا إليه وهي تزمُّ شفتيها بقوة، وقالت:

- إنَّه مصابٌ! يجب أن أساعده.

تردَّدت، ثم وقفتْ واندفعتْ مسرعة نحو الباب، وتسلَّلت هابطة الدرج بهدوءٍ، وخرجت تحت ضوء القمر. كان الملاك لا يزال مستلقيًا على العشب، وينتحب ببؤسٍ شديدٍ.

قالت ديليا وهي تنحني فوقه وتلمس رأسَه بخجلٍ:

- أوه! ما الخطب؟

توقَّف الملاك عن البكاء، واعتدل جالسًا فجأة، وحدَّق فيها. رأى وجهها الذي أناره القمر، وقد لانت ملامحها من الشفقة.

همست قائلة:

- ما الخطب؟ هل أنت مصابٌ؟

حدَّق الملاك فيمن حوله، ثم استقرَّت عيناه على وجهها. همس قائلًا:

- ديليا!

كرَّرت ديليا قائلة:

- هل أنتَ مصابٌ؟

أجاب الملاك:

- جناحاي. لا يمكنني استخدام جناحاي.

لم تفهم ديليا الأمر، لكنَّها أدركت أنَّه لا بُدَّ وأن يكون شيئًا مروعًا للغاية.

همس الملاك:

- الجو مظلمٌ وباردٌ، ولا يمكنني استخدام جناحاي.

أحسَّت بالألم لسببٍ مجهولٍ وهي ترى الدموع تسيل على وجهه، ولم تعرف ما الذي يتعيَّن عليها فعله.

قال الملاك مادًّا ذراعيه نحوها فجأة:

- فلتشفقي عليَّ، يا ديليا. اشفقي علي.

اندفعت لتجثو بجواره، وأحاطت وجهَه بكفَّيها. قالت:

- لا أدري ما الخطب، لكنَّني أشعر بالأسى. أشعر بالأسى من أجلِكَ، من أعماق قلبي.

لم ينبس الملاك بكلمة. كان يتأمَّل وجهها الصغير تحت ضوء القمر، وفي عينيه تعبيرٌ من التعجُّب والانبهار.

قال:

- يا لَغرابة هذا العالم!

سحبت يديها فجأة، ومرَّت سحابة أمام القمر.

همستْ قائلة:

- ما الذي يمكنني أن أفعله لمساعدتك؟ سأفعل أي شيء كي أساعدك.

ظلَّ ممسكًا بها بذراعين ممدودتين، وحلَّت الحيرة محل البؤس على ملامحِه، كرَّر قائلًا:

- ما أغرب هذا العالم!

تهامس كلاهما، وهي تجثو على ركبتيها بينما هو جالسٌ، تحت ضوء القمر والظلال المتقلبة في الحديقة.

قالت السيدة هينيجر وقد برزت فجأة من نافذتها:

- ديليا! ديليا، أهذا أنتِ؟

نظر كلاهما إليها في ذعرٍ.

قالت السيدة هينيجر:

- ادخلي في الحال، يا ديليا. لو كان السيد ملاك هذا رجلًا محترمًا (وهو ليس كذلك)، لأحسَّ بالخزي من نفسِه. وأنتِ يتيمة، فوق كل شيء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



اليوم الأخير في الزيارة

في صباح اليوم التالي، توجَّه الملاك إلى المستنقع بعد أن تناول الإفطار، وتبادلت السيدة هينيجر الحديث مع الكاهن. ولا يجب أن ننشغل الآن بما حدث. بدا الارتباك بوضوحٍ على الكاهن وهو يقول:

- يجب أن يرحل. يجب أن يرحل بكلِّ تأكيدٍ.

ثم نسي على الفور التهمة المحددة الموجهة للملاك، في خضم المتاعب العامة الأخرى. أمضى الصباح في تأملات مبهمة، لم يقطعها سوى تفحُّصه على نحوٍ متقطِّعٍ لقائمة أسعار متاجر سكيف آند واترلو، ودليل المتاجر الطبية والبحثية والإكليريكية. رويداً رويدًا، أخذت القائمة المكتوبة على ورقة على المكتب أمامه تزداد طولًا. قصَّ استمارة توضح كيفية أخذ قياسات الجسم من قسم الحياكة في مجلة «ذا ستورز»، وثبَّتها بدبوسٍ على ستائر غرفة المكتب. كانت هذه هي الوثيقة التي يعمل على إعدادها:

- عدد 1 معطف أسود من الصوف. نماذج حياكة؟ 3 جنيهات و10 شلنات.

- بنطال. زوج أم اثنان؟

- بذلة من قماش تويد صوف شيفيو (أرسل في طلب نماذج الحياكة. القياسات الشخصية؟).

أمضى الكاهن بعضَ الوقت وهو يتأمَّل مجموعة من الرجال المهندمين في المجلة. كانوا جميعًا حسني المظهر، لكنَّه وجد صعوبة في تخيل الملاك وقد تحوَّل بهذه الدرجة. فعلى الرغم من انقضاء ستة أيام، إلَّا أنَّ الملاك بقي من دون الحصول على بذلة تخصه. تردَّد الكاهن بين فكرة اصطحاب الملاك بالسيارة إلى بورتبرودوك لأخذ قياساته من أجل تفصيل بذلة له، وبين رعبه المطلق من سلوك الحائك الذي يستعين بخدماته. كان يعلم أنَّ الحائكَ سوف يطلب تفسيرًا مفصلًا، وبالإضافة إلى ذلك، لم يكن يعلم بالتحديد متى يمكن أن يرحل الملاك. هكذا انقضت الأيام الستة، وازداد الملاك خبرة بهذا العالم، وحجبت الملابس الجديدة التي منحه الكاهن إياها بهاءه.

- عدد 1 قبعة من اللباد الطري، رقم ج7، (لنقل تقريبًا) 8 شلنات و6 بنسات.

- عدد 1 قبعة حريرية، 14 شلنًا و6 بنسات. صندوق للقبعات؟

قال الكاهن:

- أعتقد أنَّه يجب أن تكون لديه قبعة حريرية. فهي ملائمة هناك. يبدو الشكل رقم 3 هو الأنسب له. لا أحتمل التفكير فيه وهو وحده تمامًا في تلك المدينة الكبيرة. سوف يسيء الجميع فهمه، وسيسيء هو فهم الجميع. ومع هذا، أعتقد أنَّه لا مفرَّ من ذلك. إلى أين وصلت؟

- عدد 1 فرشاة أسنان، 1 فرشاة شعر ومشط. موسى حلاقة؟

- نصف درزينة من القمصان. (قياس رقبته؟). 6 شلنات لكل واحد منها.

- جوارب؟ سراويل؟

- عدد 2 منامة. الثمن؟ لنقل 15 شلنًا.

- عدد 1 درزينة من الياقات (ماركة «ذا لايف جاردزمان»). 8 شلنات.

- حمالات للبنطال، ماركة «أوكسون»، متعددة الاستخدام. 1 شلن و111 أو 12 بنسًا.

قال الكاهن:

- لكن كيف سيتمكَّن من ارتدائها؟

- عدد 1 ختم مطاطي باسم ت. ملاك، وعلبة حبر أختام كاملة، 9 بنسات.

(من المؤكد أنَّ النساء اللاتي يتولين غسل الثياب سوف يقمن بسرقة كل ملابسه).

- عدد 1 مدية جيب أحادية النصل، مع فتاحة. لنقل 1 شلن و6 بنسات.

ملحوظة: لا تنسَ أزرار الأكمام، ودبوس الياقة، إلخ. (كان الكاهن يحب استخدام إلخ، حيث إنَّها تضفي على الأمور طابعًا دقيقًا وعمليًا).

- عدد 1 حقيبة سفر جلدية. (من الأفضل معاينة هذه).

وهكذا دواليك. ظلَّ الكاهن منشغلًا حتى موعد الغداء، على الرغم من الألم الذي اعتصر قلبه.

لم يعد الملاك لتناول الغداء. ولم يكن ذلك لافتًا للنظر بدرجة كبيرة، حيث إنَّه سبق له وأن فوَّت وجبة منتصف النهار مرة من قبل. لكن بالنظر إلى قصر الفترة الباقية التي سيقضيانها معًا الآن، فكان من المتوقع أن يعود. على الرغم من ذلك، لا شكَّ في أنَّه كان لديه أسبابٌ وجيهة لغيابه. تناول الكاهن الغداء بلا مبالاة، وخلد إلى الراحة بعد الظهيرة كما كانت عادته، وأضاف بعض البنود إلى قائمة المستلزمات. لم يبدأ في الشعور بالقلق حيال الملاك إلَّا عندما حان وقت تناول الشاي. انتظر نحو نصف ساعة قبل أن يتناول الشاي، وقال شاعرًا بالوحدة بدرجة أشد وهو يتناول الشاي:

- هذا غريبٌ.

مرَّ الوقتُ ثقيلًا حتى اقترب موعد العشاء من دون أن يظهر الملاك، وبدأ الكاهن ينزعج من الاحتمالات التي راودت خياله.

قال وهو يعبث بذقنه:

- بالتأكيد سيأتي لتناول العشاء.

وأخذ يتجوَّل باضطرابٍ في أرجاء المنزل، وهو يؤدي بعض المهام التافهة، كما كانت عادته عند وقوع أي شيء يكسر نظامه المألوف. غربت الشمس في مشهدٍ رائعٍ وسط كتلٍ متداخلة من السحب الأرجوانية. تلاشت درجات الذهبي والأحمر ليحلَّ محلَّهما الغسق، ولملم نجم المساء ثوبه المغزول من نورٍ مصدره التماع السماء جهة الغرب. ردَّد طائر مرعة الغيط طنينه، وقطع صمت المساء الذي تسلَّل على العالم الخارجي. ارتسم القلق على ملامح الكاهن. خرج مرتين ليحدِّق إلى جانب التلِّ الذي أخذ ينسدل عليه الظلام، ثم عاد إلى المنزل مرة أخرى وهو يشعر بالقلق. قدَّمت السيدة هينيجر العشاء. أعلنت للمرة الثانية بنبرة عتابٍ:

- عشاؤك جاهزٌ.

قال الكاهن وهو يصعد للطابق العلوي بقلقٍ:

- حسنًا، حسنًا.

نزل وتوجَّه إلى غرفة مكتبه، وأشعل فتيلَ مصباح القراءة الخاص به، ثم ألقى عودَ الثقاب في سلة المهملات من دون أن ينتظر ليتأكد من انطفائه. بعد ذلك توجَّه بقلقٍ إلى غرفة الطعام، وشرع يتناول -من دون حماس- عشاءه الذي بدأ يبرد.

(عزيزي القارئ، حان الوقت تقريبًا كي نودِّع الكاهن العزيز).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



كان السير جون جوتش يركب حصانه عبر إحدى الطرق المكسوَّة بالأعشاب التي تمرُّ بين المحميات عند المستنقع (وكان لا يزال يشعر بالغضب بسبب السلك الشائك)، عندما لمح الإنسان الوحيد الذي لا يرغب في رؤيتِه، وهو يتجوَّل ببطءٍ بين الأشجار الواقعة خلف الشجيرات.

قال السير جون جوتش بحدة بالغة:

- اللعنة! إنَّ هذا يفوق الاحتمال!

وقف على الرِكاب، وصاح قائلًا:

- مرحى! أنتَ يا من تسير هناك!

التفت الملاك مبتسمًا.

قال السير جون جوتش:

- اخرج من هذه الغابة!

أجاب الملاك قائلًا:

- لماذا؟

- أنا...

فكر السير جون جوتش في سبابٍ فاحشٍ، فلم تسعفه الذاكرة بأكثر من «اللعنة!».

كرَّر قائلًا:

- اخرج من هذه الغابة.

تلاشتْ ابتسامة الملاك. وقف دون حراكٍ، وقال:

- لماذا يتعيَّن عليَّ الخروج من هذه الغابة؟

لم ينبس أحدهما بكلمة لقرابة نصف دقيقة تقريبًا، ثم نزل السير جون جوتش عن سرجِه، ووقف بجوار الحصان.

(الآن عليك أن تتذكر -حتى لا يتسبَّب هذا في الإساءة للملائكة السماويين- أنَّ هذا الملاك قضى أكثر من أسبوع وهو يستنشق هواءنا هذا المُحمَّل بسموم الصراع على البقاء. ولم يكن جناحاه وإشراقة وجهه فحسب هو ما تأثَّر بذلك. حيث كان قد تناول الطعام وخلد إلى النوم، وتعلم درس الألم، وقطع شوطًا طويلًا في طريق الإنسانية. طوال فترة زيارته، التقى بالمزيد والمزيد من قسوة وصراعات هذا العالم، وأخذ يفقد الصلة بسمو ومجد عالمه هو).

قال جوتش:

- أنت ترفض الانصراف إذَنْ؟

وبدأ يقود حصانَه عبر الشجيرات نحو الملاك. وقف الملاك وكلُّ عضلاته مشدودة، وأعصابه متوترة، بينما هو يراقب خصمه يقترب.

توقف جوتش على بُعد ثلاث ياردات منه، وقد ابيضَّ وجهُه من الغضب، ممسكًا باللجام في إحدى يديه، وبسوط حصانه في الأخرى، وقال:

- اخرج من هذه الغابة.

غمر الملاك طوفان من المشاعر الغريبة، وقال بصوتٍ خفيضٍ مرتعشٍ:

- مَن أنتَ... ومَن أنا، حتى تأمرني بالخروج من هذا المكان؟ ماذا حلَّ بالعالم، حتى إنَّ رجالًا مثلك...

قال جوتش بنبرة تهديد:

- أنتَ ذلك الأحمق الذي قطع سلكي الشائك، إذا كنتَ تود أن تعرف!

قال الملاك:

- سلكك الشائك؟ هل كان ذلك السلك الشائك ملكك أنت؟ هل أنت الرجل الذي مدَّ ذلك السلك الشائك؟ أي حق لديك...

قال جوتش لاهثًا بأنفاسٍ متقطعة:

- دعكَ من هذا الحديث الاشتراكي العفن. هذه الغابة ملكي أنا، ولي الحق في حمايتِها بأي وسيلة كانت. أعرفُ أمثالَكَ من الحثالة الذين ينشرون الهُراء بأحاديثِهم، ويثيرون سخطَ الناس. وإذا لم تخرج من هنا في الحال...

قال الملاك، وقد امتلأ بطاقة لا يمكن التنبؤ بها:

- حسنًا إذَنْ!

تقمَّص جوتش دور الفتوة من فرط ذعره من النور المنبعث من وجه الملاك، وقال:

- فلتخرج من هذه الغابة اللعينة!

تقدَّم منه خطوة، رافعًا سوطه، وبعد ذلك حدث شيءٌ لم يفهمه هو ولا الملاك بوضوحٍ. بدا الملاك كأنَّه قفز في الهواء، وانتشر زوجٌ من الأجنحة الرمادية أمام الإقطاعي، الذي رأى وجهًا يقترب منه، ينضح بجمالٍ وحشيٍّ وغضبٍ عارمٍ. انتُزع سوطُه من يدِه، ووقف حصانُه وراءه على قوائمه الخلفية، ثم أسقطه الحصان أرضًا مستعيدًا منه اللجام، وفرَّ هاربًا.

وبينما هو يسقط إلى الخلف، أصاب السوط وجهه، ثم لسعه على وجهِه مرَّة أخرى وهو يعتدل جالسًا على الأرض. رأى الملاك مشتعلًا بالغضب، وهو يستعدُّ لتوجيه ضربة جديدة له. فرفع جوتش يديه للأعلى، واندفع إلى الأمام كي يقي عينيه، وتدحرج على الأرض تحت وطأة الضربات التي انهالت عليه بلا شفقة.

صاح الملاك قائلًا:

- أيُّها المتوحش!

ووجَّه له الضربات أينما لاح له جزءٌ من جسدِه.

- أيُّها الكائن الوحشي المختال الكاذب! أنتَ يا من طمستَ أرواح بشرٍ آخرين، أيُّها الأحمق التافه المتباهي بخيلِكَ وكلابِكَ! أتجرؤ على إيذاء أي كائن حي! فلتتعلَّم! فلتتعلَّم! فلتتعلَّم!

شرع جوتش يصرخ طالبًا النجدة. حاول الوقوف على قدميه مرتين، وجثا على ركبتيه، ثم انكفأ ثانية تحت وطأة شراسة غضب الملاك. ما لبث بعدها أن أصدر صوتًا غريبًا من حلقِه، وتوقَّف حتى عن التلوي تحت الضربات.

استفاق الملاك فجأة من غضبته، ووجد نفسَه يقف لاهثًا وهو يرتجف، وإحدى قدميه فوق جسد لا يتحرك وسط سكون الغابة الخضراء التي ينتشر فيها ضوء الشمس.

حدَّق الملاك فيما حوله، ثم حدَّق إلى قدميه، حيث كان هناك شعرٌ ملبدٌ بالدماء وسط أوراق الشجر الذابلة المتراكمة. سقط السوط من يدِه، وهربت الدماء من وجهِه. قال:

- الألم! لمَ يرقد ساكنًا هكذا؟

رفع قدمَه عن كتف جوتش، وانحنى نحو الجسد المسجي، ووقف منصتًا، ثم ركع وهزَّه قائلًا:

- استيقظ!

كرَّر قولَه بصوتٍ أكثر همسًا:

- استيقظ!

ظلَّ بضع دقائق أو أطول يحاول سماع أي صوت، ثم وقف بحدَّة ونظر حوله إلى الأشجار الساكنة. داهمه شعورٌ بالرعب الشديد، وحاصره تمامًا.

استدار بلفتة مفاجئة، وقال بهمسٍ ممتلئ رعبًا:

- ما الذي حدث لي؟

جفل مبتعدًا عن الجسد الراقد بلا حراكٍ، قال فجأة:

- مات!

واستدار مذعورًا وفرَّ سريعًا عبر الغابة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



بعد أن تلاشى وقع أقدام الملاك بدقائق، رفع جوتش نفسه مستندًا على يده. قال:

- يا إلهي! إنَّ كرامب محقٌّ! أصبت في رأسي أيضًا!

لمس وجهَه بيدِه، وتحسَّس جرحين وارمين وساخنين امتدَّا عبره. قال السير جون جوتش:

- سأفكر مليًّا قبل أن أرفع يدي على مجنونٍ مرَّة أخرى.

ربما يكون مختلَّ العقل، لكن أقسم إنَّ ذراعَه قوية للغاية. يا إلهي! لقد قطع طرف أذني تمامًا بذلك السوط اللعين.

وسوف يركض ذلك الحصان اللعين عائدًا إلى المنزل بصورة درامية، وستفقد زوجتي عقلها من الذعر. وأنا... أنا سوف أضطرُّ لشرح كيف حدث كل ذلك، بينما تمطرني هي بالأسئلة.

لكم أودُّ أن أنشر البنادق المفخخة والأفخاخ البشرية في هذه المحمية، وليذهب القانون إلى الجحيم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



ظنَّ الملاكُ أنَّ جوتش مات، فهام على وجهِه بين الأشجار والشجيرات الكثيفة المحاذية للمستنقع، يعتصره الندمُ والخوفُ. من الصعب تخيُّل مدى ارتياعه من هذا الدليل الأخير والقاطع على إنسانيتِه الطاغية. بدا كأنَّ كلَّ ظلامٍ وغضبٍ وألمٍ هذه الحياة يحاصره بلا هوادة، ويصير جزءًا منه، ويقيِّده إلى كلِّ ما كان يعدُّه من أسبوع مضى غريبًا ومثيرًا للشفقة في البشر.

قال الملاك:

- إنَّ هذا العالم حقًّا لا يلائم الملائكة. إنَّه عالمٌ من الحروب، عالمٌ من الألم، عالمٌ من الموت، ويتملَّك المرء فيه الغضب. وها أنا الذي لم أكن أعرف الألم والغضب، أقف هنا ويدي ملطَّخة بالدماء. لقد سقطتُ. المجيء إلى هذا العالم يعني السقوط. يجب أن يعاني المرء الجوعَ والعطشَ، وتعذبه آلاف الرغبات. يجب على المرء أن يقاتل من أجل موضع قدمٍ، أن يغضب ويسدِّد الضربات...

رفع يديه إلى السماء، وعلى وجهه مرارة العجز المطلق والندم، ثم أنزلهما مرة أخرى بيأسٍ. بدا أنَّ جدران هذه الحياة الضيقة المتقدة الشبيهة بالسجن تزحف نحوه بقوة وثباتٍ حتى تسحقه تمامًا في النهاية. أحسَّ بما يشعر به كلُّ المساكين من البشر الفانين عاجلًا أم آجلًا: سطوة الأمور الحتمية بكلِّ قسوتها، ليس من حولنا فحسب، بل من داخلنا أيضًا (حيث تكمن المشكلة الحقيقية)، والعذاب الحتمي الذي تصيبنا به مُثُلنا العليا، في تلك الأوقات التي لا مفرَّ منها التي ننسى خلالها أفضل صورة لذاتنا. في حالتنا نحن البشر، يحدث ذلك الانحدار تدريجيًّا، بصورة غير محسوسة على مدى سنواتٍ طويلة، إلَّا أنَّه في حالة الملاك، استغرقت الأمور أسبوعًا فحسب حتى وقع ذلك الاكتشاف المروع. شعر بأنَّ قيود هذه الحياة أعاقته، وطمست روحه، وأعمت بصيرته، وأفقدته الحس. شعر بما قد يستشعره رجلٌ تناول سمًّا زعافًا، ويحس بالدمار وهو يستشري بداخله.

لم يلقِ بالًا للجوع أو التعب أو مرور الوقت. مضى في طريقه متفاديًا المنازل والطرقات، مبتعدًا عن مرأى ومسمع أي إنسانٍ، بينما هو مشتبكٌ في جدالٍ صامتٍ يائسٍ مع القدر. لم تتدفَّق أفكاره في ذهنِه، بل تجمَّدت احتجاجًا على الانحطاط الذي حلَّ به. قادت الصدفة خطاه نحو المنزل، وأخيرًا، عند حلول الليل، وجد نفسَه متعبًا خائر القوى، وهو يتعثَّر عند المستنقع الواقع خلف سيدرمورتون. سمع الفئران تركض صارخة وسط نباتات الخلنج، وظهر طائرٌ ضخمٌ من وسط الظلام، ثم مرَّ واختفى مرة ثانية. رأى الملاك وهجًا أحمر باهت اللون في السماء أمامه، لكنه لم يعره الاهتمام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



لكن عندما وصل إلى قمة مرتفع عند المستنقع، انبثق أمامه ضوءٌ ساطعٌ يصعب تجاهله. نزل التلَّ مسرعًا، ورأى الوهج بوضوحٍ أكبر. كان مصدره ألسنة النار الذهبية والحمراء المتقافزة المرتعشة، المندفعة من النوافذ ومن فتحة في سقف منزل الكاهن. ظهر حشدٌ من الرؤوس السوداء على خلفية الحريق، وقد احتشد أهل القرية جميعًا، باستثناء رجال فرقة الإطفاء، الذين كانوا عند كوخ إيلمر، يحاولون العثور على مفتاح المبنى الذي تقف بداخله عربة الإطفاء. ارتفع هدير النيران وهمهمات الناس، ثم ندَّت صرخة حادة. تعالى الصياح: «لا، لا! عودي!»، وعلت صرخة مبهمة.

شرع يركض تجاه المنزل المشتعل. تعثَّر وكاد يسقط، لكنَّه واصل الركضَ. وجد أشخاصًا لم يتبيَّن هيئتهم يهرعون من حوله. اندفع اللهب المستعر على نحوٍ عاصفٍ في هذا الاتجاه وذاك، وشمَّ الملاك رائحة الحريق.

قال أحدُهم:

- لقد دخلتْ! لقد دخلتْ!

وقال آخر:

- يا للفتاة المجنونة!

تصايح آخرون:

- تراجعوا للخلف! تراجعوا للخلف!

وجد نفسه يندفع مخترقًا الحشد المضطرب المتزاحم، الذي وقف جميع أفراده محدقين إلى اللهب، الذي انعكست حمرته في أعينهم.

أمسك به عاملٌ قائلًا:

- ارجع إلى الوراء!

قال الملاك:

- ما الأمر؟ ما الذي يعنيه هذا؟

- هناك فتاة داخل المنزل، وهي لا تستطيع الخروج!

قال آخر:

- دخلت لتجلب آلة كمان.

سمع شخصًا آخر يقول:

- الأمر ميؤوسٌ منه.

- كنت أقف بجوارِها، وسمعتها تقول: «أستطيع أن أجلب كمانَه». لقد سمعتها، بكلِّ بساطة هكذا! «أستطيع أن أجلب كمانه».

وقف الملاك محدِّقًا للحظة، ثم رأى كلَّ شيءٍ في ومضة واحدة. رأى هذا العالم الصغير الكئيب المليء بالمعارك والقسوة، وقد تحوَّل واكتسب روعة تفوق أرض الملائكة، وامتلأ

فجأة ببهاءٍ يفوق الحد، منبعه نور الحب الرائع والتضحية بالذات. أطلق صيحة غريبة، وقبل أن يتمكَّن أحدٌ من إيقافه، انطلق راكضًا تجاه المبنى المشتعل. تعالت الصيحات: «الأحدب! الغريب!».

كانت يد الكاهن قد احترقت، وبينما أحدُهم يضمدها له، أدار رأسَه فشاهد هو وكرامب الملاك، هيئة سوداء في مواجهة الوهج الأحمر عند مدخل الباب. استغرق المشهد جزءًا من الثانية فحسب، ومع ذلك لم يكن كلا الرجلين ليتذكرا ذلك الموقف العابر بوضوحٍ أكثر لو كان صورة عكفا على دراستها معًا لساعات طويلة. بعدها، توارى الملاك خلف شيءٍ ضخمٍ (لم يعرف أحدٌ كنهه)، امتدَّ متوهجًا عبر مدخل الباب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



علتْ صيحةٌ منادية: «ديليا»، ولا شيء بعد ذلك. لكن فجأة، اندفعتْ ألسنة اللهب في وهجٍ يعمي العين، انطلق للأعلى حتى ارتفاع شاهق، متألقًا على نحوٍ مذهلٍ، يتخلَّله آلافُ الومضات المتراقصة كالسيوف الملوِّحة. وانتشرت عاصفةٌ من الشرر تلتمع بآلاف الألوان، وارتفعت في دوَّامة للأعلى، ثم تلاشتْ. عندها، وللحظة فحسب جراء مصادفة غريبة، سرى نغمٌ موسيقيٌّ يشبه صوت الأُرْغُن، متداخلًا مع هدير ألسنة اللهب.

سمع الصوتَ جميعُ أفراد القرية المحتشدين في مجموعاتٍ، باستثناء جافر سيدونز الأصم. كان غريبًا وجميلًا، ثم اختفى مرَّة أخرى. قال لامبي دورجان، أبله سيدرفورد، إنَّه بدأ وانتهى مثل بابٍ ينفتح ثم ينغلق.

لكنَّ الصغيرة هيتي بينزانس تراءى لها خيالًا جميلًا، لشخصين مجنَّحين، ومضا ثم اختفيا وسط اللهب.

(بعد ذلك أخذت تتوق للأشياء التي تراها في أحلامِها، وصارت ذاهلة غريبة الطباع. أحزن ذلك والدتها أيما حزن، وقد أضحت هيتي هزيلة كأنَّها على وشك التلاشي من هذا العالم، وسكنتْ عينيها نظرةٌ غريبةٌ شاردةٌ. شرعت تتحدَّث عن الملائكة، وألوان قوس القزح، والأجنحة الذهبية، وتدندن طوال الوقت جزءًا من لحنٍ مجهولٍ لا يعرفه أحدٌ. استمرَّ ذلك حتى تولَّى كرامب أمرَها، وعالجها بنظامٍ غذائيٍّ لزيادة الوزن قائم على شرابٍ من مركبات الفوسفات وزيت كبد الحوت).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الخاتمة

وهنا تنتهي حكاية الزيارة المدهشة، وخاتمتها هذه على لسان السيدة مِيندام. يوجد صليبان صغيران لونهما أبيض في ساحة كنيسة سيدرمورتون، متقاربان من بعضهما، حيث يتسلَّق نبات العليق الجدار الحجري. نُقِش على أحدِهما اسم توماس ملاك، والآخر ديليا هاردي، أمَّا تاريخ الوفاة فهو متشابهٌ. لا يوجد شيءٌ أسفلهما في الواقع، سوى رماد نعامة الكاهن المحنَّطة (يمكنك أن تتذكر أنَّ الكاهن كان مهتمًّا بعلم الطيور). لاحظتهما عندما كانت السيدة ميندام تريني النصبَ الجديدَ المقام من أجل دي لا بيش (وقد أصبح ميندام هو الكاهن منذ وفاة هيليار).

قالت السيدة ميندام:

- لقد أتوا بالجرانيت من مكانٍ ما في اسكتلندا، وقد تكلَّف مبلغًا كبيرًا -نسيت كم يبلغ قدره- لكنَّه باهظٌ للغاية! إنَّه مثار حديث القرية.

قالت سيسي ميندام:

- أمي، إنكِ تطئين قبرًا.

قالت السيدة ميندام:

- يا إلهي! يا لها من غفلة من جانبي! إنَّه قبر ذلك المعاق. لكن حقًّا، لن تتخيَّل أبدًا كم تكلَّف هذا النصب التذكاري.

واصلت السيدة ميندام قائلة:

- بالمناسبة، لقد قُتِل هذان الاثنان عندما احترق منزل الكاهن القديم. إنَّها حكاية عجيبة للغاية. كان شخصًا غريبًا، عازف كمان أحدب لا يعلم أحدٌ من أين أتى، وقد فرض نفسَه على الكاهن الراحل بدرجة مخيفة. كان يعزف بتباهٍ سماعيًّا، واكتشفنا لاحقًا أنَّه لا يعرف النوتة الموسيقية، ولا حتى نغمة واحدة، افتضح أمره أمام حشدٍ كبيرٍ من الناس. ومن الأحاديث الأخرى التي دارت حوله، فيبدو أنَّه كان على صلة بإحدى الخادمات، كما يقول الناس، مومس صغيرة خبيثة. لكن من الأفضل أن يخبرك ميندام كلَّ شيءٍ عن الأمر. كان الرجل أبله ومشوَّهًا على نحوٍ عجيبٍ. كم هو غريبٌ ذوق بعض الفتيات.

نظرتْ بحدَّة إلى سيسي، التي تخضَّب وجهُها وظهر الخجل في عينيها، وواصلتْ قائلة:

- كانت قد تخلَّفت في المنزل، واندفع هو وسط النيران في محاولة لإنقاذها. الأمر رومانسي جدًّا، أليس كذلك؟ كان بارعًا في عزف الكمان، على طريقتِه التي لم تخضع لأي تعليمٍ.

احترقتْ جميعُ طيور الكاهن المحنَّطة في الوقت ذاتِه. كانت تقريبًا الشيء الوحيد الذي يهتم به، ولم يتجاوز تلك الصدمة قطٌّ. وقد أتى للإقامة معنا، حيث لم يكن هناك أي منزل آخر متاح في القرية. لكن لم تبدُ عليه السعادة قطُّ. بدا مضطربًا للغاية، ولم أرَ مثل ذلك التحوُّل يحدث لرجلٍ من قبل. حاولت إثارة حماسه، لكن بلا جدوى. بلا جدوى على الإطلاق. كانت تراوده خيالاتٌ غريبة عن الملائكة، وأشياءٌ من هذا القبيل. وقد جعل ذلك رفقته غريبة في بعض الأحيان. كان يقول إنَّه يسمع الموسيقى، ويحدِّق ببلاهة إلى الفراغ لساعاتٍ طويلة. كما أنَّه أهمل هندامَه تمامًا، حتى مات في غضون اثني عشر شهرًا من اندلاع الحريق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞





متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..